

ANCORA IMPARO



العُصُورُ

يناير ١٩٢٨ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس العدد ١٧ مجلد ٣

الأبولوجيا
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

دفاع سقراط عن نفسه

بقلم تلميذه وخالته (الافلاطون) - وقد ترجمناها عن اصل انكليزي بقلم

مس - ف . م ستاول F. M. Stawell

١ - قبل الفتوى بادانته

- ١ -

لست اعلم بأبناء أثينا ما شعرتم به اذ انتم تطرقون تصفون الى الذين
يتهمونني . فان السبيل التي سلكوها للتأثير فيكم هي السبيل المثلث ، حتى لقد
انساني تظاهركم بنصرة الحق نفسي . وعلى الرغم من هذا فانهم لم يقولوا كلمة
واحدة انتهجوا فيها محجة الحق والصواب . على اني لم أؤخذ بفرية افتروها مثل تحذيرهم

إياكم مني ألا تفتنوا بسحر ميانى ، زعموا منهم باني الخطيب المصقع الكبير . وانهم
ليعلمون علم اليقين لم سوف أدحض لهم البرهان بالبرهان ، واضرب لهم الحجة
الحجة . وظهر لكم ظهور الصحيح إذ يتألق ضوءه ، أنى لست بالخطيب الكبير
التعاضى بزمام بلاغته على لمعة البيان ، وبمصاحبة بيانه على عقال مشاعركم . ولقد
يخفى عنى من هذه الموضع ما وصل اليه عنوهم وانتهت اليه وقاحتهم ، ما لم يكن قصدهم
بالخطيب الكبير رجلا مثل الحق ويحترمه . اما اذا كان هذا قصدهم ، فاننا عند
عقولهم : انا فاني الخطيب . غير انى لست منهم فى شيء . فانهم لم يقولوا كلمة
حتى واحدة جديرة باحترام العقلاء . اما من يقف امامكم اليوم ، فستمعون
الحق الصراح .

يا أبناء أثينا - لن يتبادر الى اذهانكم انكم ستمعون منى ذلك الكلام
المنمق ، وتلك الجمل المزخرفة التى يضع الحق فى تضاعيف باطلها ، بل كلام
دارج وجمل مرسل على غريزتها الحالية من آثار النصح ، وتكاليف الاوضاع .
وانى لا اعتقد اعتقاداً لا تزعمه ريبة فى أن ما سأقوله اليوم هو الحق ، والحق
نفسه . لذلك ينحصر املى فى أن لا ينشد احدكم غير استجلاء الحقيقة ، ضالة
العقلاء . والحقيقة ، يا أبناء أثينا ، انه غير جدير برجل بلغ من العمر ما بلغت ، أن
يقف امامكم وبين يديه دفاع معد من قبل كما تفعل الصبيان . وليس لى عليكم
من سلطان الا ان اسألكم امراً واحداً ، لا ابغى منكم عنه حولا : فانكم ان
وجدتمونى اتكلم خلال الدفاع عن نفسى كما تعودت أن اتكلم فيكم من قبل فى
الاسواق وساحات المدينة ، وكما سمعنى فيها كثير منكم وفى غيرها من الأماكن ،
فلا تغربوا فى الخيرة والعجب ، ولا تقطعوا على سياق قولى . ولقد يحسن بى الآن
أن اشرح لكم حقيقة حالى . فان هذه الساعة هي أول فترة من عمرى ، وقد
بلغت السبعين ، وقفت فيها ادافع عن نفسى فى محكمة قضائية ، وجهت الى
فيها تهمة ما . ولذا تجدوننى غريباً عن الاصطلاحات التى اسأثرت بها المحاكم

من لغتنا ، أما وقد سمعتم لي بالكلام كما لو كنتم بعيداً عن لغة ومحجة ولدت
وريت بعيداً عنها ، فانه بخيل الى أنه من حق أن أسألكم الاصفاء وأن
تتجهلوا سماع ما أقول حسن لديكم أم قبح ، وأن تصرفوا اذهانكم الى
تحقيق قضية واحدة لا تعتمد ، بل هي مقصورة على امر واحد هو . « هل
ما تسمعون مني صواباً أم غير صواب » هذه هي فضائل القضاة العدول ، كما أن
فضيلة الخطيب مقصورة على أن يتشد الحقيقة المطلقة .

— ٢ —

والآن يا أبناء أثينا ، اذ تعمدت افراع من نفسي ، بحسن بي أن أسالك سبيل
النظر في أول ماوجه الى من تلك التهم المفترقة ، وفي أول من اتهمي منكم ، ثم انقلب
عليهم بمن تبعهم ، وانكم لتعلمون ان من اتهمني واقترى على منكم بخططهم العبد ،
وقفوا من قبل خلال سبعين سنة يرددون حذري اقترأ التهم . واني من سماعتهم
أشد خشية وأكبر خوفاً من سماعة « أنتيوس » وعصبته ، ولو أنها عصبه
رهيب كيدها ، مخيف مكرها . ومع هذا فإن الاولين ، يا أبناء أثينا ، هم أولئك
الرجال الذين ربوكم من صغركم وظالموا قوامين عليكم منذ حداثكم ، وتمكنوا
من تضليلكم منذ ذلك العهد البعيد ، قاذفين نحوي من التهم المفترقة ما شاؤوا
فلا جرم يكون حذري منهم مضاعف حذري من « أنتيوس » وعصبته . هم
يقولون — « إنه يوجد رجل يقال له سقراط : فيلسوف يتأمل في خلق السماوات
وما احتوت من حكمة ، ويبحث أسرار الارض وما كبرت من علم ، ويقلب
الحقائق حتى ليصور لسامعه حسناً ما ليس بالحسن » . هؤلاء الرجال ، يا أبناء
أثينا ، هم الذين نشروا عني في الاقطار هذه الاقاصيص ، وهم الذين أحذروهم
وأمتقنهم ، لأن من يصغى اليهم بخيل اليه أن بديهة العقل تقضي بأن من يبحث
هذه المسائل يسلم به البحث الى الزندقة وانكار وجود الله . وعلى الرغم من أن
متبعي كثيرين ، فانهم أخذوا يتهموني أمامكم منذ سنين عديدة اذ كنتم في

أول سنى عمركم معددين لقبول كل ما يأتونكم به على انصر عهدكم بهذه الحياة
وقلة نجر بكم . فقد كان العديد الاوفر منكم فى طوار الشباب والفتوة وأجريتكم
على أحكاما ظنية ينتقصها شرط أساسى من شروط العدل وقواعد الانصاف ،
هو بعدى عنكم وغيبه من سمعون منه الدفاع عن مسألتى . وما يزيد أمرى منكم
ريبة ، أنه لا يمكن أن أعرف كل متهمى وأعين أسماهم . وكذلك لا يمكن
أن يؤخذ بأقوالهم ، ما لم يكن فيهم رجل معروف يمثل شخصيتهم ويحدد
مسؤوليتهم . فإن من الذين اتهمونى ، وصرفوا كل عنايتهم فى سبيل
تضليلكم وغرس الفتنة فى قلوبكم للاجفاف بمنوفى ، نفر قد أقنعوا
البعض منكم ؛ لاثم بأنفسهم قد أقنعهم غيرهم إيهاماً وتضليلاً ، فورث بعضكم
التضليل عن بعض ، منذ سنين . ومن الصعب أن أسلك مع هؤلاء سبيل
النظر فى أمرى . وليس فى استطاعتنا أن ندموا الى هذا المكان نفراً منهم
وتناقشهم الحساب على ما جنوا . قتلى الآن مثل رجل مضطرب بطبيعة مركزه أن
يدافع عن نفسه ازاء خيالات وأشباه صورها له الوهم ، وإن يناقش القضاء حيث
لا يجب . فذلك يخلق بين أن أيمن لكم أن متهمى قسماً . فالأولون هم الذين
يتهمونى هذه التهمة أمامكم : والآخرون هم الذين أنكلم فيهم الساعة . وانهم
لأبعد من هؤلاء فى نظرى خطراً . ويجب أن تتحققوا أنه يلغى على أن أدافع
عن نفسى أمام هؤلاء قبل غيرهم ، لأن فم خطر السبق فى اتهامى ، وهم أول من
سمعتهم منهم هذه التهمة فى ، وكانت حدائكم أول ما حدى بهم لسكى يفسحوا
لانفسهم فيها مجالاً واسعاً . وأنه ليخيل الى ، يا أبناء أمينا ، انه يجب على أن
أعمل جهد استطاعتى حتى أخرج من أذهانكم خلال هذه الفترة القصيرة ما علق
بها من آثار تلك التآثم والشايات الكاذبة ، التى وجدت أرضاً خصبة أينعت
فيها ثمارها . وإنى لأتمنى من صميم قلبى أن أصل وإياكم الى هذه الغاية المرجوة ،
وأن أتجهج فى الدفاع عن نفسى ، اذا كان فى ذلك خير لى ولكم . غير أنى أظن

أن مهمتي صعبة شاقة ، رغم أني لست محيط تمام الاحاطة بها ، والآن نترك
النتائج لمشية الله . فواجب أن أطيع القانون وأن أبدأ في الدفاع عن مسألتى .

— ٣ —

على ما تقدم من القول ينبغي على أن أبدأ بمبحث تلك التهمة التي يني
عليها ما يعزوه الى « مليتوس » . و يتهمني به . ماذا يقولون في دعواهم ضدى ؟
أرى من الواجب أن اعتبرهم مدعين قضائيين فأقرأ لكم قرارهم الذي بنوا عليه
أساس التهمة . يقولون — « أن سقراط شوكة حادة في جنب حكومة
البلاد ، وأنه يمد بحرماً لبحث الكائنات الأرضية والسمائية والاعرام العلوية
والطبيعة وما بعدها . وأنه يضلل الغير بأصاليه الكاذبة ، حتى ليقلب لهم الحقائق
ويفسدها » . هذا ما يقولون ، وتلك هي التهمة التي تمسكت بها أقاصيصهم . ولقد
أتاكم « ارسطوفانيس » من قبل هذا في روايته الطريفة بالمتف منها ، اذ جعل بطل
الرواية شخصاً يقال له « سقراط » يحمل في دن ، ويدعى أنه يجتاز أطباق
الهواء ماشياً على قدميه ، ويسقط كثيراً في أمور ذكرها ، مع أني لا أعلم منها ،
ياذوى رحى ، شيئاً قل أم كثر . ولست بقائل هذا القول ازدراء منى وتحقيراً
لما يمكن أن يكون لهذه الأمور من الشأو والخطر اذا برز أحدكم فيها . يمكن
لمليتوس أن يوجه الى مثل هذه التهمة بعد ؟ إن الحقيقة ، بأبناء آئينا ، أني لا
أعلم من هذه الأمور شيئاً . اني لأدعوك جميعاً ، أو أدعو السواد الأعظم منكم ،
أن يكونوا في هذا الموقف شهودى العدول . أمت أن يكون بعضكم ظهيراً
واسأل الذين سمعوني من قبل ، وجلاكم سمع منى كثيراً ، هل طرق سمع أحدكم
كلمة واحدة فمت بها لها علامة بهذه الموضوعات أو ما يجرى مجراها ؟ من
ذلك تتحققون أن الاقاصيص التي تتلقونها من أفواه العامة عني ، لا تختلف
عن هذه شيئاً

إن بعد هذه التهمة عن حقيقة الواقع ، لا يجعل لها وزناً يقام ، ولا لغيرها مما سمعتم من الكثيرين من أنى أجعل الكسب المادى رائدى فى بث تعاليمى : ولا أظن أن هناك نخباً كبيراً فى أن أتبع فى نشر التعاليم وتلقين مبادئ الحكمة ، تلك الطرق التى يتبعها « جورجياس » الليوتونى ، أو « بروديكوس » الكيوسى ، أو « هيبياس » الأليسى . إن هؤلاء ليهبطون أية مدينة من مدن بلادكم التى تعرفونها ، فيغشونها كما تغشى سحابة الصيف أديم السماء الصافية ، ويبذلون جهد مستطاعهم ، حتى يجتمع من حولهم بعض من الشبان الذين ينضمون إلى غيرهم من بنى جلدتهم من غير أن يخصص عليهم أستاذهم أجراً ما . وبهذه الطريقة يمكنهم أن يستدرجوا الشبان ويغروهم على ترك الجماعات الأخرى إلى جماعتهم ، ثم يرهقونهم فيما بعد بما يأخذون منهم من المال أجراً على تعليمهم . وما أبعد هذا عن سنن الاحتشام والأدب المرضى . ولم أذهب بكم بعيداً ؟ فلدينا فيلسوف آخر من « بيروس » يوجد الآن فى بلدة أعرفها . وذات يوم وقع لى أن أقابل صديقاً لى انفق من ماله على السفسطائيين أكثر مما صرف كل موانع بالحكمة على غيرهم ، وأعنى به « كاليوس » بين « هيبونيوكوس » واه ابنان ، فعن لى أن أسأله سؤالا : فقلت له :

« يا كاليوس ، إذا فرضت أن ابنك لم يكونا انسانين ، وكانا مهربين كريمين أو ثورين ضخمين ، اذن لا كثيرت لهما سائساً يقوم بواجب خدمتهما ونظافتهما وجعلهما زينة وقنية طيبة . ولنفرض أن هذا السائس يكون زارعاً أو مربياً للخيول . غير أنها يا كاليوس من بنى الانسان وتربيتها عليك حتى مفروض . فهل فكرت فى مرب لهما يقوم بتثقيفها ؟ وهل يوجد انسان يمكنه أن يعرف ما ينبغى أن يكون . الفرق بين الفرد المطلق ، وبين الفرد الذى هو تابع لرعاية الحكومة ؟ اننى أعتقد أنك فكرت فى هذا الأمر لأن لك أولاداً . وهل يوجد

ذلك الشخص أم لا يوجد ؟ فأجابني بأن « نعم من المحقق ان شخصاً كهذا لا بد من أن يكون موجوداً » . فسألته أو تعرف من هو ، ومن أين أتى وكـم يأخذ من الأجر على تعليمه الاولاد ؟ فقال . انه « اينوس » وقد أتى من « بيروس » ، ويأخذ خمسة أمانان على كل طفل « — عند ذلك علمت ان « اينوس » هذا اسعد الناس اذا كانت له هذه القدرة الفائقة ، ونفسه راضية بهذا الاجر الزهيد !!! اما اذا كان لى مثل هذه القدرة ، إذن لقمت فى الناس وتظاهرت بالعظمة ؛ ولقذف بى حب الجاه الى التيه عليكم ، والنيل منكم ، ولكن ليس لى هذه القدرة أيها الآثنيون .

— ه —

قد يقول البعض منكم - ياسقراط : ماذا يمكن أن تكون تعاليمك؟ وما الذى آثار من حولك هذه الجلبة، وأقام ضدك هذه الدعاوى؟ من المحقق انك اذا لم تكن قد فعلت إلا كما فعل غيرك ؛ لما علت الجلبة من حولك ؛ ما لم تكن قد أتيت أمراً إذاً خالفت فيه بقية الناس ؛ يجب أن تعلم منك ما هو ذلك الأمر حتى لا تترك وانفسنا ؛ فيكون لنا الحدىس منك شبحاً موهوماً » .

يظهر ، يا أبناء أثينا ، أن هذا سؤال ذوقيمة ، وساعمل جهد استطاعتي حتى أوضح لكم ماهى الوسائل التى نشرت عنى هذه الأقايصيص ، وروجت هذه الاشاعات الكاذبة . فاصعوا الى إذن .

سوف يسبق الى حدىس البعض أنى أسخر منكم أو استهزىء بكم . ولكنى أوكد لكم أنى لن أقول إلا الحق . والحق ، يا أبناء أثينا ، أن الذى نشر اسم سقراط فى عرض البلاد وطولها ضرب من الحكمة العقلية اكـب على درسه وواقف على بحثه سنى حياته . لا اقل من هذا ولا اكثر . وماذا يمكن أن تكون هذه الحكمة العقلية ؟ قد يتفق ان تكون هى الحكمة اللائق بينى الإنسان معرفتها . ويحتمل أن اكون جهبذاً كبيراً فى هذا الضرب من الحكمة . على أن من

ذكرت لكم الآن أسماءهم قد يكونون جهابذة مبرزين في ضرب آخر من الحكمة أبعد مما يتسنى لبني البشر معرفته ، أو غير ذلك من صنوف المعقولات ، مما لا اقدر على تحديده لكم .

انى أتوسل اليكم أيها السادة . أن لا تقطعوا على سياق قولى ولا تهوشوا على ، وئو أنكم ظننتم انى قلت ما قلت تينها بنفسى وعجباً .

ان الكلمات التى أقولها لكم الآن ليست لى . بل انى اسندها إلى خطيب طالما أحنيتهم له الرؤوس اجلالاً . أما الشاهد الوحيد الذى سأشاهده على ما اشتغلت به من ضروب الحكمة — إذا سمحتم لى بأن أدعوها حكمة أو شيئاً من طبيعتها — فهو ذلك الآله الذى يسكن « دلفى » . وأظن أنكم تعرفونه « شيريفون » . إنه كان صديقى منذ نعومة أظفارى وطفولتى ؛ وهو صديق نظامكم الديموقراطى أيضاً . إنه رافقكم إلى المنفى وعاد معكم (١) . وإننى لاعرف حق المعرفة طباع « شيريفون » وصفاته الاخلاقية ، وغيرته على كل عمل القيت اليه مقاليدته ، إنه هاجر الى « دلفى » وحملته شجاعته على أن يسأل الصوت الآلهى سؤالا :

انى أتوسل اليكم أيها السادة ان لانهوشوا ولا تقطعوا على سياق قولى فيما اقول .

سأل الهاتف إن كان يوجد رجل أعقل منى . فاجابته راهبة المعبد بان الصوت أجاب سلباً . وعندى على صدق روايتى هذه شاهد عدل هو أخو

(١) بعد أن خضعت سبارطة عام ٤٠٤ ق . م . تقوض فى آئيننا عرش الحكومة الديموقراطية . فاجتمع بعد ذلك مجلس من ثلاثين عيناً من أعيان الآثينيين بصفة مؤقتة فى مبدأ الأمر ، وانحصرت السلطة فيهم ، فظالموا وتعسفوا ، ففر زعماء الحكومة الديموقراطية خوف الموت ، وذهبوا الى منفاهم . وبعد سنة انقلبت الاحوال . ورجع الديموقراطيون ووطدوا اركان الحكومة الديموقراطية الحرة ، وقد عمدوا فى بعض الاحيان الى قوت السلاح حتى استتب لهم الامر .

« شيريفون » . لان « شيريفون » يطوى الآن المرحلة الاخيرة من عمر الدنيا .

- ٦ -

اسمعوا الآن لماذا أقول لكم هذا . سأوضح لكم كيف انتشرت عنى الاقاصيص الكاذبة .

عندما سمعت رواية « شيريفون » سألت نفسى : « ماذا يقصد الآله بذلك » ؟ والى أى مرمى ترمى اشارته « . ؟ فانتى ، والحق يقال ؛ ماعددت نفسى يوماً من الأيام عارفاً بحقيقة شىء من الأشياء رفيعاً كان أم وضيعاً . فماذا يقصد الآله اذن إذ أشار باننى اعقل الناس ؟ انه لا يكذب ، لان الكذب عليه مستحيل . وظللت فترة من الزمان تائهاً فى بحر لجى من التفكير ؛ أطيل التأمل والاستبصار فيما يمكن أن يكون قصده . وبعد أن مالت التفكير ، ابتدأت أبحث الأمر من طريق عملى ، وخططت لنفسى خطة اخذت فى تنفيذها بان ذهبت إلى رجل من الذين أتوسم فيهم العقل والحكمة ؛ ظناً منى بان ادفع قول الهاتف وأقول له — « هوذا رجل أعقل منى ، وقد قلت بانى أعقل الناس » .. وعند ما حققت النظر فى الرجل — ولا يجد ربى أن اذكر اسمه وهو من بنى جلدتكم يا أهل أثينا — أمكننى أن اعرف مكنونات صورته ومكنوزات طبعه ، وتمكنت من تجربته ومحادثته ؛ وعرفت أنه ينخيل الى الكثيرين ان فيه فضلاً وعقلاً راجحاً هو منهما براء . وعندها تعمدت أن اظهر له انه يعتقد بنفسه ويظن انه عاقل زوراً ، فى حين أنه ليس عاقلاً ولا أديباً . فتفجرت ينابيع الغضب من وجهه ونفر منى ، وجاراه فى غضبه كثير من ممن سمعنا ، فتركهم وذهبت مفكراً فى أمر نفسى . وهناتبادر الى أننى على أية حال اعقل من هذا الرجل . ومن المحتمل أن يكون كلاًنا غير عالم بشىء من حقيقة الخير المحض أو الجمال المطلق ، غير انه يظن انه يعلم منهما شيئاً وهو افرغ من وعاء . اما انا فان كنت استوى معه فى الجهل فلست مدعياً . ومن هنا وضح لى اننى أعلى منه فى العقل ذروة ، لانه لا ينخيل لى ، على الاقل ، انى اعرف اموراً

لأعرف منها شيئاً . فتركت الرجل وسعيت الى غيره ممن توسمت فيهم العقل والمعرفة ، فكان أمرى معهم ، كأمرى مع هذا الرجل ، ولم تخطىء تجربتي احداً منهم . يولون من وجهى غضابى ، او هم يفرون من قوة الحق الصراح .

— ٧ —

وهكذا لم اترك احداً منهم الا خبرته ، حتى اتيت عليهم الواحد تلو الآخر . غير خاف على ما كان يقع منهم وراء الستار ، حزين لما يقع ووقع لى معهم ، شديد الخوف من أن ينتهى الامر باهانتى . غير انى على الرغم من هذا كنت اشعر دائماً انه يجب على أن اضع كلام الصوت فى المنزلة الأولى من نفسي ، وان اذهب فى بحثه الى الغاية القصوى ، وأن اختبر كل من اتوسم فيهم العلم والمعرفة ، لعلى اقف على حقيقة ما يقصده الصوت من قوله . واليكم يا أبناء أثينا ، نتيجة بحثى وعنائى .

لقد توصلت خلال بحثى الى نتيجة من النتائج ذات شأن كبير . عرفت أن اكثر الناس شهرة اشد هم قصوراً وجهلاً ، وأن الذين يظن فيهم انهم أقل منهم فى العلم منزلة ، اكثر منهم حكمة ، واغرز مادة ، واحد ذهناً ، وأقوم بديهية . ويجب على أن اظهر لكم فى هذا الموقف المهيّب ان مجهوداتى فى سبيل اظهار ان ما قاله الصوت كان حقاً ، اشبه بمجهودات « هرقل » فى حروبه . فبعد أن أعيتنى الحيل فى رجال السياسة ، عمدت الى الشعراء ، ومنهم إلى مؤلفى الروايات ثم الى كتاب الاغنيات ، تخيلاً منى اننى اعمل عملاً وأسى سعياً ، فما وجدت نفسى الا اشد منهم قصوراً ، واعلى منهم فى الجهالة كعباً . فطلقت ابحت اشعارهم التى يخيل الى المرء انهم صرفوا فيها كل قوى مخيلتهم وحكمتهم ، وسألتهم عما يقصدون منها ، لعلى اعرف منهم جديداً ، او اعلم ما لم اكن اعلم من قبل . والآن ، يا أهل أثينا ، ان وجهى ليندى مما اقول ، وقوله على ضربة لازب .

وجدت ان كل من حضر ندوتنا امكنهم ان يعرفوا من الاشعار ويتكلموا فيها بعبارات اشد طلاوة مما فاه به واضعوها . غير انني بعد ذلك ثبت الى نفسي ، وأدركت ان أوضاع الشعراء لا تبني على الحكمة ، بل على سايقة خاصة أو إلهام ما ، كما هي الحال في الانبياء . وإنهم ليأتون في أشعارهم بالحكمة وفصل الخطاب ، غير أنهم لا يفقهون مما يقولون شيئاً . ولقد ظهر لي أن الشعراء لا يتغيرون ، بل يظلون على وتيرة واحدة أكثر أيام حياتهم . وقد اتضح لي أنهم يتيهون عجباً ويظنون أنهم ذوي عقل وحكمة ، وأنهم يعرفون أموراً كثيرة كشفت لهم أسرارها دون بقية الناس ، وهم في الحقيقة لا يعلمون شيئاً . لهذا تركتهم علماً مني بأن لي عليهم من خطر السبق في الجهل مالى على رجال السياسة .



ARCHIVE

اتمهي بي البحث الى العالم الذين يحزنون كسبهم بقوة سواعدهم . وكنت أشعر دائماً بأنني غير عالم بحقيقة شيء يمكن أن يكون له قيمة ذاتية ، بل كنت أعتقد أن هذه الطبقة من الناس على علم بأسرار غريبة تأخذ بالعقول والالباب ، فلم تخطيء فراستي فيهم . وجدت أنهم يعرفون أموراً كثيرة لا علم لي بها ، ولا دراية لي بحقائقها ، فهم بطبيعة الحال أعقل مني وأوسع معرفة . غير أن طبقة العمال ، أيها الاثنيون ، لم يكونوا أقل من الشعراء حظاً في الاعتداد بأنفسهم . فكل منهم يعتقد أنه في صناعته أعقل من كل الناس ، وأوقف على أسرار الصناعات من غيره ، تهاً واعتداداً بنفسه . وهذه الخلة محت حسنات علمهم ، وحجبت عن الاعين حكمتهم . وعند ذلك سألت نفسي بالاصالة عن الصوت ، عما اذا كان ينبغي على أن أكون على ما أنا عليه ، بعيداً عن حكمتهم الصناعية وجهالتهم . من الاعتداد بأنفسهم ، أو أشبه بهم في كلا الأمرين . ولقد أجبت نفسي على

تساؤلى هذا، وبالأصالة عن الصوت ، أنه من الحكمة أن أبقى على الحالة
التي أنا عليها .

— ٩ —

هذا البحث، يا أبناء أثينا، هو الذى أوغر الصدور منى ودفع بكم الى الحق على النيل.
منى ، باشد ما يظهر الحق فى أخبث لبوسه والأثم ضروره. وتبع ذلك سلسلة من التأميم
والوشايات افتر يتموها على وكنيتمونى بسقراط. « الحكيم أو العاقل ». فان الذين كانوا
يلتقون بى يظنون انى عاقل حكيم ، وكنت أعمل جهد استطاعتي حتى أخرج
من رؤوسهم ورؤس غيرهم هذه الفكرة . والحقيقة ، يا أبناء أثينا ، أن العقل
والحكمة لله . ومن المحتمل أن الصوت لم يقصد من قوله الا أن يقول لكم إن الحكمة
التي تصل اليها العقول البشرية دنيئة لا يعتد بها ازاء الحقيقة المطلقة . ويخيل الى
أنه لم يقصد شخص سقراط الذى يتكلم فيكم الآن ، وإنما اتخذ اسمى علماً
جامعاً قصد به النوع البشرى : كأن يقول لكم : « أيها الناس - ان أعقلكم هو
الذى يعلم كما يعلم سقراط أن عقله وحكمته لا يقنيان شيئاً » .

هكذا كانت نتائج ابجاثى القصية منذ تلك الساعة حتى اليوم ، مدفوعاً
بواجب الطاعة العمياء لذلك الصوت حينما صادفت رجلاً من بنى جلدتنا أو
أجنبياً عنا ، اشتهر بالعقل أو وصف بالحكمة ، فاذا لم يظهر لى أنه عاقل عملت
بما ألهمنى به الله ربى ، وبينت له أنه ليس بعاقل ولا حكيم . وكنت خلال هذه
الفترة التي أبحث فيها بحثى المتواصل لأظهر حقيقة ما يقصده الصوت من قوله ،
مكباً كل الاكباب على عملى حتى انى لم أترك لى من الوقت ما انفقته فى عمل
ما غير هذا ، حتى نسيت شؤونى الشخصية ومصالحى . واننى كما ترون أعيش
عيش الفقر المدقع والفاقة الماسة لا تفرغ للقيام بواجباتى نحو الذى فطرني .

— ١٠ —

ولم يقف بى الامر عند هذا الحد . فان الشبان الذين يتبعون تعاليمى ،

والذين لهم من الوقت متسع - وهم أبناء الاغنياء ذوي الاموال الطائلة - قد وجدوا في مناقشتي الناس لذة لهم ونفعاً ، فعملوا جهد ما وصلت اليه قدرتهم ، على حفظ أقوالى وتسطيرها ، وأخذوا في سؤال الناس أسئلة كثيرة ، ليختبروهم بها ، وليقفوا على مبلغ علمهم وحكمتهم . وأنه يخيل الى أنهم لم يجدوا من بين الرجال الذين حادّوهم ، رجلاً يعرف شيئاً من الحكمة ، بل قشوراً لاتسمن ولا تغنى من جوع . فمن يتفق أن يناقشه تلاميذى يدفع به الغضب الى التحامل على دونهم ، ويقول إنه يوجد رجل يقال له سقراط ، اتخذ التضليل ديدناً ، وغرس مبادئ الشر والذيلة حرفة ، فافسد الشبان ، حتى اذا سألتهم عما يقول سقراط هذا وما هي مبادئ حكمته وأساس تعاليمه ، خرست السنتهم ، وصمت آذانهم ، ولم يقولوا على اخرج كلمة يتفوهون بها لجهلهم بمبادئى وتعاليمى . غير أنهم تخلصاً من جرح ذلك الموقف الذى يلقون بأنفسهم في غماره ، يأخذون في سرد تلك التهم التى يوجهونها الى كل فيلسوف عدت فلسفة أحد ادراكهم ، قائلين إنه يتكلم فى خلق السماوات ويبحث فيما تحت الثرى ، ويفرئ الناس على نبد المعتقدات الدينية وفكرة وجود الله ، ويظهر للناس حسناً مالىس بالحسن . انهم لا يتجشمون مشاق البحث وراء الحقيقة لينشروها بين الناس ، ويعتقدون أنهم على شىء من الحكمة واصولها ، وهم فى واقع الأمر لا يعرفون شيئاً . غير أنهم على جهلهم وطماعتهم وسعائيتهم ، قد تمكنوا بكثرتهم وترتيب أعمالهم وسيرهم على نظام موضوع ، ان يملؤوا رءوسكم بأضاليلهم وما نشروه عنى من مخازيهم الجلى . وتبعهم فى ذلك مليتوس وأنييتوس . وليقون . فأخذ مليتوس قيادة الشعراء ، وأنييتوس قيادة العمال ورجال السياسة ، وليقون قيادة الخطباء : حتى أنه ليكون من المعجزات ، كما قلت لكم من قبل ، لو سمعنى الحظ العاثر بان أخرج من أذهانكم خلال هذه الفترة القصيرة التى سمحتم لى فيها بالدفاع عن نفسى ، آثار تلك الاقاصيص التى نشروها عنى . هذا هو الحق الصراح بأنباء أئدنا . لم اترك حقيقة ، ولم اخف عنكم أمراً ، كبر

شأنه أم صغر . وعلى الرغم من هذا فاني موقن بانى قد استثرت بذلك عواطفكم وحركت احساساتكم ، ونبّهت ناظم حقدكم . وفى ذلك الدلالة الواضحة على أن ماقلتة هو الحق ، وأن التهم التى توجهونها الى لم تخرج عما وصفتها به فى درج كلامى ؛ وأن فروضى صحيحة ، وأن استنتاجاتى أصح . ولو تدبرتم الأمور او عانيتم مؤونة التفكير فيه من بعد ، لما عدوتم حقيقة شىء مما سمعتم .

— ١١ —

ارى أن فيما قدمت من القول ، هو كل ما فى الدفاع عن مسألتى أزاء متهمى الأول ، والآن أبدأ فى دفع اقوال مليتوس — الرجل الوطنى الخير كما يكنى نفسه — وأدحض ببرهانى مايقذف به نحوى من التهم المفترقة ، هو ومن تبعه . وهؤلاء هم القسم الثانى ممن وجه إلى التهمة منكم — ولا أشرح لكم الآن قرارهم الذى يتهموننى فيه . هم يقولون « أن مليتوس يؤكد أن سقراطاً مجرم . لانه أفسد الشبان وهوش عقولهم ، وأنكر الاعتقاد بالآلهة الذين يستمسك كل من فى المدينة بالآيمان بهم والاعتقاد فيهم ، وأنه خالق من قوة الوهم قوى آلهية اخرى احلها محل تلك » . هذه كل تهمة تهم التى توجهونها الى . فلنبحثها لعلمنا نستبين وجه الصواب . انه يقول بانى أفسد الشبان وأهوش عقائدهم . غير أنى أدفع هذا القول ، أيها الآثينيون ، بانه هو نفسه مجرم فى اشياء اخرى جديرة بالنظر والاعتبار : انه مجرم فى أن يدفع إلى المحاكاة رجالا يوجه اليهم تهما سخيفة مثل التى تسمعونها الآن ، مدعياً أنه يعنى كثيراً بأمور لم يوجه ذهنه ساعة إلى التفكير فيها . وسأظهر لكم حقيقة ما أقول .

— ١٢ —

تقدم يا مليتوس وخبرنى : انك تعتقد أن من الواجب أن يكون الشبان خيرون فضلاء بقدر ما تسمح بذلك الظروف .

— نعم

— وهل لك أن تخبر هيئة المحكمة عن يسلككم الصراط المستقيم ويهديهم السبيل السوي؟ من البين أنك تعرف ذلك الرجل، مادمت قد فكرت في الأمر، وتقول بأنك اهتمت إلى من يهوش عقولهم ويفسد عقائدهم، موجهاً إلى هذه النهمة وسقتني إلى المحاكمة أمام هؤلاء القضاة. فخبرني بربك أي الرجال يرقى بمستوى أخلاقهم؟ ويهديهم إلى الطريقة المنلى؟ أراك الآن وقد اسكتك حرج الموقف عن الجواب. ألا يتولاك الحجل. ألم أك صادقاً حين قلت أنك لم تفكر من قبل في الأمر. غير أنني أسألك مرة أخرى أيها الصديق عن ذلك الرجل.

— إنها القوانين وشرائع الاجتماع لا الرجال.

— كلا أيها الرجل الخير. لست عن هذا أسأل. إنما أسألك أي «الرجال».

أصالح لتربية الشبان وهدايتهم. ولا شك أن ذلك الرجل يكون ذا المام بأصول الشرائع

— أقول ياسقراط إن هؤلاء القضاة هم الرجال الذين يقومون بواجب تربيتهم

— أعتقد حقاً يا مليتوس أن هؤلاء الرجال هم أولى الناس بالقوامة على شؤون

الشبان، وهم الذين يرقون بمستوى أخلاقهم وآدابهم في الاجتماع؟

— معتقد ذلك كل الاعتقاد

— أيشمل اعتقادك الكل أو البعض منهم لا غير.

— اعتقادي يشملهم جميعاً.

— حسن. حسن. إنها الثروة عظيمة من الخيرين والزعماء. وماذا تقول.

في المحلفين؟ هل يمكنهم أن يقوموا بعبء ذلك؟

— أي نعم في استطاعتهم

— وماذا تقول في أعضاء المجلس؟

— وهؤلاء أيضاً.

— حسن يا مليتوس وماذا تعتقد في أعضاء الجمعية وهذا الجمع الحاشد

إنهم لا يهوشون شبانك ولا يفسدونهم على ما يخيّل الي . الا تقول أيضاً إنهم يصلحون للامر .

— أى نعم . كل هؤلاء بالشبان موصى وعابهم قوام زعيم .

— اذن: فالكل ماعدى يصلحون !!! يتضح من قولك أن كل من فى

« أثينا » يصح أن يكون للشبان هاد ، وأنا من دونهم رئيس عصابة الزنادقة

وزعيم الضلالة الكبير . الست ذلك تعنى ؟

— لم تخط يا سقراط الصواب .

— واسوأناه . ما اعثر جدى . ولكن اجبنى . ألك هذه الفكرة عينها

إذا بدلنا الشبان بالخليل . اتعتقد أن كل النوع البشرى برمته ، وفق فى تربية

الخليل ورياضتها ، الا شخصاً واحداً يمت نسلها ويبيد نوعها ؟ ام على العكس من

ذلك تعتقد انه يوجد فرد واحد ، او على الاكثر نزر يسير من الناس هم الاقلية

العظمى ، يمكنهم ان يزيّدوا نسلها ويحسّنوا من صفات نسلها ، وأن العديد

الافر والاكثرية الكبرى هم الذين يبيدونهم . اليس الامر كذلك يامليتوس فى

الخليل وبقية انواع الحيوانات كافة ؟ لاريبة فى ان هذا هو الواقع ، اعترفت به

انت وأنييتوس أم لم تعترفا . وانه من سعد هذا الزمان ، بل ومن حسناته البالغة

ان يكون فى طول أثينا وعرضها ، رجل واحد يضلل اهلها ويسلكهم مسالك

الفساد والذيلة ، بينما تهديه البقية الى الطريقة المثلى ! ومع هذا فقد برهنت

يامليتوس على انك لم تحلل العناية بامور الشبان محلها من الشأن والاعتبار ،

وأبنت السكل ذى بصيرة أن عنايتك بهم عدم صرف ، وانك لم تفكر قط فى

الامر الذى من اجله توقفنى اليوم فى موقف الاتهام ، وتنزلى منازل المجرمين .

الرومانتيسم

Romantisme

— ٢ —

وقبل أن نذكر قصة « كلاريس هارلو » الروائي الانكليزي هو « ريشاردسون » — خالق القصة الانكليزية الحديثة — وقصة « فرتر » للشاعر الالماني « جوته » يجب ان نعلم أنه أُلئت في فرنسا اثناء القرن الثامن عشر قصص كان اغلبها بلا قيمة فنية وتنوسيت على عجل. الا انها تشهد بتبدل صورة الحياة عما كانت عليه في القرن السابع عشر. تغيرت الحياة وصورتها في القصص. فان التحليل وقرع الحجة بالحجة ليس سوى « الاصغاء الى صوت القلب » و « تذوق حلاوة العاطفة » والاحساس « بشعور قلبي عنيف ورقيق معا » وافراز « سم الشهوات التي تلتهم » او « حلاوة بأسائها » او البحث عن « ملاذ في الآلام التي لا تكاد تخلو من حلاوة. والاستسلام الى كآبة الملاذ الوحشية ولواعج العاطفة اليائسة وتوخي الراحة في المحال. كذلك كانت طريقة « جريسين » (١٧٤٥) والاب برينفو (١٧٣٥) فقد كان ابطال رواياتهما يكابدون مرضا روحيا عضالا بلا سبب ولا علاج تأصلت في نفوسهم الكآبة والحزن والحاجة الملهبة وغيوب شيء حسن غير معروف، وأحسوا الفراغ واليأس ولم يتحولوا من الضجر الا الى الاسف وملل الحياة

في تلك القصص يبطل حب الطبيعة الهادئة المنسقة. وانما تحب الطبيعة الوحشية بما توحيه من اهواء وما تبديه من مستغربات. وكان التروض في الطبيعة عادة شائعة في القرن الثامن عشر. وكان المتروضون كثيراً ما يلذم اهواء الطلق في باديء الامر. وانما كانت تلذم على الاخص التأملات الشعرية

ذات التأثير . كانوا يتذوقون التأمل في ضوء القمر وصوت البوق في جوف الغابة والدوحات الباسقة والمستنقعات والدمى .

وكانت « مودون » و « مونمورانسي » و « فونتنبلو » ملجأ للعشاق وملاذ للقلوب التي خابت آمالها وانتابها اليأس . وابتدأ الجيل يعرف حياة أخرى غير حياة « الصالونات » وصار الكثير من ذوى النفوس العظيمة يلجؤون الى الطبيعة للحصول على ارشادات في الحياة ، وقوى تعين على الالم وملاذ ينسون فيه همومهم . وحسبنا ان نستدل على ذلك من رسائل مدموازيل « ليسبيناس » و « مدام اوديتو » او الكونتيسة دى سابران . وسرعان ماضقت وديان فرنسا وريفها وطبيعتها عن ان تسمع المتروطين . فجعل البعض ينشد في سويسرا وفي الجبال تأثيرات اقوي واشد سيطرة وإمتاعا للنفس . وفي سنة ١٧٥٠ صدرت اشعار عن سويسرا للشاعر « أل » « جبال الالب » — تذوقها جمهور المتأدين بلذ . وقد لفتت الانظار الى مشاهد جالية مجهولة . فابتدؤوا بحجرات جنيف و « بين » و « تون » ومساعد الجبال المتوسطة . ثم ترقوا الى وديان الثلج . الثلج الابدى في سويسرا . وذهبوا ينشدون اجل بواث الحماسه في الطبيعة . الطبيعة التي تعجز بلاغة الالفاظ عن وصفها . وإن ألحان الكنائس لتبدوا اصواتا صماء الى جانب خرير المياه المنحدر من الجبال .

واثرت تلك المناظر الطبيعية في النورسيين تأثيرا افضى الى الاستعانة بالصنعة على تبديل المناظر الريفية في بلادهم . وعلى الاخص الحدائق والبساتين . فان اصحاب القصور الريفية والرياض قرروا ان يغيروا الاطار الذي يحيط بقصورهم وان يبدلوا مناظر حدائقهم ونظام تنسيقها . وقد عني المصوران « واتو » و « لانكريه » باظهار ذلك التطور في الواحهما . ومن بعد سنة ١٧٥٠ شاع الاعجاب بالصخور الهائلة والسيول المزبدة والزوابع والامواج الثائرة وحوادث الفرق وكل ماهو جليل مروع . واعرب المصور « جوزيف فرنيه » في لوحاته عن ذلك الذوق الذي شاع في عصره . وكان الكثير من

النبلاء والسراة يوصونه بتصوير « زويعه هائلة » او « سيل ماء مزبد عرم
ينحدر من الصخور وبين الاشجار في غابة موحشة عذراء » . وذلك كان
ذوق الجيل الفرنسي الذي خص بحبه سويسرا وثلوجها وجبالها وبحيراتها .

وترقت مودة الحدايق الانكليزية ذات المباشى الغريبة التنسيق . وتحكم
الخيال والهوى والنظام الشئيت في كل شئ . وخلق كل ما يمكن ان يفتن
الارواح الرقيقة والمشاعر اللينة ويغذى الخيال

وتطور الشعور بما يؤثر تأثيراً وديعاً ليناً كالمناظر الريفية والرعاة
والاكواخ واصطبلات الالبان والابقار السمان الوئيدة المشي . والخراف
ذات العجيج — على منال التصاوير التي زينت بها « اقاصيص » جسر
وحكايات الرعاة للشاعر « فلوريان » — تطور الشعور الى المناحي الاسيفة
الكئيبة في الطبيعة . الانحاء المقفرة والصخور الممدودة المتراسة . والجوانب
المنفردة من الحديقة التي يحلو فيها الحلم والاديرة والقناطر المهجورة التي
تسكنها الارواح والكهوف التي وضعها « يونج » وهي تلك المناظر التي
توحى بشعر الماضي وتسمو بالارواح الى اجل التأملات . هذا الى القصور
العتيقة والكنائس المهدامة وقبور العاشقين والغابات الساحرة . وبالاختصار
اشتملت الحدايق على كل ما هو ممتع ومنعزل ووحشى ورقيق واسيف
وريفى بل على البحيرات ومناظر الخريف . والافتراد التي وصفها « لامارتين »
في « تأملاته » . ولم يكن ينتقص العصر وقتئذ غير منشدين مجيدين غير
« فوتري » وغير « كولاردو » .

الرجوع الى العصور الوسطى

في الوقت الذي ترقى فيه الميل الى الطبيعة الوحشية او المنسقة المزدانة
بالدمن والآثار القديمة ، ترقى الميل الى العصور الوسطى والى آثار فرنسا
الوطنية . ويرجع الفضل الى الكونت دى تريسان الذي اخرج سنة ١٧٨٢
كتاب « منتخبات من قصص القروسية » في الميل الى جماعة المنشدين
الافاقين « تروبادور » والآداب النظرية القديمة « الجولواز » . وصار ذلك

موودة شائعة . فاعادت قصص وقصائد « الزمان السالف الطيب » الى النفوس الرقيقة بلطفها وبساطتها وظرف اللغة القديمة . وتعددت التأليف والملاحظات في الادب السالف واقاصيص الفروسية الماضية . واعيد نشر اشعار « فيلون » و « شارل دولريان » (١٧٢٣ — ١٧٣٤) وديوان « مارو » الذين لم ينس قط . ولم تعد الاشعار والاقاصيص تنحلو من حوادث الفروسية وميادين البراز وحكايات العشاق القديم الخ .

ولشد ما كانت التأثيرات الاجنبية في تلك الحركة التي مهدت للرومانتيسم في فرنسا وعلى الاخص تأثير انكترا . فقد صدرت من هذا البلد الاخير قبل سنة ١٧٦٠ عن طريق « فولتير » و « مونتسكيو » نظريات الحرية السياسية والحكم الدستوري . الا ان « اولباخ » و « هلفتيوس » وجماعة الانسكاو بيديهم لم يلبثوا ان تجاوزوا حدود النظريات التي وضعها « اديسون » و « بوب » ومن بعد سنة ١٧٦٠ اضمحل تأثير الفلسفة ومبادئ الحرية الانكليزية .

ولم تكن انكترا في الجزء الثاني من ذلك القرن سوى موطن « فيلنچ » و « ريشارد سون » و « يونج » و « اوسيان » والاولان على الاخص استحوذا بتأثيرهما على الارواح الرقيقة الشعور . ولما كتب « ديدرو » في حماسة وافتتان جم تقریظه لريشاردسون اعرب ببلاغة عن رأى جميع الفرنسيين في ذلك الروائي المجدد .

وتذوق الفرنسيون المسرح الانكليزي بمثل الرغبة التي تذوق بها القصص الانكليزية . على ان شكسبير حين عرف في فرنسا صار موضوع جدل ونقد وقد وصفه فولتير بالمعتوه . وشاركه هذا الرأي تقريبا « رينفارول » و « لاهارب » . وكان الممثل « جاريك » وقتئذ مشهورا في اوروبا . فجعل يمثل امام الفرنسيين منذ سنة ١٧٥١ مقطوعات من « هملت » في الصالونات فابكى النظارة لحالة عاشقى « فيرون » والملك اير « الضال في جوف الغابة » و « قلب اوفيليا الكسير » . فلم تلبث الترجمات عن شكسبير ان تعددت

وشاعت محاكاته وتقليد طريقته . وذاع في المملأ الفرنسية صيت « روميو وجوليت » و « عطيا » .

وبذيع درامات شكسبير كان غزو الروح الانكليزية لروح الفرنسية . والاولى قائمة وحشية مديئة بالضباب والخفاء ، ولكنها عميقة وتعرف كيف تطلع على ما يحرك الخيال ويلقى بالنفس في موجة عميقة من التأثير والهول . ومن قبل ذلك كان بعض الفرنسيين قد هوى الهدوء الجميل الذي يسود القبور والاموات . غير أنه لم يتغن به الا بما يئم عن التردد والاحجام او بما يدل على الخرق . وينسب الى « هارفي » و « جراي » وعلى الاخص « يونج » — من شعراء الانكليز — الفضل في اشتمال ذلك النوع من الشعر — شعر القبور — على اليأس الذي لا رجاء بعده والمسرات الاليفة للقلب الذي هجره الكل .

اما « ليالي » الشاعر « يونج » فانها تأملات خطابية ومحاورة مشحونة بالتعابير البيانية والقيمة المصطنعة . وقد نالت نجاحا عظيما لما ترجمها « ليتورنور » سنة ١٧٦٩ بنثر غير بليغ ، ولكنه كان أشد اضطباغا بالحزن والاسى من الاشعار الاصلية . ولقد حسب البعض ان « يونج » روى قصة حياته . وقد اذرف الدموع على ذلك الاب الذي حفر بيديه في الليل البهيم تحت ضوء مصباح ضئيل قبر فتاته المحبوبة .

وبفضل تلك التأثيرات الاجنبية وبالرغم من سخريات « فولتير » كان نشوء « النوع الحزين » في الادب بالتدريج . ومنذ ذلك الوقت امتلأت أقاصيص « دورا » و « كولاردو » وروايات « باكولار » و « أرنو » و « لوى مرسين » بالعواصف والقبور والجحيم وهياكل الموتى والقضاء المملوء بالعناصر الشائرة والجرائم والعذاب الناشئ عن تبكيت الضمير .

وكان لا بد لذلك النوع الحزين في الأدب من إطار يلائمه . وقد خلقه « مكفرسون » . فان أشعار « أوسيان » اشتملت على أجواء الشمال وآلهته والضباب والثلوج والزوابع التي تختلط بأصواتها أصوات السيول والرياح

والأرواح النائرة . وفي « أوسيان » يتجلى كل ما اشتمل عليه أدب الشمال من مرئيات حزينة وجالية ومروعة . ويجب أن نشير هنا الى أنه لم يكن في ذلك العصر تمييز بين « إيقوسيا » و « الجول » و « إرلندا » و « الدانمرك » و « النرويج » بين بلاد الصلت والبلاد الجرمانية . وإنما كان الاعجاب عاماً شاملاً بالكل دون استثناء .

ولم يكن ذلك الاعجاب والفرح بالأدب الأجنبية شذوذاً عن سبيل الحكمة . فان الميل الى ما هو أسيف حزين لم يسلم من الجدل والنقد حتى عصر الثورة .

وفي الحق أن شكسبير ويونج واوسيان وسائر الانكليز والصلت والسكنديناف قد أثروا في فرنسا بأشد من تأثيرهم في البلاد الجرمانية .

التأثير الألماني

ظاهر أن تأثير الأدب الألماني الذي كانت حركته الرومانتيكية مبكرة ، استشعر في فرنسا على عجل . هذا في الظاهر ، ولكن الحقيقة التاريخية تخالف ذلك . فقد كانت ألمانيا بوجه عام مجهولة أو مكروهة قبل سنة ١٧٦٠ . كانت في نظر أغلب الفرنسيين موطن « كانديد » وقصر « توندر - تانترونك » والمستنقعات النتنة والبارونات البledاوات والنساء السمان الساذجات . وكان رأي فولتير فيهم أنهم فلاحون أقحاح . وقد عرفهم فولتير وكانت لديه الأسباب الكافية للتأفف منهم . الا أن ذلك البledالماليت أن أخرج عدداً من الرجال العظماء . وسرعان ما اطلع الفرنسيون على تأليف « فيلاند » التي أدت اليهم ما أعاروه هم الالمان . ثم كان اتصالهم بأفكار « كلوبستوك » وديوان « مسياد » وعرفوا « جيلر » و « هاجيدون » . واذ ذاك علموا ان الالمان ليسوا فلاحين بالدرجة التي وصفها بهم « فولتير » . وإنما ساموا بأنهم « سدج » وهم الى ذلك أقوياء الشعور وفضلاء . فجعلوا يتذوقون السذاجة الألمانية والهدوء في القرى التي تظلمها أشجار الزيزفون وقباب الاجراس .

ثم كانت نهاية القرن حيث أظهر « شيلر » و « جوته » للعالم موطننا ألمانيا آخر أشد حرارة وأكثر رومانتيكية . فنقلت الى الفرنسية رواية « قطاع الطرق » — لشيلر — و « فرتر » لجوته فكانتا موضع إعجاب عظيم

وتوالى الترجمات والاقتباسات من سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٧٩٥ فصدرت عشرون قصة انتهى فيها الحب بالانتحار — على طريقة فرتر — أو ختم على الأقل باليأس التام من الحياة . وصارت الفتيات ترغب في الاطلاع على « فرتر » وتتأثر بها . فشاعت « النوراستانيا » وصارت مودة بين الفتيان والفتيات . وصار البعض ينتحر قنوطاً من الحياة ، كذلك الشاب الذى طعن صدره بخنجر فى « ارموتميل » أمام قبر روسو .

جان جاك روسو

وليس يكفى التأثير الانكليزى والالماني وتأثير العصور الوسطى لتفسير الرومانتيسم الفرنسى . فهناك تأثير آخر يفضلهما . تأثير عبقرية فذة أضافت إليهما كنوز شخصيتهما القوية وسأقت آدابنا بقوة فى سبيل جديدة . تلك هى عبقرية جان جاك روسو .

لم يستكشف روسو أدب الشمال . فقد عرف من قبله . ولكن عود الفرنسيين أكثر من سواه على أن يتذوقوا ويشعروا بما فى طريقة الالمان والفرنسيين من جمال ، فوسع بذلك مجال التصور والخيال الذى كان محدوداً .

وطبع الآداب الفرنسية على الاخص بطابع مزاجه الغريب . وبذلك أحدث وحده انقلاباً . فاعاد سيطرة العاطفة فى الادب . وكانت قد اضمحلت منذ نصف قرن وحل محلها الذكاء . وبتأليفه صارت الآداب ظلالاً لما يحسه القلب . الآداب التى لم تكن من قبله الأثرة للفكر وحده . وبالأجمال جعل روسو للعواطف القلبية الكفة الراجحة فى الشعر والبلاغة واليريسم . وهو اتساع هام جداً فى أفق الادب .

ولما كان روسو ابن أحد اتباع كلفن من جنيف وتربى خارج التأثيرات الملكية والكاثوليكية ، فقد اعتقد فطرة بالحرية والمساواة الطبيعيةيتين . ولما كان ذا خلق استقلالى لا يخضع لاي قيد أو نظام وعدو لكل تقليد فان ذاتيه كانت مفردة . وظل في ثورة دائمة ضد المجتمع في عصره فهدم جميع الحواجز التي تعترض شخصيته أى تعترض لفظة « أنا » التي جعلها ديناً في الادب . وقد دافع عن ذلك الدين الذي يرمز اليه « بأنا » مقدار ما كان مزاجه الحاد يتطلب من حرية ومن استمتاع .

فبسط جناحي تفكيره ونظره على جميع الاشياء التي تحيط به وتناول بطريقته الذاتية الطبيعة المادية والادبية وكان هو نفسه مادة كتاباته وغايتها وما روته قصته « هيلوئيز الجديدة » عام ١٧٦٠ وكتابه « اميل » عام ١٧٦٢ و « اعترافاته » و « احلامه » عام ١٧٨٢ لا يخرج من المأساة الداخلية لشخصه التي تعتلج بين محيط من شهواته وحججه ومحاولاته وافكاره واحلامه وتجاربه . وهو ابدأ مستعبدا للعاطفة التي تواتيه بسرعة البرق . والعقل عنده هو الخادم المطيع للاحساس لانه خاضع لشعوره الى الحد نادر . وقد تميز بذلك عن جميع معاصريه . قال الناقد لانسون « كان وسط الذين يهتمون بالتفكير بهم بالاستمتاع وبالتأمل ... وقد وصل غيره بالتحليل الى الفكرة المستخلصة من العاطفة . ولكن روسو بمزاجه كان مستحوزاً على حقيقة العاطفة . واولئك قد كتبوا ، ولكنه عاش »

وطبعي ان تقوده شخصيته الى اليريسم ، وببلاغة ذلك اليريسم اشترك روسو في الانقلاب الادبي . وقد هز العالم القديم وهدمه . وبرهن على انه محال وعيب . ذلك الكاتب الذي كان موسيقياً بل ذلك الفيلسوف الذي كان شاعراً . ذاك الحوارى الذي كان شاعراً قد سيطر على الافكار بقوة . ذلك لانه استملى من عواطفه ورغباته القوية . وكانت افكاره تشبه ان تكون ممزجة بحساسيته وشهواته .

ومن اجل ذلك كله يعد بحق ابا الرومانيسم . وكل مافيض من تأليفه

شاتوبريان ولامارتين انما هو منه ولم يتجاوز مجهود « ديموسيه » غير ترجمة روسو في اناته .

ولم يفتح روسو معين الدموع لاغير . بل لقد علم الفرنسيون في القرن الثامن عشر ان يحسنوا النظر الى الطبيعة . وعلمهم ان يروا المناظر الريفية بمراثيها وحوادثها وصفاتها وان يشعروا بمواطنهم وان يجملوا لها اطاراً، ومنذ ذلك الوقت صار لما أساء الحياة الانسانية اطارها وذلك من خير استكشافات الشعور الليريك .

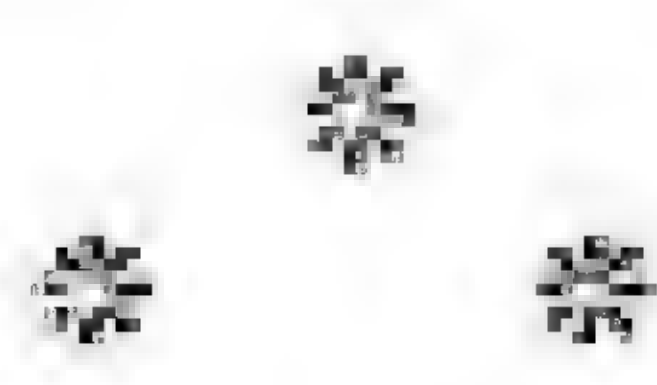
وقد صور في كتاباته الذاتية البيوت الريفية بابقارها واصطبلاتها وحياتها الضجوة المفرحة وديوكها التي تصيح وثيرانها التي تمحور وصور لمعاصرة ببلاغة جمال مطلع الشمس وهدوء ليالى الصيف ، ولذت الاستمتاع بالريف، وسر الغابات الصامته ، وكل تلك المناظر التي يمرح فيها البصر ويمتع . وهي مناظر رأها وعاش فيها . وقد صورها بوضوح فنان عاشق للطبيعة .

واطلع الفرنسيون على مدنيات سويسرا والالب والوديان العميقة والجبال الشامخة . وقد كان تمجاح « هيلويز الجديدة » نجاحا لبحيرة جنيف . فتهافت الفرنسيون على تلك البحيرة ينشدون آثار « جولى » و « سان برو » وتتبعوا آثار روسو نمسه في الأنحاء السويسرية

وكان ممن ساروا على طريقة روسو من الشعراء والكتاب « سان لامبر » صاحب كتاب « الفصول » وروشييه و « دليل » صاحب « الحداثق » « ورجل الحقل » و « برناردان دي سان بيير » الذي كان من عباد الحياة في الطبيعة وهو صاحب « الكوخ الهندي » و « بواصير ومزجيين و « الحان الطبيعة » الا ان عواقب الحركة الفكرية التي قام بها روسو لم تظهر الا بعد اربعين سنة . اذ صدحت موسيقى الرومانتيسم في فرنسا . ولقد حكم روسو النظرى مع روبسبير ولكن روسو الموسيقى لم يغن في عهد المقصلة « الجيليوتن » وزيد ان تقول انه حدث وقت تراخ وخمول في حركة التجديد الادبية ابان الثورة .

الوعود

إذا كان في دنياي شيءٌ أعدُّه
صدوقاً وإن لم أبله فهو الموت !
سمعت وعوداً في حياتي كثيرةً
وصدقتها لكن تناولها الموت
وقد ضحكت مني ولكنني اندي
ضحكت كأنني بالعقوق تسليت !
كأنني (بروميس) الذي لم ينل سوى
شقاء جزاء الذي كنت أسديت
فإن صالح الأقدار بعد نخاصم
فأست مصافها ولا أنا عادت
لتعبث بي الأقدار ماشاء حكماً
فاني كصبار وإن أنا عانيت
وماخوفي الإِعصار بعد هبوبه
إذا انطفأ المصباح واندلق الزيت !
وأي جحيم بعد أخشى لهيبه
إذا احترقت نفسي كما احترق البيت !



وناجيت حضي ثم أغفلته وقد
تذبذب ، حتى جاءني فتأيت !

عرفت زمانى بالغ اللؤم خائناً
 وما (الخط) إلا ابن له يوم ناجيت !
 لئن نلت منه بعض برٍّ محقق
 فمن قاس ما أعطى بما أنا أعطيت ؟
 إذا هو حيانى فى غده أرى
 تقيض الذى آنت منه ولاقيت
 فأصبحت لأبكى ضياع مروءتى
 إذا الخلُّ عادانى عقوقاً وصافيت
 ترقبت عمرى أن أساء معانداً
 دواماً ، فأسقانى (الشقاء) وأسقيت
 شربنا (١) على نخب الولاء كأننا
 صديقان مذكراً كنا فدام ووفيت !
 فإن عضنى غدرًا وصحت معانياً
 ونحت كعلت حكمتى فتباكيت !
 على أى شئ فى الحياة مدأ معى
 وما وسعت بعض الذى قد تمنيت !
 وائى جمال غير ماقد كحته
 بنفسى ، فإن تشكر فما أنا حاييت !
 رأيت بها (الدنيا) جمالاً ، ومهجتى
 تقابى ، وكم أخفيت ما كنت قلست

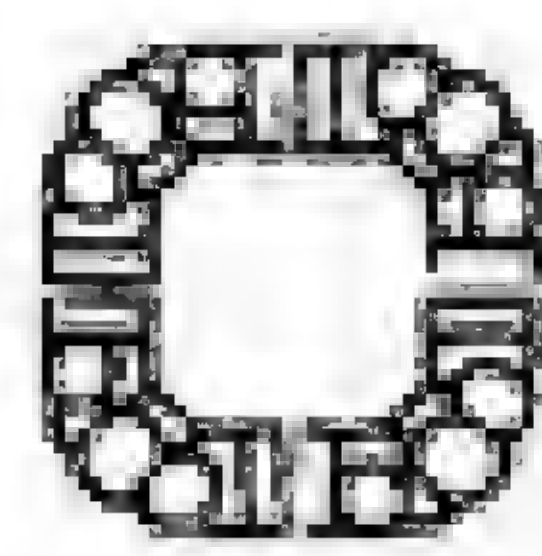
إلى أن أكنى فتنى صبية الهوى
 بوعد برى نفسى لاني باليت
 خالت ظلاماً بعد نور لناظري
 وأنيت أحلاماً بهن تناهيت ١

*

* *

أما وفؤادى كاد يقتله (الهوى)
 ويأطالما فى الشعر بالحب داويت
 وقد بات مثلى مجهل (الحسن) حقه
 فأمسى بعيداً عن ندائى وأمسيت
 وما زلت أجنى غير ما قد بذرت
 ويتبعنى العذال واللو والليت
 فبالله رفقا واتركنى لحسرتى
 هنيئاً ، بلا وعدٍ بما فوقه الموت ١

أبو شادى



كيف كنت سخيفا

للاستاذ الكبير حسين محمود

أردت ان أحبر مقالة للعصور فتزودت من المراجع حاجتي . كتاب
لهيجو في جيب البنطلون الخلفي . وكتاب لشيلر في جيب (جاكتي) اليمين
وكتاب لود سورت في جيبيها الشمالي . مؤلفات دانتي في جيب ردائي الايمن
ومؤلفات سبنسر في جيبيه الايسر . تأبطت دائرة المعارف البريطانية بيمينى
ودائرة معارف المانية بيسارى ، ثم قبضت بكلماتى على كتاب الابطال لبلوطرخ
وألصقت انفى به بعد ان أثبت عوينتى فوق ارنبتة . واما الاقلام والاوراق
فقد حشوت بها جيبي سروالى اليمين واليسار مع جيوب صدرى

ولا اكتمك قارئى باننى مغرم صب . اجل . فقد برأى الحب رغم انى
دولاب كتب عامية متنقل . قات فى نفسى لأملأ فراغ جمجمتى بشيء
وانا قاصد مكان اللقاء ، لقاء الحبيبة التى تيمتنى بحبها . وكم انتظرها عادة حتى
يبدو لمزاجها ان نحن وتظهر فليسحالى — اجل قارئى العزيز فحبوبتى سحلية
ممتشقة القامة ، مكتحلة العينين ، حمراء الخد — لذلك اتخذت اهبتى لا كتب
مقالى بدلا من انتظارها على احر من الحجر

سرت وانا اقرأ ، وقرأت وانا اسير ، الى ان ارتطمت بشيء صلب فتبينته
واذا به ابو الهول . فالتقيت بنفسى ارضا واخرجت ادوات الكتابة ، ولما حاولت
ان املأ الورق بما خزته جمجمتى لم اجد فيها شيئا اصلا . وبالبحث اتضح اننى
كنت اقرأ دون ان اسد ثقباً فى اسفل الجمجمة ، كنت احرص جهدي على
عدم تركه مفتوحا كي لا يتسرب ما اقرأ منه الى الخارج . وعبثا بحثت عن شيء
لاسد به الثقب فلم اجد فاسلمت امرى للمقادير

سمعت شخصاً يقترب فتطلعت الى اعلا . يا لله ما أجمها ، فتاة غضة الاهداب
اقتربت منى ، تعلو شفتيها ابتسامة لطيفة ولم تلبث حتى ابتدرتنى قائلة :

- انت مجنون ؟ لم لا تجلس على المقعد بدلا من افتراش الارض مثل السوقه ؟
- مقعد ؟ . . . (سألتها وانا اكنم ابتسامة وامنع نفسى من وصفها بالجنون حنانا منى) وهل اوجدوا مقاعدا حديثة قرب ابى الهول
- ابو الهول ؟ ما بالك يارجل اين انت من ابى الهول ؟
- (ضحكت سرا على بساطتها المتناهية وتأكدت من أنها آتية ، ولا شك ، قريبا ، من بلد ناء . ثم خطرت لبالى فكره . قلت لنفسى الا يجوز ان تكون هذه الفتاة حبيبتى السحلية جاءت متنكره ؟ فسألتها)
- أأنت حضرة السحلية ؟
- قطع الله لسانك ايها الافعي
- حقا انت هي السحلية ؟
- اذا لم تحتفظ باديك سأشكوك للبوليس . ففتق عقلى عن حيلة لطيفة .
- فخصدت لها طاقة من «الهشيم» قدمتها بلباقة ، كما افعل عادة مع غزائى السحلية . فرفضتها بغضب . فقلت
- عرفت الآن انك لست السحلية فلو كنت اياها لتقبلت عربون المحبة . كما تتقبلينه عادة
- وكانها ارادت ان تنكص على عقبها غير انها لم تفعل و بالعكس سألتنى
- من اي بلد أنت ؟
- من صميم القاهرة
- القاهرة ! أأنت صادق وهل هذه سحنة القاهرة ؟
- نعم . . . بالطبع . . . اسألى الانس والجنان عن ادبى يخبرونك عنى .
- انت اذن (ادبائى) ؟
- لغة من اديب . . . اجل . . . اديب ، مؤدب ، ادبائى
- ما اسمك ؟

— عبدك الخاضع حسين محمود

ولكن هناك رجل واحد فقط مشهور بمناجاته للسحالى ، فهل انت هو ذلك الرجل ؟

- ارجو ان لا تغمطين حثهن من الرقة والجمال ، فهناك كثير من
الـ جين بدلال السحالي ورقتهن

— وهل تنتظر سحالاتك هنا ؟

— وابن اذن انتظرها سوى على هذه الرمال الهندسية الشعرية ؟

— ولكنك مضطجع ياسيد على الاسفمت وليس على الرمل

— وهل يحيط بابي الهول أسفلت ؟

— لست عند أبي الهول ولكنك عند تمثال تهضة مصر

رفعت بصري مرة ثانية وحقيقة لاحظت ان بقرب ابى الهول شئ
آخر يشبه امرأة فسألته

— هل مصر الحديثة ترفع ابى الهول ام ان ابا الهول يقوم من ذاته

— ? ! ? !

— وهل لاحظت ابا الهول — فى حقيقة الحيوانات — يعتمد على مقدمتيه

عند ما يحاول الوقوف او يعتمد على مؤخرتيه ؟

وكان شيداً جديداً قد نجلى لها ، واشهد اننى حضرت وقتئذ منظر

ارشميوس وهو يصيح قائلاً يوريكا - يوريكا عند ما اكتشف فكرته وهو

فى الحمام ، فصاحت بى منفعلة

— عرفتكَ الآن . عرفتكَ الآن . انت ابراهيم المازنى

— المازنى ! ياخبر اسود ! المازنى ! لا . لا . لا . ابدا

— انت هو المازنى . مازنى السحالى ، مازنى الهشيم ، انت هو فلا تنكر

— المازنى !! ابدا ، ابدا ، انا حسين محمود . يخلق من العقل اربعين

سبحانه وتعالى

— ابدا . انت المازنى . وهل هناك من يفعل ما تفعله انت غير المازنى .

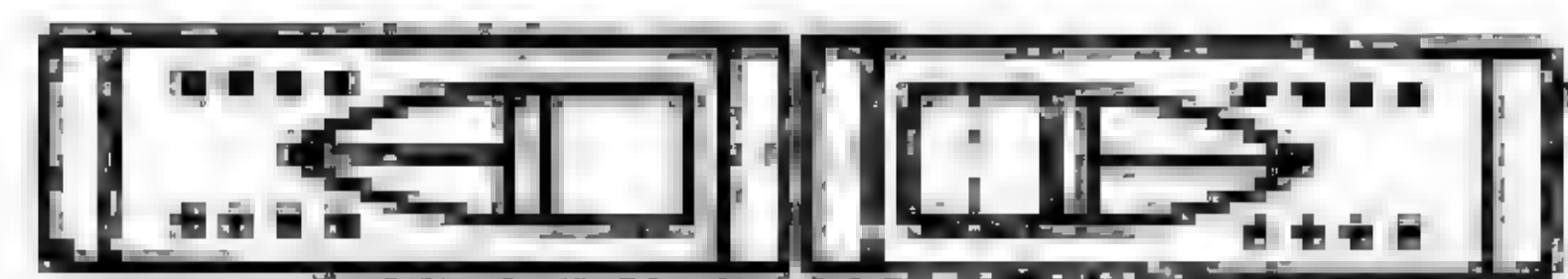
قم ايها المجنون . قم

— سيدتى بالله كونى واثقة . . . تأ كدى بالله ان ايس هناك وجه قياس

بينى وبين المازنى . انا كبير ضخم الجسد واما هو فحقير لا يعتنى الناس به ولا يلتفت

اليه احد ابدا . اما انا فشيك . . . شيك جدا

- انت تكذب يا ما زنى السحالى يا . . .
- ولكن لست انا الا . . .
- هيا اعترف بانك كاذب ، وانك المازنى
- ولكن اعترافى يكذبه الواقع . فالمازنى قزم وصغير بالنسبة الى انا الا . . .
- يا للادعاء وهل بلغت بك الصفاقة لدرجة تحاول معها احتكار السخف لنفسك
- انا . . . انا سخيف ؟ انا عبقرى انا خفيف الدم . . . انا
- ولم اشعر سيدي القاريء الا وكف قد التطم بوجهي ، ولما ادرت
رأسى شاهدت رجل البوليس يقول
- اغرب من هنا ايها السكير والا قدتك للقسم
- انا سكير . . . انا (فانها ل على ضربا وركلا وهو يقول)
- امشى ايها . . . يا . . . والا . . .
- فاسامت ساقى للريح ولم انس قبل ان ابعد ان اودع الانسة قائلا « الى
اللقاء هنا غدا »
- وجاء الغد وكرت الايام والاسباع والاشهر والسنين ولم اجد من تقسى
شجاعة كافية للملاقاة الحبيبة الجديدة الفاتنة . . .
- الست سخيفا يا عباد الله ؟
- حسين محمود



معنى التطور

طالما تساءل الناس عن السبب في كسوطبقة شعرية لأجسادنا، أو في سواد بشرة الزنجي وصفرة بشرة الصيني الخ ما هنالك، مما يجذب الانظار لتنوعه والجواب على هذه الأسئلة وغيرها ينحصر دائماً في أن الطبيعة، بكل محتوياتها، قد ارتقت خلال عشرات الملايين من السنين الى أن وصلت الى ما هي عليه الآن . وكان التغير دائماً جزئياً . ولكنه كان أيضاً متتابعاً، وبواسطته تشكلت الصور المتباينة للأشياء . هذا ما يسمونه « التطور » . فالجسم الانساني قد تطور عن خلية واحدة ، والدولة عن القبيلة ، وهكذا . فأخذ كل تطور أدواراً عدة حدثت فيها زيادات كما حدثت فيها تقائص

ومن الغريب أن أجدادنا لم يلتفتوا الى هذه الظاهرة التي كانت بارزة حولهم في كل زمان ومكان . فاللغات ما هي إلا عبارة عن مزيج من اللهجات المختلفة التي تعرضت للتغيير والتبديل . كذلك من السهل على الباحث الوقوف على تطور آلات القتال مثلاً . ويظهر أن الذي حدا بالسلف الى عدم معرفة هذه الحقيقة ضعف قوة الملاحظة فيهم ، إذ كيف لم يلاحظ ولا واحد منهم أن كل الزهور قابلة للنمو، وأن نمو البعض يختلف عن نمو البعض الآخر في هذا كل المعنى المقصود من لفظة « تنوع »

فلنفترض الآن أن كل الموجودات نشأت عن أصل واحد منذ بضع ملايين من الاعوام ، فتنفرع كل فرع الى شعب عديدة يختلف كل منها عن الآخرين ولو اختلافاً بسيطاً . فتتابع الشعب الملازم للاختلاف لا بد وأن يؤثر في الشعب المتباعدة التي تنج بعد أحقاب عديدة ويزداد مع تشعبها الخلاف والتنوع

ويجب أن لا ننفل بأن آثار الاقدمين تحوى طفرات فكرية غير قائمة على بحث ، فمنها يفهم الجيل الحاضر أنه قد مرت بأفكار الاول تصورات عرضية

عن إمكان رجوع الأنواع الى أصل واحد ، وهذا موجود في كتب قدماء اليونان الذين تصوروا نمو كل ما كان موجوداً في عصرهم كما قال لوكراطيوس . وقال القديس أوغسطين إن كل الحيوانات والنباتات قد نشأت عن بذرة أخذت في النمو منذ فجر التاريخ . وأبدي راهب اسمه جيوردانو برونو في المصور الوسطي فكرة قد تصاح لكي تكون أساساً لنظرية التطور لو لم يقضى عليه العسف بفضاعة وقسوة أذاتهم بالهرطقة .

كادت أوروبا تسلم في الوقت الحاضر بأن كل الموجودات من القمر الى السنطة ، الى الاقحوان ، الى القط الى الرجل لم تخلق بالصورة التي هي عليها الآن ، بالرغم عن ادعاء الكتب المقدسة عكس ذلك ، وهكذا أخذ العلم يربح الموقعة ساخراً بالخرافات المتوارثة

وكل الفضل في تبين حقيقة التطور للصخور ، فبين طبقاتها قد وجدنا هياكل الحيوانات والنباتات المعاصرة لبعضها البعض . وهي تختلف عن أمثالها في الطبقات السابقة واللاحقة . قد ثبت لنا ومن الصخور اندثار أنواع وظهور أخرى

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وبالقياس على التطور المادي أمكننا الاستنتاج بتطور نظمنا الدينية الى الاحسن . وكذلك الحال في نظمنا الاجتماعية ، وتسبب عن هذا تقدم يذكر لثقافتنا . وحتى نظرية التطور نفسها قد تطورت ، وليس معنى هذا انه قد ثبت فساد الفكرة في جوهرها بل قد أصبحت نظرياتها أقرب الى الصحة من ذي قبل . فقد قال دارون ان الاحياء تنشأ أكثر مما تحتاج اليه الطبيعة ، وقد نتج عن هذا ما يسمى « تنازع البقاء لبقاء الاصلح » فالقوي هو الذي يتمتع بالحياة في حين ان الضعيف يفنى . ومقصود دارون ينحصر في التنبيه الي أن الطبيعة « تنتخب » القوى دون الضعيف . هذه هي نظرية « الانتخاب الطبيعي » أو « الطبيعي حتي لا يغضب الاستاذ وحيد الايوني » فلوأردنا تطبيق هذه النظرية على العقبان مثلاً ، نقول أن نجاح العقاب في مكافحة الحياة يتوقف على متانة جناحيته وقوة نظره . فكما فقس البيض عن عقبان

مميزين بهاتين الخصلتين يورثونها لآعقابهم فتصبح خاصيات لسلاسلهم فيتمكنون هم دون غيرهم من رؤية أكبر عدد من الفرائس ، وينجون دون غيرهم بانفسهم من الهلاك أيضاً . وقد ظهرت أخيراً نظريتان إلى جانب هذه النظرية . وها أنا أبسط للقارئ النظريات الثلاث للمقارنة بينها : —

(دارون) ينتج التقدم عن الانتخاب الطبيعي فيبقى الاصلح وينفي الاقل صلاحية ، ومعنى هذا أن الطبيعة تمحى أثر العاجز . فالقوة والحواس والاسلحة الخ . أخذت تتحسن ببطء إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن (ويزمان) تأثير الطبيعة أمر ثانوي ، فإن التقدم يتم في الخلية الواحدة ويتتابع ببطء في السلالات المتتابة حتى يصبح من مميزاتها

(هندل) تزداد بعض الشذوذ في السلالات وتزول من البعض الآخر فتشع بمرور الزمن شقة الخلاف ويحدث التنوع . وهذه النظرية تسمى (قانون الوراثة)

وانك اذا راقبت صفار الحيوانات تجدها دائماً تتسابق إلى الطعام فيبذل كل منها جهده للاستئثار به . وكذلك يتزاحم العمال على العمل لأجل كسب العيش ، وفي كلا الحالتين يظل العاجز عن النضال دون طعام فيهلك وبالقياس إلى ما سبق . قيل أن العالم يتكون من ألفي مليون نجم على الأقل وكل نجم منها مائل لشمسنا . وكما أن لشمسنا سيارات تدور حولها لا يبعد أن يكون لكل شمس (نجم) أخرى سيارات أيضاً . فالعالم المترامي الأطراف يحوي عوالم محدودة تشبه عالمنا المحدود ، يزيد عددها عن مئات أو آلاف من ملايين الملايين ، كلها تسبح في أميال لا يحدها الحصر من الفضاء . وتتفاوت درجة حرارة كل نجم منها من $3/000$ إلى $30/000$ درجة بمقياس سننتجراد (وهذا بالتخمين) فالقليلة الحرارة تظهر حمراء ، وأما الكثيرة الحرارة فتتراءى لنا بيضاء سماوية (بميل إلى الزرقة) ويقدر أن محيط شمسنا (وهي إحدى هذه الأنجم) $860,000$ ميلاً بالاقبل . وأما حرارتها الظاهرة فتبلغ $5,700$ درجة . وأما باطنها فحرارته تبلغ $1,000,000$ درجة . ولكنهم يقدرون محيط

كوكبة قنطوروس : ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٤٠٠ ميل . ويلاحظ أن نور شمسنا أصغر (أى بين بين) . وتختلف أعمار هذه النجوم عن بعضها اختلافاً بيناً، وشمسنا ليست إلا إحدى النجوم المتوسطة العمر . كذلك يقال إننا نرى أضواء نجوم حين أنها قد انطمنت منذ امد بعيد جداً ، ولكن ضوءها مازال محبوب أديم الفضاء ولما يصل إلينا .

إنك لو تركت الغبار يلج غرفتك، لرأيت أرضها مكسوة بطبقة منه . والسبب ينحصر في أن الأرض « تجذب » دقائق الغبار إليها . فلنفرض الآن أن هذا الغبار منتشر في ملايين من أميال الفضاء ، وتحوى كل ذرة منه على معادن وغازات ، فاجتهد الآن تصور ما ينتظر أن يحدث

فإذا فرض إمكان تصور الذرات بكثافة واحدة ، والتأثير الخارجى على كل منها مساوي للتأثير الحادث على الباقيين تظل هائمة في الفضاء على ما هي عليه إلى الأبد . ولكن من الاستحالة بمكان أن تتوحد الكثافة . ففي الذرات ما هو أكثف من غيره . ولذلك يجذب القليل الكثافة إلى ما فيه كثافة أكثر ويحدث عن هذه العملية حركة دورية

يشاهد البعض منا ما نسميه النجوم الهاوية، وهذه ليست سوى معادن حامية تثقل في فضاء اللانهاية . فإذا ما دخل أحدها في الفضاء المحيط بالأرض (أى في منطقة جاذبيتها) ترى ساقطة ، وذلك لأن الأرض أكثر كثافة من تلك الكتلة الحامية . فهذه الكتلة واحدة من وحدات لا تعد تسبح في العالم المتسع . وانضمام ذرات معا في ملايين من الأعوام يخلق كرة مرنة هنا ، ويخلق أخرى هناك . وثالثة ورابعة كلها بعيدة عن بعضها البعض . وبما أن كل كرة فيها مواد أقل تقلداً من غيرها ، فبالطبع يطفو ما خف ويرسب ما ثقل منها . ولتعرض السطح للهواء يأخذ في البرودة فتتكون منه قشرة في حين أن الغازات تحيط هذه القشرة . هذا هو تعليل تكوين النجوم التي تظل دائرة حول نفسها ، وهى تعمل على جذب كل ما دخل في منطقتها من النجوم الصغرى .

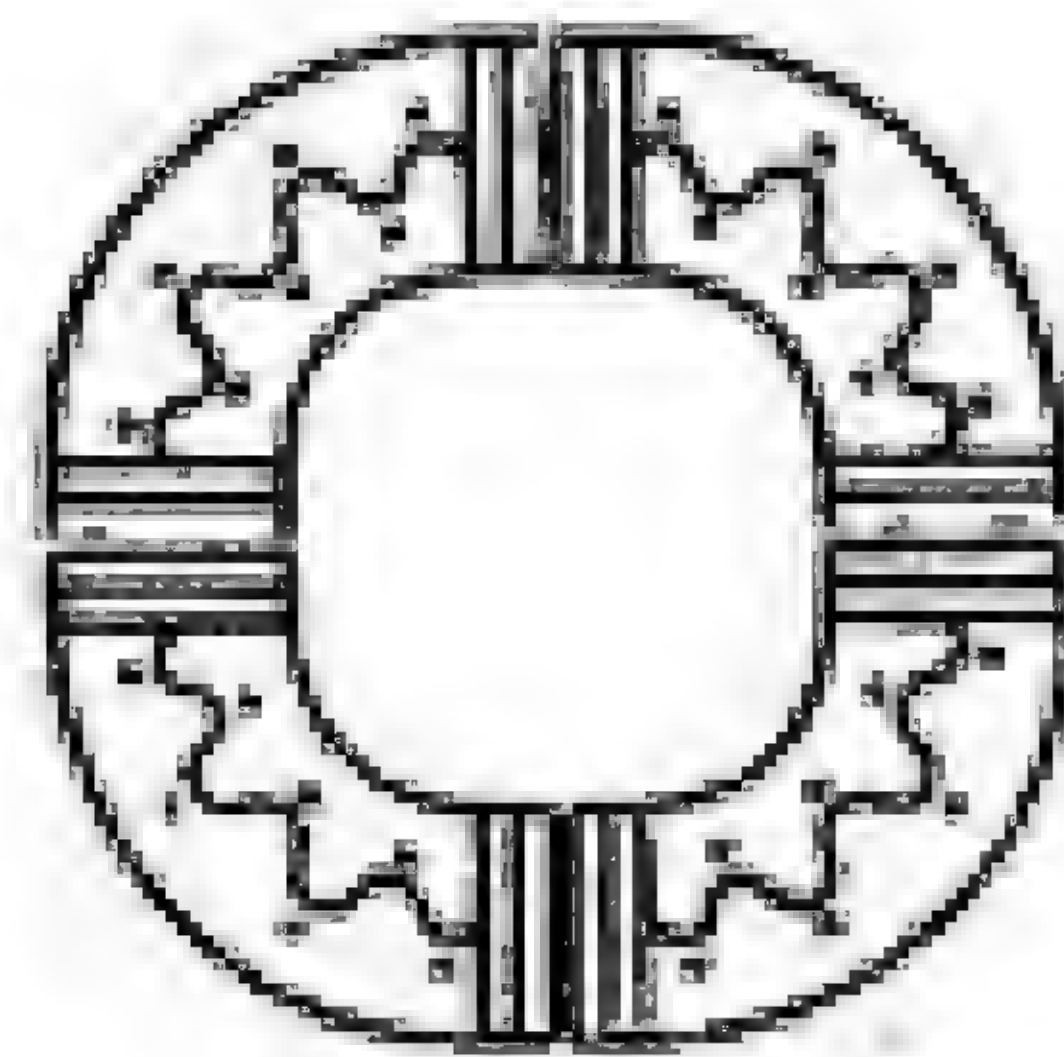
وأما الأجسام المنيرة قبل تجمعها فتكون على شكل ضبابية يسمونها
السلام (Nebulae)

وكثيراً ما يرى الفلكيون أضواء تنطفئ بفترة فيستندجئون توقف اشتعال
الغازات المحيطة بالنجم ، الامر الذي يجمله بمرور الزمن يصبح قابلاً لظهور
الحياة فيه

أما الذرات المبعثرة في الفضاء فيسمونها الأثير . ويقول العلماء إنها تخرق
كل الاجسام التي تصبح جبالها كقطعة الاسفنج مهما صابت . لأن الواحدة
من الأثير تندفع بقوة تمكنها من اختراق الجسم التي يصطدم بها مهما كان
كثيفاً . وكما أن الانجم تكون العالم ، والأثير يكون النجوم . فان الأثير نفسه
مكون من (الكترولونات) ذرات كهربائية . وهذه الألكترولونات صغيرة جداً
لدرجة يقدرون معها . ان في الامكان نغمس رأس دبوس بملايين الملايين منها
وهي تختلف عن بعضها اختلافاً لا يمكن للعقل تصوره

أما كيف تتكون هذه الألكترولونات فسؤال لا يمكن الاجابة عنه بعد .
ويجب أن يعلم القارئ أن « النظرية الأثيرية » هذه لم يحققها العلم ، فهي
تخمينات لا أكثر . هذا هو ملخص فكرة نشوء الارض عن ماك كيب

أبو العينين



فضال الفلاسفة والدين في اغريقيا القديمة

مثل الحياة كمثل السوق يقصده البعض لتبادل السلع ، بينما يهتم البعض الآخر بما فيه من وسائل اللهو . ولكن هناك من يقصده للملاحظة والدرس . هؤلاء هم الفلاسفة الذين يقارنون ويستنتجون في حين يجري غيرهم وراء الفخر والثروة ، بينما يسمى الآخرون لسد حاجاتهم الدنيوية

هناك فرق بين الفيلسوف والعالم ، فالاول يبحث عن كل شيء جليا كان او خفيا ، في حين ان الآخر يطبق النظريات على الاختبار

كان الاغريق قبل قيام الفلاسفة بينهم يروون ظاهراً بما يتناقلونه من الاساطير عن كيفية نشوء العالم ، وكانوا يأنسونه (من انس) آلهتهم ويمثلونهم في قوات طبيعية أو أجسام

لعب الشعراء دوراً عظيماً في تكوين ونشر الاديان اليونانية ، الامر الذي لم يحدث له مثيل في تاريخ أي امة اخرى . فان لبس الشعراء للمسوح ظاهرة غير مألوفة الا بين قدماء الاغريق . وكان السبب في ذلك انعدام طبقة الكهنة في اغريقيا القديمة . وليس معنى هذا انه لم يكن هناك رجال متدينين ، بل هؤلاء قد تواجدوا ، وانما لم تكن تجمعهم جامعة ولم تكن لهم قوة نفوذ وكل الجماعات الدينية كانت مكونة من عدة رجال يسمون برأى الهى مخصوص ، ويحتفظون بتقاليد معينة ، ويتداولون تاريخ جماعتهم المملوء بقصص المعجزات والمدهشات

وبدلاً من القسوس كان ينضم هؤلاء الناس الى وحدات الجيش مثلهم في ذلك مثل الشعراء ومثل السحرة ، وكل هؤلاء كانوا يكونون مجلس الحرب الاستشاري لقائد التجريده . وكانت آراءهم تبسط كما لو كانت مستقاة من الآلهة . ولذلك كانوا مسيطرين تمام السيطرة على القادة والجنود ، ونالوا من وراء ذلك غنى وافرا لا يقل عن نصيب رجال الدين القدماء من البابليين والمصريين ، او من رجال الكنيسة الكاثوليكية في عصر أوروبا المظلم

فمن حسن حظ العقلي اليوناني ان قامت تقاليد على الاساطير وهي اقل تغلغلا في النفس من التقاليد الدينية التي اعتنقها الشرق ، خصوصا وان دعاة هذه الاساطير كانوا متعددي الغايات والوسائل ، وكلها متضاربة مع بعضها فكان من السهل التسليم بجواز ترك فكرة لاعتناق اخرى

والشعراء الاسطوريين بوجه عام مدرستان قديمتان في اليونان ، يمثل احدهما هومر ، حين يمثل الاخرى هيزيود ، وكان الاول من الظانين بتجسد الآلهة في صور بشرية ، بخلاف الآخر الذي كان يظنهم ممثلين للقوات الطبيعية فكان زمن جامع الضباب يرمز الى السماء العليا ، وكانت ائينا تحمل له درعه واما الابن ابولو فكان ممثل الشمس المضيئة ، هذه هي الآلهة العليا المهمة وعند ملأدت الاساطير المتضاربة المتناقدة جو اليونان الفكرى قامت قائمة المفكرين من نوع آخر (هؤلاء هم « الحكماء Sages) ولو ان هؤلاء اتمعنوا اولاً في التخطيط البعيد عن العلم الا انهم اخذوا ينظمون آرائهم على مر الزمن ، وتركوا لهم آثارا باقية الى اليوم . مثل « كن متوسطا » « اعرف نفسك » الخ

ونتج عن تفكير هؤلاء الحكماء تنظيم القوانين الادبية الزاجرة وتأسيس العلم الايجابي الامور التي نتج بعضها عن اديان الشرق دون ان تتماشى مع الزمن ، ولم ينتشر بعضها بالمرّة بين امم كانت تعمل بايمان لايسهل التحول عنه ، ويمكن ان تقول بعد ذلك ان آلهة الاغريق القدماء كانت متنوعة بجمعها فرعان ، آلهة سماوية وآلهة ارضية (سفلى) وأشهر الآلهة الاولى من سبق ذكرهم ، وهم زمسن وابولو وائينا . وكانوا يمثلون السماء الساطعة المتسلطنة فيها الشمس ، بينما كانت الآلهة السفلى المهمة بليتو اله القبر المتسبب في انبات الزرع وانبعاث الماء ، وديمتر « امناء الارض » مع ابنتها برسيفوني ، واخيرا ديونيسس رب الجداول واله الخمر ، وكان آلهة السماء متبوعة بالطبقات العالية من الامة . اما الطبقة العاملة الوضيعة فكانت تتبع الآلهة السفلى لانها التي تعطيهم المحاصيل والخيرات التي يتقوتون بها . وهؤلاء الاخيرين هم الذين

اغرقوا في الأساطير أي اغرقوا يعتقدون أن ديمتر « أمهم الأرض » كانت تنوح كل عام على ابنتها برسيفوني « الربيع المكلل جبينه بالزهور » التي اختطفها إلى الموت لتشاطره إدارة مملكة السفلى . كذلك كانوا يعتقدون أن ديونيسس كان يقطع أربا تحت معصرة الخمر في كل سنة . ولم تكن الزهور النضرة والأوراق الخضراء إلا رمز القيامة برسيفوني السنوية - إبان فصل الربيع - وهو وقت نشور الأرواح المقبوضة

ويجب أن لا نتغاضى عن تأثير الحالة الاقتصادية في الوجهة الأخلاقية لطبقات أي أمة، فالطبقات الدنيا أكثر اهتماما بالأخلاق عن الطبقات الراقية لأن الفقير يبذل جهده دائماً للدفاع عن كيانه ضد هجوم الصفات الملائمة للغنى كالترف المحتاج للاتفاق على سعة وهو مالا يقدر عليه الفقير

لذلك نجد هيزيود - شاعر الرعاع - أكثر تمسكا بالفضيلة من هومر - شاعر المحاربين من الإشراف - فأنتك لا تعثر على فكرة عقاب الآخرة في الألياذة، بينما تجده متجذرا في الأوديسي

وحتى هذا المجال الأخلاقي قد اقتحمه حكماء اليونان الأقدمين خصوصا في العهد الفيثاجوري فكانوا من دعاة الفضيلة

وفي عهد السفسطائيين من الحكماء أخذ نظام التعليم يدخل مرحلة جديدة لأن أولئك نفر من الحكماء اتخذوا على عاتقهم الانتقال من مكان لآخر لالقاء المحاضرات على الشعب . وبالطبع كانت محاضراتهم تنض على أسس الأساطير الشعبية ، التي وإن تهذبت لمزج بعض الحكماء السابقين للفلسفة بالشعر ، فإنها كانت وسيلة العلم الوحيدة قبل أن قام السفسطائيون بعملهم الشبه علمي المؤسس على المنطق

نتج مما سبق أن تمكنت الفلسفة من طرد الدين في اليونان القديمة

تحسين النسل

EUGENICS

ملخصة بتصرف عن ليونارد دارون

تمهيد : اهتم المزارعون ولا يزالون في كل زمان ومكان بتمهين كل الاهتمام في انتخاب الاصالح من أنواع المواشى لعلهم ان ذلك يعود عليهم بحجم الفوائد . حتى العرب كانوا يحفظون سلسلة نسب لجيادهم الاصائل ، ويمنعونها من التلاقح مع الانواع الرديئة من الخيل ، وقد تسالت أنواع الكلاب مما يسمونها «الكلاب الذئبية» المتوحشة ، فكان يستكن بعضها في حين يرجع البعض الآخر الى الاحراش ثانية . وكان الانسان يعدم ما تغلبت الوحشية على طباعه من الكلاب ، ويبقى ما خلاها لديه . وكلما كان الكلب مسالما ومطيعا ومحبا لصاحبه كلما حرص عليه الناس . هكذا أوجد الانسان الكلب المخلص الذي نأتمنه في العهد الحاضر . وبالطبع كانت عملية الانتخاب هذه تتم بلا قصد في بادىء الامر . وكانت أسرع الكلاب عدوا تخصص للصيد ، وكلما تفوق أحدهم عن غيره تهافت الناس على اقتنائه . والاكثر من نسله ، وبالطبع للتكوين دخل عظيم في المساعدة على سرعة العدو . فنتج عن هذا الانتخاب نشوء «الكلب السلوقي» أما «الكلب الصيني» فقد نشأ كنتيجة لاهتمام بعض الناس بأصغر الكلاب حجما وأجملهم منظرا و «كلب الحراسة» نشأ كنتيجة لتشجيع صنف له مميزات مخصوصة . وما يقال عن الكلاب يقال عن الماشية ، فالتى كانت مكتنزة اللحم مدرة لكمية أكبر من غيرها هي التى احتفظ بها ، وأما التوالد في الخراف فكان يتم على أساس اللحم ونوع الصوف .. وبين الدجاج على اكتناز اللحم أيضا وكبر مع كثرة البيض

كل ما سبق من القول يعده المزارع من البديهيّات لانه يقوم بهذا العمل بطريقة آلية ولا يرى فيه أمراً غريباً . ولكنك اذا ناقشته في وجوب تحسين نسل الانسان دهش ، وكثيرا ما يجيب على ملاحظتك بقوله « ولكن نحن بنو آدم وهؤلاء ليسوا أكثر من حيوانات » فسوء الفهم ناتج والحالة هذه من فكرة خاطئة توارثها الناس خلفا عن سلف ، يجب محاولة اثبات خطئها قبل الدخول في الموضوع

الانسان : اننا لو رجعنا الى الماضي عند مقارنةنا للحيوانات الدنيا يتجلى لنا وجوب رجوعها الى أصل واحد من ملاحظة عظم المشابهة المشتركة بين الانواع بعضها . وان من السهل اقناع أى شخص بصحة هذا الاستنتاج ، ولكن يواجه الباحث صعوبة اذا حاول أن يثبت على نفس الأساس اننا نحن البشر أبناء عمومة اخواننا الحيوانات . ويمكن الوقوف على هذه الحقيقة من قراءة كتاب الطبيعة العظيم المسطر على طبقات الصخور . فكما بحثنا في المستويات الارضية الاكثر عمقا نجد أثراً للحيوانات الدنيا التي تبدأ تخرج آثارها بحيوانات أرقى من سابقتها ، كلما قربنا في مستويات أقل عمقا . ومما سبق نستدل بان الحيوانات الراقية وجدت بازمان طويلة بعد الحيوانات الدنيا لان آثارها لم توجد الا في الطبقات المستجدة ، كذلك لوحظ من تللك الآثار ان بقايا الحيوانات المتشابهة تتواجد متقاربة من بعضها ، وكما ازدادت ابتعادا عن بعضها ازداد تباينها بالاستتباع . واذا فحصنا جسم الجنين نجده يحوى أعضاء مشابهة لتلك التي لا نجدها الا في الحيوانات المائية . كذلك الاعضاء الاثرية التي تحتويها أجسامنا تدل على نوع المعيشة التي كان فيها أجدادنا الاول كاللاظفر مثلا ، فاننا لانستفيد منها في الوقت الحاضر ولكنها كانت ضرورية لاسلافنا . فالقول بان الانسان تسلسل من مخلوق قريب الشبه بالقرودة يجب أن يجتذب انتباهنا كأمر مهم جدير بالدرس . ومن سوء الحظ ان تخطيطات الاقدمين قد أصبحت بمرور الزمن اعتقادات دينية نجبر على التسليم بصحتها بالرغم عن انها تخالف الواقع .

وكيف لا تكون فكرة النشوء صحيحة وكلنا يعلم تمام العلم أنه نشأ من نقطة لزجة
مشابهة للسماك اللدن التكوين، الأمر الذي نجد له شبيهاً بين أحقر أنواع الحيوانات
وعند ما تنمو قليلاً يتعذر على المشاهد معرفة ما إذا كان الجنين لكاتب أو لخزير
أو لإنسان لأن كل الأجنة في دور تكوينها الأول تكون متشابهة تماماً . وعند
ما تولد نكون في حاجة أكثر إلى الحماية كنتيجة لضعفنا الجسدى من جهة، ولقلة
ذكائنا من جهة أخرى . فكثير من الحيوانات إن لم أقل كلهم يولدون
قادرين على الحركة فيبحثون على طعامهم مباشرة وإما يحتاجون لفترة
قصيرة جداً ليتمكنوا من الاهتمام بعدها بأنفسهم . وأما نحن فمدة حضانتنا
أطول وحاجتنا إلى العناية أكثر . وفي مدة حياتنا نقوم بأدوار قام بها
أسلافنا في عهود التاريخ البشرى المنقرضة . ففي الطفولة نعجز عن كبح أنفسنا
ونميل إلى الاستحواز على كل ما نحبه غير مهتمين بحقوق الغير . فما دمنا نرى على
هذه الأطوار ولا نستحي من الاعتراف بأننا نمر عليها ، فلماذا نستحي من
الاعتراف بأن الإنسانية قد أمرت على هذه الأطوار ؟ ليس في هذا التسليم أى
أهانة لنا بل بالعكس أننا نشعر بارتياح عند مقارنة ما نحن فيه ، وما كان عليه آباؤنا
من تأخر

فليس هناك اعتراض على القول بأننا أعلى فرع من شجرة الحياة التى قامت
على جذع واحد . ولكن قد يسأل شخص « كيف حدث هذا الاختلاف
العظيم ؟ » إذا قل الطعام ينقص عدد الناس كنتيجة للمجاعات، وكلما كثر الطعام
أخذ عدد الناس فى الزيادة . ومعنى هذا أن العدد يرجع إلى ما كان عليه فى
اليسر الذى يلى المجاعة . فإذا ازداد الطلب عن المعروض، وجب أن يموت البعض
ليكنفى المعروض الطالبين . فلو أنتج كل زوج من الناس زوجاً وتابع نسلهم
طريقة التناسل هذه لا يتعرض العدد لازيادة . ولكن الواقع أن متوسط الانتاج
يزيد عن زوج ، فالعدد إذن يأخذ على مرور الزمن فى الزيادة المتتابع إلى أن

يجد أن موارد غذائه ليست كافية ، وعندئذ يتنازع الأفراد مع بعضهم على الغذاء من أجل البقاء وينتصر الأقوى بالطبع . وليس معنى هذا أن التنازع يتم دائماً بين الأفراد بل ينتج أيضاً في بعض الأحوال من جذب يصبب الأرض التي يسكنونها إذا ان بعضهم لا يجد له خدناً من الجنس الآخر أو أن تحتاج البعض أمراض وافدة . فالأصلح من غيره هو الذي ينتصر في الخصومات أو الذي يسرع إلى أرض وافرة الخيرات أو يقاوم الأمراض أو هو المقبول من أفراد الجنس الآخر للمساعدة على عملية اللقاح . فالعامل على بقاء الذي يبقى هو « الانتخاب الطبيعي » يقدر أن الحياة وجدت على ظهر البسيطة قبل ألف مليون سنة . وكانت مرسحاً للتنازع والانتخاب . فالطبيعة هي الموجدة للانتخاب بينما كما هو الحال بين الكلاب التي تنوعت بعد آلاف من السنين عن الأصل الذي نشأت عنه . وكذلك تقول أن الانتخاب الطبيعي كان العنصر الفعال في تطور الإنسان من درجة أدنى

البيئة : وجدنا في السابق أن المسبب في إبقاءنا على حيوان دون الآخر هو امتيازها عن ذلك الآخر بأحدى الخلال . مثلاً حسن منظره أو قابليته لأدراك كمية أكثر من اللبن . نسلم كلنا أن الإنسان وجد من نطفة ليس من المتيسر التفريق بينها وبين أي نطفة أخرى لأن لكل مظهر متشابه . ولكن في الحقيقة ليس هناك تطابق بين أي نطفتين . واختلاف نطفتين عن بعضهما هو الأصل في اختلاف الأفراد الذين ينشأان منهما . وهذا ما يسمونه الاختلاف الوراثي . فإذا شاهدت رجلاً له عينان سوداوان وآخر عيناه خضراوان فقد عثرت على مثل من الاختلاف الوراثي . ولكن ليس هذا هو الخلاف الوحيد الذي نعثر عليه ، فإن كل فرد ينشأ وينمو في بيئة مخالفة للوسط الذي ينشأ وينمو فيه الآخر . فواحد يولد في المنطقة الحارة المعرضة لحرارة الشمس ، بينما يولد الآخر بالقرب من القطب الشمالي . فهذا الاختلاف مكتسب ، وهو شيء آخر غير الاختلاف الناتج من اختلاف

النطف. لنبدأ الآن ببحث الاختلاف المكتسب. فهل للاعتناء بالتربية أثر على الإنسان؟ من المسلم به أن المكتسب لا يورث. فالرجل الذي قطعت يده لا يلد طفلاً بيد واحدة. فهل إذا انتمى إلى مهنة الحدادة بينا استخدم أخوه كاتباً في إحدى المحال التجارية، هل يكون أبناء الحداد أقوى عضلاً من أبناء الكاتب؟ وإذا قادت ظروف أحد الأخوين إلى الاجرام في حين كانت ظروف الآخر مبعدة له عنه، هل يكون ابن المجرم، حتى في حالة انتشاله من الوسط الاجرامى، ميالاً للاجرام، أم يكون مثل ابن عمه؟ من رأى بعض العلماء أن ابن المجرم يحوى أثراً من الاستعداد للاجرام. ولكن الرأى السائد يقول إن صناعة الحدادة أو سرقة الأب لا تؤثران على الولد.

هنا يجب أن نتساءل اذن لماذا يتوارث الناس الميل إلى السكر عن والديهم؟ هناك سببان لتلك القدوة السيئة، **أذ يقلد الولد أباه** ويرث عنه الاستعداد، وهو ضعف يحرض صاحبه على تناول المسكرات. وهناك عائلات تفشى فيها داء السكر. سبق لنا القول ما قد يفهم منه أن البيئة لا تؤثر في اصلاح النسل، وليس معنى هذا أن لا أهمية مطلقاً لهذه البيئة، فالترية والمسكن والصحة والرياضة كلها مهمة. فالتعليم يصبح على مر الزمان أحد التقاليد العائلية يتبعه النسل. وأكثر طريقة تعود بالفائدة على الناس هي اصلاح الوسط، فيجب أن نضع نصب أعيننا. ولا نريد أن نبحث تأثير الوسط هنا فهو خارج عن موضوع تحسين النسل، لانه من علم الاجتماع. الا أنه يجدر بنا أن نلاحظ أن امتزاج جماعة راقية باخرى أقل رقياً ينتج اقتباس الثانية لبعض وجهات الارتقاء من الأولى، وهذا أمر يشعر به الناس، أما الذى لا يشعرون به فهو انجذاب الجماعة الراقية إلى الجماعة الأخرى أيضاً. فلا اتصال الاجتماعى لا يقتصر تأثيره على جهة دون الأخرى، بل يعمل على محاولة إيجاد مساواة بين الطرفين. كذلك يجب التنبيه إلى أن هناك فرصة لاصالح ابن الغنى من جهة التعليم. وبما أن عدد الصغار الذين ينشئون في الاوساط الفقيرة

يزيد كثيراً عن عدد صغار الاغنياء، فتأثر الوسط من الفقير يكون أكثر من تأثره من الغنى . فالامة التي تريد رفع مستواها ملزمة بالحالة هذه للعمل على اقلال هذا التباين ليس بافتقار الاغنياء بل بدفع الفقراء إلى طريق الغنى

الوراثه : قد يوجد من يدعى بان الاختلاف الحادث بين الناس ناتج عن البيئه، وبذلك ينفي فكرة اختلاف النطف المسببة لاختلاف الاشخاص . هل يمكننا أن نمنع شعر انسان من أن يكون أسوداً ؟ أو أن تكون عيناه زرقاوان عند الولادة ؟ لاشك اننا نسلم بعد قراءة هذين السؤالين من ان الناس يختلفون عن بعضهم منذ الولادة بالأقل من الوجهة الجسمانية . كذلك الحال في الاستعداد العقلي، فان كل منا يعرف انه درس مع أناس فاقوه في الحفظ كما فاقه غيرهم في القوة الجسمانية . كذلك اذا تطالعنا إلى الخلف، نتذكر سيئات اقترفها بعض التلامذة لم نكن نحن نجراً على اقترافها، لافرق في ذلك بين أبناء الفقراء أو الاغنياء أو بين الطلبة الذين اتوا من بلدان مختلفة، أو تربوا قرية قاسية، أو نشؤوا في وسط عطوف . وتختلف الاخوة في ذلك عن بعضهم مع انهم نشؤوا في نفس البيئه . فهذا التنوع ناتج عن الوراثة . ولكن كيف يختلف أفراد العائلة الواحدة عن بعضهم بالوراثة ؟ يكتسب الطفل من والديه بعض الصفات، لكنه يورث لأحد أبنائه صفاتاً من جده أكثر مما يورثه عن جدته، ويورث الثاني عن جدته أكثر مما يورثه عن جده . فهذا هو السبب في الاختلاف بين الاحفاد، هذا اذا كان الطفل يورث عن جديه الأولين فقط، ولكنه يرث الاجيال السابقة كلها . اذا اخترنا الف والـد من أطول رجال بلد لا يتيسر لنا الحكم كيف يكون أولادهم . ولكن يصح لنا أن نقول أن منهم من سيكون طويلاً . وأن متوسط طول كافة الاولاد يكون أقل من متوسط طول الأباء، وأكثر من متوسط طول كافة اهالى البلد . فناتج ما ننتخبه لاجل الاكثار، لا يكون في درجة ماسبق لنا انتخابه للاكثار منه، ولكن الناتج يكون أحسن من المتوسط الذي انتخبنا منه

وما دام انه قد ثبت لنا أن الصفات التي تتوارث غير مكتسبة ، في حين أننا نعرف ان بعض هذه الصفات حسن والبعض سيء ، فيجب العمل على منع إيجاد اولاد معرضين لوراثة الصفات السيئة دون الحسنة . فهل يمكننا إحداث تغيير في النطف ؟ كلا . اذن كيف يتيسر لنا فعل ذلك عن طريق الاختيار .

التحسين : يمكن لنا ملاحظة ان الفلاح الذي يعتنى بنظافة مواشيه ، وأمكنة إقامتهم ، وبنوع علفهم ، أقرب للنجاح من الذي يهمل مواشيه . كذلك نجده لا يقدم على شراء مواشى جديدة اذا امتلأت حظائره بالمواشى ، بل بالعكس من ذلك ، يستغنى عن بعض ما عنده . وانه دائماً يحتفظ على أحسن المواشى و يبيع أو يذبح الاقل درجة ، وأنه انما يحتفظ بالاحسن لتولده مواشى جيدة . ومعنى ماسبق هو ان الفلاح يهتم بإصلاح البيئة والوراثة مما . ومن الغريب اننا لانهتم بأجراء هذه العملية بين الناس وهم أحوج اليها من البهائم ، وذلك لان شفقتنا العمياء هي التي تدفعنا لعدم الاهتمام بالمستقبل بصفة جدية . لذلك تهتم الحكومات بنشر التعليم ، أى تهتم بإصلاح البيئة فقط ، ولا تعير اهتماماً بعملية الانتخاب متجاهلة ان البيئة معرضة للأتقلاب فى أى وقت ، والافان هي مدينة روما ؟ ألم تكن مهد العلم والثقافة فى وقت من الاوقات ؟ أمان ؟ بعدد المتوارث فيثبت امام العواصف مهما اشتدت ويزداد ثباته اذا تقوى . نتخاب

قد يسأل قارئ ما الذى تريدنا أن نفعله ؟ أنتنظر منا أن نذبح السىء كما يذبح المزارع ماشيته ؟ أم تريدنا أن نلقى بالطفل الغير صالح فى صندوق القمامات كما نفعل بالهرة الصغيرة ؟ أم تريدنا أن نجبر الناس على التزاوج على النسق الذى يتبعه صاحب البهائم ؟ والسائل محق فى أسئلته هذه لان القتل والواد واستعباد الناس أمور قد ولى زمنها ونحن لا نطلب ذلك

خطابة المستر بلدوين

في حفلة الجاهول السنوية — تلخيص

محسين الاخوال في أوروبا :

أشار المستر بلدوين الى أن السنين الاربع التي تقلد فيها منصب رئاسة الوزارة هي فترة توطيد وتجديد في أوروبا، مؤسسة «أولا» على دعائم سياسة لوكارنو التي وضعت حداً للروح الحربية السائدة بعد الحرب ، ووساوس النزاع العالمي، وأدخلت ألمانيا في حظيرة عصبة الأمم

وثانياً : الحادث الجلل الآخر . وهو اتفاقية لندرة التي يرجع الفضل فيها الى سلفه — وهذه الاتفاقية وضعت مسألة التعويضات على أساس عملي اقتصادي أخرجتها به من ميدان الجدل والعداوة السياسية . ورغمما من أن مازالت هناك بقية باقية من المسائل الاقتصادية الخطيرة تنتظر الحل . إلا أنه متى آن الاوان لعركها والتغلب عليها فسيكون ذلك بروح يسودها حسن النية . وان أصبحت أمم أوروبا تقدر الحاجة المتزايدة الى التعاون والتضامن فيما بينها .

فرنسا وألمانيا :

هنا أشار المستر بلدوين الى أن التفاهم بين إنجلترا وفرنسا لم يكن في أي وقت أكثر وثوقاً وتوطيداً منه الآن . وقد أعقب ذلك تغيراً يسترعى النظر في شؤون ألمانيا الداخلية وعلاقاتها بفرنسا مما يؤيد النظرية أن التعاون الوثيق بين باريس ولوندر لا يؤتي الا خيراً لثمار لا ألمانيا أو أية دولة عظمى . وان توسيع هذا التفاهم الوثيق حتى يشمل دول أوروبا — مما تجسم في اتفاقية لوكارنو — هو حجر الزاوية في سياسة أوروبا . ثم أثنى المستر بلدوين على مجهود فرنسا في تعمير مقاطعاتها الخربة ونهوضها المدهش بعد كبوتها الاقتصادية وما يمثله من مجهود بلجيكا

هوض المانيا :

ثم استعرض المستر بلدوين حالة ألمانيا فقارنها بما كانت عليه منذ أربع سنوات من هبوط اقتصادي سياسي مالي وقد نهضت فاستعاضت مركزها بالصناعي الهائل . وقد سجننا لجنة الاشراف من ألمانيا وعقدنا اتفاقات معها كما عمت هي فيما بينها وبين فرنسا . وان ألمانيا لمدينة بذلك بمقريه الدكتور شتريسمان الذي يود الجميع له الشفاء العاجل ، واستطرد الى ذكر أوروبا الوسطى وتشكوسلوفا كيا على الخاص وأشار الى احتفالها بمرور عشرة أعوام على استقلالها وإلى سياستها الخارجية الرشيدة وشؤونها الاقتصادية والمالية القوية التي يجدر الاقتداء بها . ثم أشار الى اليونان ومساثلها وتصفية نتائج الحرب المشؤوم على تركيا الذي نتج عنه سيل من المهاجرين من آسيا الصغرى فقد أقرضها مجلس العصبة مبلغاً لا يستهان به ، وساعدت لجنة المهاجرة بأوسع ما في استطاعتها على اسكانهم في بيوت جديدة وهم يفكرون الآن في تدبير قرض جديد يمكنها من توطيد دعائم نقدها وتعمير مقاطعاتها وقد ساعدت زيارة المستر فنزيلوس كثيراً على بلوغ هذه الغايات

اسبانيا وامريكا الجنوبية :

أشار المستر بلدوين الى اغتباطه بسحب اسبانيا الرغبة التي أيدتها كنيائياً الى مجلس العصبة بالانسحاب منه واستطرد الى ذكر العلاقات الحسنة السائدة طوال السنين بين إنجلترا وجمهوريات أمريكا الجنوبية ، وهنا امبراطور اليابان الجديد بمناسبة تتويجه وهنا بلاده الذي توج التحالف التاريخي بينها وبين إنجلترا روح الصداقة والمودة بينهما ، وهذا التحالف هو أقوى ضمان للسلام في الشرق الاقصى

تحسن الأحوال في الصين :

أشار المستر بلدوين الى ارتياحه لانهاء الحروب الداخلية في الصين وتكوين حكومة مركزية تسيطر على الشطر الأكبر من البلاد ، وانه ولو أن الحكومة الجديدة تواجه صعوبات شتى إلا أن برنامجها العملي سيمهد لها

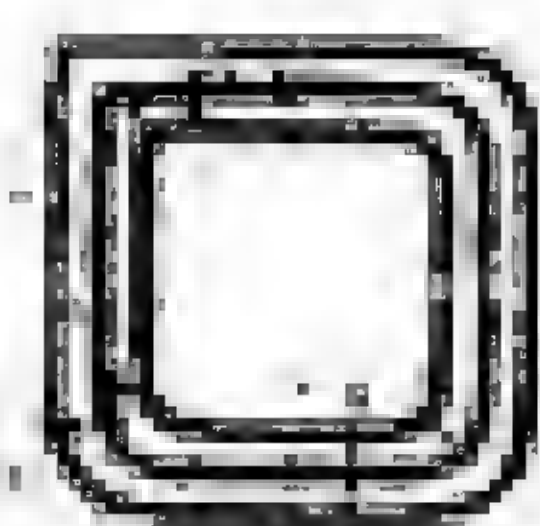
الطريق في التغلب عليها . وقد كانت سياستنا خلال هذه الثلاث السنين .
العصية حماية أرواح مواطنينا وممتلكاتهم من جهة ، واتخاذ خير الطرق .
العملية لأثمار أمانى الشعب الصينى القومية . وإن ارسال الحملة لشنجهاي
أثقت بلا شك أرواح الكثيرين من الانجليز والصينيين وصاد هذا البلد
العظيم من نكبة محتومة . وإن تأسيس حكومة وطنية صينية جديدة خير
الدلة على تقدير الصينيين لمواطنينا الودية نحوهم وتقديرهم لمصالحهم في رفض
دسائس موسكو والدولية الثالثة .

ثم أشار الى الشرف الذى أولاه الملك أمان الله بقبول حفلة مدينة لندن
التكريمية والى توطيد علاقات المودة بين البلدين منذ عقد محالفة حسن الجوار
بين البلدين منذ سبع سنين وتوثيقها بزيارة ملك وملكة الافغان وأشار
الى تقدير جلالاته للحفاوة القلبية التى قوبل بها

الرابطه الاسلامكية :

أشار المستر بلدوين الى هذه الرابطه القوية الجديدة التى ستربط شعوب
أوروبا وتقرّب فيما بينهم ، اذ يمكن لاي شعب فى أى وقت سماع اثنائى الشعوب
الأخرى وينصت الى أناشيدهم ومحاضراتهم ويتابع وقع خطوات رقصهم
ميثاق كيلوج :

ان تقديم ميثاق كيلوج لمن أعقم ماندين به لاميركا وأن الطريق أمامنا
ين « اما أن ندين بروح الميثاق الذى أمضيناه أو نهلك بعد حين » وان تفهمنا
لروح الميثاق لخير معوان لنا على حل مسألة نزع السلاح ، فلتقدر كل أمة روح
الميثاق وتحلها المحل الاعلى عند تقديرها لحاجاتها من الميرة والسلاح وعند
تقدير مصروفاتها فى هذا السبيل عند اعداد ميزانياتها . بذان بدء عصر جديد
متكاتفين ، وسنتقدم الى الأمم متحدون روح جديدة وتحفزنا آمال وأغراض نبيلة .



صرعى الحرب العالمية

بومرهم فى برىفانيا العظمى

« سلام على الراقدین تحت الترى — سلام على الذين لا يعرفهم الا الله »
تحت ظلال الاشجار الباسقة ، وفى جوف الصحارى القاحلة ، وفى الرحاب
المتسعة المترامية ، فى جوف افریقىة وفى شمالها وجنوبها ، وفى وديان آسيا وآكامها ،
وفى جوف البحار العميقة ، فى مياه المحيط الهادى وفى بحر الشمال وفى مضيق دوفر ،
وفى البحر الابيض المتوسط مهد المدنية وفراش العمران الوثير ، وفى جوف بحر
الظلمات مهد الخرافات والاساطير ، فى جماع هذه الاماكن وفى غيرها من كورة
الأرض ، ترقد جمث صرعى الحرب العظمى ، جمث الابطال والبطلات ، الابطال
الذين دافعوا عن عثيدتهم وعن أوطانهم وعن حرياتهم وعن اشلاء اسلافهم وعن
مدنيتهم وعن تراثهم الكبير ، والبطلات اللواتى سقطن تحت وابل الرصاص
وهن يواسين جريحاً أو يحجبين عن الانظار قتيلاً أو يجرعن يائساً شرباً يجدد فى
نفسه الامل ، او يواسين الانسانية فى محنتها الكبرى ومصيبتها العظمى . إلى
هؤلاء من كل الامم ومن كل الاديان وفى كل بقاع الأرض ، نرسل من اعماق
قلوبنا السلام .

بين يوم وليلة ، او قل بين ساعة وأخرى ، نفخ فى بوق الحرب وفارتنور
الجلاد فهبت الأمم تنادى الى السلاح الى السلاح ، واخذت تخوض المعارك
عطشى صراع وقتال ، وما لبثت أن عادت بعد سنين قليلة ككتي هزيمة وانكسار .
لا فرق فى ذلك بين غالب ومغلوب ، أو ناقر فى ميدان الحرب ومنقور . فعلى رأى
الجميع ، على السلالة البشرية برونها ، وقعت الكارثة المحتاجة ، ونزلت المصيبة

المعظم ، فما كان المسلم المرادع في عبقرية باسعد حظاً من مقاتل يحمل السلاح في ساحة من ساحات الحرب ، قال كل اصبغ للفقر نهياً وللهوت غرضاً يصيبه ، ان لم يكن من ناحية الرزق ، فمن ناحية المرض ، فان لم يكن من هذا ولا ذاك ، فمن السماء تصب عليه الصواعق ، ومن البحر يرسل اليه بقذائف الغضب الانساني وقد اندلعت أسننته ، وتلاطت نيرانه .

ورفعت الا كف الى السماء ، لا السماء التي يستندون منها مراحم الله ، بل سماء التقاليد الانسانية ، تلك التي يحكم فيها شعور الاحساس بالذات ويتفوق الذاتية والانانية ، فعمد الزعماء الى جوف ما يحمل القواميس من كلمات ضخمة الرنات حاوية المعاني ، يستفزون بها الشعوب الى القتل والى التخريب الى سفك الدماء ، حتى اصبحت الأرض وكأنها شعلة من نار تتركبها التزعزعات الانسانية الخسيسة . فلما ان هبطت الخيران وصب عليها من المصائب قدراً أرجعها رماداً ، اخذ الزعماء ينظرون فلا يرون الا خراباً ، وقطاعون بئمة ويسرة فلا تقع اعينهم الا على بلاقع ودماراً . واذا بينى آدم ، من الزعماء الى الدهاء ، يستنكرون الحرب وينفرون من اسم الحرب ومن ويلات الحرب . واذا بهم يعقدون مؤتمرات السلام ، ويحيون ذكرى الموتى الذين ذهبوا ضحية لا بد منها لارضاء الشهوات وقرباناً يتقدمون به الى آله الحرب السكائن في كل صدر ، القاطن في كل جنان ، بل ان شئت فقل كفارة عما جنت ايديهم في سالف عصورهم ، وقد ظل اهل كل وطن يزكون نار الحقد الوطني ، واهل كل دين يضرعون نار التعصب واهل كل مذهب ينفخون في نار الكراهية والحفيظة ، بلا سبب معقوا ولا غرض معروف .

نعم إنما جنت الانسانية غرس يدها ، وحصدت مازرع الوهم ، وما أثبتت التقاليد . التقاليد والاساطير الموروثة ، بل الا كاذيب الشائعة المقدسة التي تفعل في الحياة الانسانية المعنوية ما تفعل حرارة الشمس في الحياة الطبيعية . كلا ،

ضرورى ، وكلاهما للحياة فى طوقها الخاص بها سبب لا مفر منه . فكما غيرت
التقاليد من الموروثات الانسانية ، وكما سمحت بالتمكر الانسان حيناً ، وهبطت به
الى حضيض الجهل والفساد أحياناً ، كذلك كونت الشمس الحياة وكذلك
الشمس تفتنيها .

نرى لك فى السماء خضيب قرن ولا نحصى على الأرض الظلمينا
مشيت على الشباب شواطئ ناز ودرت على المشيب رضى طحونا
تبنين الموالد والمنايا وتبنين الحياة وتمهدميننا
فيالك هرة اكات بنينا وما ولدوا وتنتظر الجنينا
وأى شيء تنتظر من مدينة انسانية ، ظلت طوال السنين ترعى فى خضيب
من وديان الجهالة والعماء . مدينة قامت على فكرة الفوارق العصبية ، وبنيت على
اساس التقاليد التى لم تكف بالتفريق بين الناس فوق الأرض ، ففرقت بينهم
فى السماء ، هؤلاء إلى الجنة . وهؤلاء إلى النار .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
أى نتائج تنتظر من مقدمات شيدت على فكرة أن كل أمة هى الامة
الختارة ، لافوق الأرض ، بل ايضاً فى السماء ، السماء الغامضة ، السماء المستغلة
بأسرارها ومخاوفها ، وانما هى التى يجب أن تحكم بقية الشعوب وانما دون غيرها
لها حق الحياة والحرية دون بقية الامم التى يجب أن يكون افرادها عبيداً وإماء .
بل أى شيء تنتظر من أفكار تبنيت فى نفسية الشعوب وزكمتها التعاليم
الانسانية الجوفاء التى طبعت النفوس بطابع الفوارق العقلية والجذسية . لاشيء
اللهم الا الحروب والقتل ، من اجل القتل لذاته ، لا لما يكون وراءه من فائدة
ترجى أو كسب يحنى .

نسلم ولا بد لنا من ان نسلم ، بعد كل الابحاث الانثروبولوجية والاجتماعية
التي وضع أساسها نخبة من كبار علماء هذا العصر . أن النزعة الى الحرب غريزة
وانه كان لها من تكوين الشعوب والامم جولة كبرى وأثراً خالداً . ولكن اذا

سلمنا بهذا فلا يجب علينا ان ننسى أن الغريزة في اصلها عادة تعكف عليها الاحياء وتذسربها الطبائع على مدى الازمان خطوة بعد أخرى ، وجيلا بعد جيل ، حتى تصبح عادة « لا شعورية تأتيها الاحياء بغير تنبه ولا تحكيم للارادة . هذه العادة « اللاشعورية » هي بذاتها مانسميه عادة . بذلك قال داروين العظيم وجاراه في ذلك السواد الاكثر من علماء هذا العصر . لانه اذا كان لكل شيء نشوء ، فلا بد من أن نعزو النشوء على اسباب يرجع اليها . وعندى أن تعليل الغريزة بانها عادة اصبحت مع « التسرب الزماني » فطرة « لاشعورية » أمر لا يحتاج الى جدل . فإذا سلمنا بكل هذا فلماذا لانسلم بان تدريب العقل البشرى على حب الاحسان والقضاء على الفوارق التى دربت عليها غرائز الوحشية يخرج الانسان من حيوانيته الأولى ويجعل عمل انصار السلام فسيحاً من ناحية عملية صرفه ؟ هذه مهمة يجب أن تلقى على عاتق الجامعات ومعاهد التربية . فان هذه الدرر التى نقول جواراً بان لها فى المدنية الضلع الأكبر ، كان لها ايضاً القدم المعلى فى تزكية الغرائز الوحشية فى صدور الناس . فتاريخ يكتب للتدريس على اساس الفوارق الوطنية جريمة ضد الانسانية ، ومحاضرة تلقى فى النشء لتذكر فيه النزعة الى كراهية الشعوب الاخرى استهانة بما للانسان من حقوق فى هذه الحياة الدنيا ، وهدم لكل ما يرغب فيه انصار السلام من القضاء على الحروب والنزعة اليها . كذلك اعتقد أن الاكباب على دراسة آداب الامم والتغلغل من طريق الأدب الى صميم مشاعرهم وموحياتها العقلية والنفسية ، أساس من اكبر الاسس التى يجب أن يقدم عليها السلام ، ليكون فكرة ثابتة لأمنية تشرئب إليها الأمم ، من غير أن يكون لها فى قرارة النفوس دعامة تقوم عليها والتورث أنفى للمورث ، كما أن القتل أنفى للقتل .

نكتب هذا بعد أن وقع فى يدينا عدد من أعداد جريدة التيمس أصدرته

بملحقاً بمناسبة يوم الهدنة . وتناولت فيه مقابر جيوش الامبراطورية الانجليزية
التزكى في نفس الشعب الانجليزي ذكرى حرب انتصر فيها وذكري ابطال ضحوا
بانفسهم في سبيل المدنية .

وقد صدر العدد برسالة من ملكة الانجليز وجهت فيه الكلام الى الامهات
الثاكلات اللاتي نعتقد أن الكلام اعجز عن أن يفرع على قلوبهن صبراً ، او
يحييت في نفوسهم ذكرى فلذاتهن المتنزعات في قلوبهم .
واليك نص هذه الرسالة .

« رسالة من جليلة الملكة »

قصر بوكنجهام

في ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٨

« ان كل الذين زاروا مقابر الحرب ، لا بد من أن تكون قد اهتزت
قلوبهم ، كما اهتز قلبي ، بما يعيهاها من جمال برى ، وبالعناية التامة التي تبذل
نحوها . ونحن جميعاً نعرف أن « لجنة مقابر الحرب » تحيطها بنفس العناية
ايها كانت المقابر وفي أية بلاد وجدت . »

« في هذه المقابر ترقد جمث كثيرات من النساء المضحيات المقدمات ، وقد
فقدن الحياة وهن يخدمن كممرضات أمن الجيش أو متطوعات ، أو ملحقات
بالقسم الذي عرف باسمي . »

غير أن هؤلاء اللواتي سقطن في الميدان ، ليسن بمفردهن اللواتي ضحين بكل
ماستطيع الحياة ان تقدم من تضحيات . فان كل رجل من المليون الذي قتل
منا في الحرب ، كان اعز من كل شيء لاحدى النساء وفي كل طرف من اطراف
الامبراطورية اليوم تقع على اولياءكن اللواتي يعشن وفي قلوبهم جراح تعجز
غلاًيام عن أن تلتئمها . »

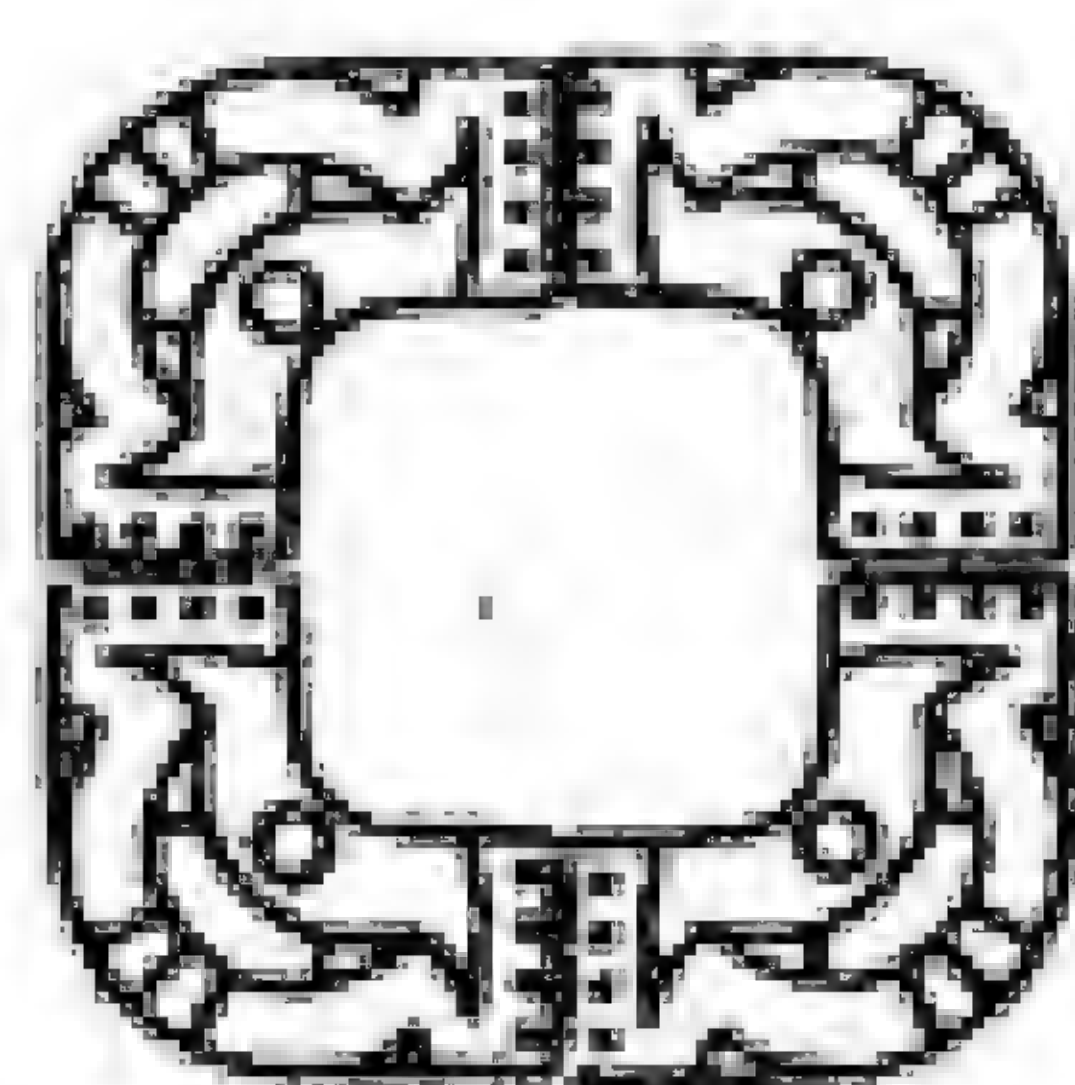
«وانى لأرغب فى ان يصل صوتى الى كل منتهى حوامله كلمات التعطف القلبي»

« ماري »

وتقرأ بعد ذلك رسالة من ولى عهد الامبراطورية البريطانية ، البرنس اوف وايلس ، فيها من المعانى المتخالطة ماتعجز عن أن تدرك الى اى مدى تبلغ فى نفس الرجل الانجائزى . وعندى أن هذه الاشياء تنشر فى الناس الا ليجتذروا ذكري الحروب ولتخفى معالم الجريمة العالمية تحت ستار من الاعتذار عما بدر من شطط الانسانية .

وتأتى فى النهاية على فصل عقده اللورد لويد المندوب السامى البريطانى عن قتلى الحرب فى مصر وفيه اشارة الى من مات من العال المصريين الذين رافقوا الحملات .

على أننا مهما كان لنا من رأى فى هذه المهازل الانسانية ، فان هذا لا يحمانا مطلقاً على أن نفعل عن تقديس ذكرى أولئك الأبطال الذى لبوا داعى التضحية فى زمان فارت فيه النزعات الانسانية فى ناحية كان من الواجب أن تصدها من ناحية اخرى نزعات تهبط من حرارتها . فان هؤلاء الذين ضحوا ، مهما كان التأثير الذى حفزهم الى التضحية ، لا يبال خالدون يجب أن تترك ذكراهم من النفوس فى أخص منازل التقديس والاحترام



تركيا

تأشئ مدنية القرن العشرين

تعد تركيا التي احيها مصطفى كمال من العدم منذ تسع سنوات مملكة حديثة لاصلة لها بالامبراطورية العثمانية المندثرة . ولو درسنا حالة ما قبل الحرب لتستلقت انظارنا ثلاث حقائق جذابة اولها ان تركيا اليوم امة منتصرة تحت ما كان مقيدا في سجل تاريخها قبل عام ١٩١٩ . فقد اراحت ذاتها من ملحقاتها الامبراطورية السابقة التي امتدت الى الفرات شرقا والى ابواب عدن جنوبا . وقد وفقت تركيا باصدار قرارها القاضي بالتخلي عن تلك الملاحقات المأهولة بالعرب . من هنا تبدأ خطوة تركية التطورية الثانية . فتركية كمال الحديثة اصبحت ذات وحدة متجانسة . وبعد ان استرد اليونان المقاطعات التي ظالما حلموا بها وواجهوا البلغار واليوغوسلافيين في موضوع ايجاد منفذ لكل منهما على البحر ، آمنت تركيا شر جيرانها . وقد نست تركيا تماما مكة والمدينة والقدس ودمشق واخذت تفدى ذكرى دفاعها المجيد في موقعة غاليبولي وقيدت في سجل تاريخها الحديث محاربين احدها طردها لليونان من ازمير والثاني طردها لجيوش الحلفاء من الاستانة . اما الحقيقة الثالثة فنفسية تماما فالذين نهضوا بتركيا قد بذلوا جهدا عظيما لتحريرها من الروح العثمانية وقد تمكن مصطفى كمال من تشخيص داء « رجل اوروبا العليل » بقوله انه مصاب بمرض عصبي مزمن ادى الى ادعاء اوروبا بانها حامية غير المسلمين من ظلامهم العلم العثماني . لذلك كان اول ما صنعه ذلك الطبيب الوطني الماهر هو نقل المصاب من الاستانة الى انقره . حيثما يتمكن من معالجته بلا تشويش خارجي . ثم قرر القرار على وجوب اجراء عملية بتر ، لان العلاج لا يفيتد في مثل هذه الاحوال ، فالفيت الامتيازات وازيلت اسباب العدوى الباطنية

بإزالة الأقلية الغير مسامة . هذه الأقلية المكونة من ارمن ويهود واغريق ،
 أولئك الذين لم تكن لهم لغة في حين كانوا يلوكون كل لغة وكانوا بلا وطن
 في حين كانوا يتسبون الى كل وطن يتزوجون من أبناءه لدرجة انهم كانوا
 يقولون عن وطن كل من يتكلمون معه « وطننا » ولم تكن لهم عاصمة ولم
 يوالوا حكومة ، في حين انهم كانوا رعايا لكل الحكومات . فهذه الأقليات
 التي كانت تدفعها الاطماع السياسية والدينية . فقد بعدت الآن بطريقة مثلي
 تخالف طريقة المذابح والاضطهادات التي كانت متبعة قديما . حقيقة كانت
 هذه الأقلية نشطة في اعمال الوساطتين الاقتصادية والتجارية ، ولكنها كانت
 غير مرغوبة . ولذلك طردت وتبع ذلك سقوط الاجانب من المركز الممتاز الذي
 ادعوه طويلا لذواتهم بحكم الامتيازات

بدأ المصلحون بعد ذلك بالاهتمام الى داخلية المنزل فارتأوا ان نظم
 الامبراطورية العتيقة لم تعد صالحة لهذا العصر . لذلك عولوا على اشادة وطن
 جديد على اساس وطني بعيد عن تقاليد الخلافة والسلطنة وما علق بهما من
 النفوذ الديني . فالتقاليد الحميدية كانت ترمي الى خدمة الخليفة غير مهتمة
 بالامة ونجاحها . وقد اصاب الغازي في استنتاجه بان التركي محافظ بطبيعته
 فابقاء اي اثر للسلطنة او للخلافة من بيت آل عثمان معناه ايجاد نظام داخل
 نظام ولذلك قضى على النظام القديم سواء أ كان حميديا او انوريا (حزب
 تركيا الفتاة)

ويمكن القول بان الثورة التركية ليست الا صورة للثورة الفرنسية . فقد
 جمع مصطفى كمال في شخصه شخصيات ميرابو ودومورني وروبسبير
 و نابوليون (القنصلية الأولى) وكانت ازمير التركية بمثابة جيباب الفرنسية .
 وقد محى حكم الارهاب الارستقراطية التركية واخيرا ايضا خضعت
 القسطنطينية على اثر الانتصار في ساحة مودانيا . ولو ان مصطفى كمال قد
 بلغ تلك الذروة من الشهرة فما زال الثالث المكون منه ومن عصمت رئيس
 وزرائه ورئيس الحزب الوحيد وفوزي قائد جيشه وكبير بوليسه متماسكا يشاطرون

عضواه الاخيران الغازى فى شهرته ويعمل الجميع معا لرفع شان الأمة التركية
وكلهم قد خبر الحرب وعرك السياسة وله ماضى مشرف ويد نظيفة ومن
حسن الحظ انهم ظلوا على ما كانوا عليه ولم يتركوا اللوقية والدرس مجالا
بينهم ، فخاض كلا منهم الشدائد فشتتوا وشنقوا ولكنهم تمكنوا اخيرا من
الحكم المنظم بالرغم من انه حكم ديكتاتورى . فهم الآن انموذج الوطنية
الحديثة وقلوبهم ملاءى بحب وطنهم واحترام مواطنيهم .

ووجه هذا الثالوث الثقافية صوب الحالة الاجتماعية واوجد مبدأ تركيا
الجديد « تركيا للاتراك والاتراك للنشطين دون غيرهم لتركيا » أما التركي
التقديم فقد كان كسولا لدرجة أنه أسلم قياد نفسه للاقايمة النشطة فتجسدت
فى أموره الاقتصادية والادارية . والسبب فى ذلك هو سوء نظام التعليم
والخرافات الدينية التى وقفت عائقاً فى سبيل متابعة التركي لروح العصر الراقية
والدافعة له للتنازع مع من هم أقل استعداداً منه . وأما التربية الاجتماعية
التركية فكانت طريفة . فقد كانوا يدرسون التركي على العزة الوطنية والشخصية
وكانوا يدفعونه بلا وعى لتقليد الغرب

وقد أفلحت سياسة الغازى فى الاقلال من أثر الضعف الوطنى وتأثرت
العقلية التركية بطريقة غير مباشرة من المجهود الذى بذله وكان لازماً ، لاجل
بناء تاريخ جديد ، قطع صلة الحاضر والمستقبل تماماً بالماضى المخزى . هذا هو
السر الذى تحويه كل أغاز السياسة المشيدة الحالية التى ترمى الى اصلاح
مجري الحياة التركي

وأول تجديد بدى به هو استبدال الطربوش بالقبعة . وترك الحرية لمن
يردن السفور من النساء . وكلنا يتذكر كيف احتفلت تركيا باسترداد الاستانة
وكان من لزوميات ذلك الاحتفال الاحتفاظ بالطربوش للدلالة على تمكن
التركي من قهر الغربى . ولكن بعد ذلك بعامين انتهر الغازى فرصة امضاء
معاهدة الصاح ، فحرم لبس الطربوش ولم تكن هناك فرصة لاستجلاب كل
ما يحتاج اليه الاتراك من القبعات . فكم كان غريباً أن ترى الناس يلبسون
كل ما تقع أيديهم عليه من أنواع القبعات .

أما النحجب فقد كان على العكس مما سبق. فبالرغم من أن ٩٠ ٪ من نساء المدن الغربية سرن سافرات . فان أغلبية نساء المدن الاخرى التي كانت معقلا للتقاليد الدينية لا يزلن مخفيات لوجوههن . ولم يكن اختفاء الطربوش وانتشار السفور إلا مقدمة لأنواع أخرى من التجديد فبعد أن ربض الغازي عامين آخرين ظهر دفعة أخرى علي المسرح ليعمل بعزمه لتنفيذ سياسته الجديدة . صرح اسماعيل باشا الخديوي بان مصر لم تعد جزءاً من افريقيا ولكنها جزء من اوروبا وهذا منذ خمسين سنة . وكان يرمى الى قطع علاقات امته بالنظام الشرقى ولكنه اتبع طرقاً أضرت به وبامته معه . وقد وجدت هذه الرغبة عند كمال ولكنها لم يفرق بلاده بوفود الاوروبيين ، وأغلبهم من المسترزقة كما فعل اسماعيل ، ولكنه حاول الوصول الى نفس الغاية بواسطة الاتراك انفسهم رغبة في تسيطر ابناء وطنه على مواردهم دون الغربيين

و يجب ان لا ننس ما سبق لنا قوله من ان الاسلام تحت نظام الخلافة قد اوجد لنفسه نفوذاً سياسياً واجتماعياً في تركيا . وظل هذا النظام سائداً من مهد العصر القديم الى الحده . فقد كان قسيس القرية « الخوجه » - العالم - ممثلاً سلطة الخليفة الروحية . وكان مستقلاً تمام الاستقلال عن الحكومة وفي اغلب الاحيان كان معادياً لها وكان شيخ الاسلام بحكم مركزه وزيراً للدولة وكان يسيطر على مقدار غير قليل من ثروة الدولة - الاوقاف - ارضه المؤمنين لأعمال البر والتعليم فهذه الاموال كان يساء استعمالها في العصر الماضي باستخدامها في المصالح السياسية . خصوصاً وانه لم تكن للحكومة اى سيطرة عليها . لذلك كانت آمال الفلاح التركي تقف عند رغبته في اختصاص ذاته بجزء منها ولم يكن ذلك ميسوراً له الا اذا اكتسب ثقة « الخوجه » عن طريق الطاعة . وأسوأ أثر لنظام الاوقاف كان ايماد التركي عن التعليم واحاطته بالخزعبلات والاهام ، لذلك ضرب الغازي هذا النظام ضربة قاضية فزال وظيفة شيخ الاسلام ووضع الاوقاف تحت

محاكمة الحكومة التركية على عائقها القيام
بمنشر المعارف الامر الذي يخلد لمصطفى كمال بحق لقب « مربى النشء »

وبالرغم من اطلاحة الغازي بالخليفة وشيخ الاسلام لم ير الفرصة مناسبة
لمشاكسة الاسلام بصفته دين الدولة . فابقي في صلب الدستور ما يفيد انه
كذلك ولكن في اوائل هذا العام رجع عن ترده وبجرة قلم طلق الدين
ثلاثا لاسباب سياسية فاصبح الاسلام بذلك لا اكثر من دين كبقية الاديان
وتدل الاخبار الاخيرة على انهم فكروا في تأنيث المساجد بمقاعد وأدخلوا
الموسيقى فيها وبذلك لا يضطر المسلم المتعبد الى خلع حذائه اذا اراد الصلاة
وهذه خطوة جريئة يعرفها كل الذين خبروا الاسلام . ويظهر ان الناس قد
أقبلوا على هذا الجديد كما اقبلوا من قبل على كل جديد أوصى به الغازي
واتبعوا نفس الطريقة في نظام التربية والادارة . فاللغة التركية ليست
اكثر من خليط من اللغتين العربية والفارسية وهي لغة غنية في الاعداد عن
المعاني ولكن ينحصر ضعفها في عدم وجود صلة بينها وبين اللغات
الاوربية الامر الذي لا ييسر لها هضم تلك اللغات فهي لذلك أصبحت
عقبة في سبيل التمدن المطلوب . فارتأوا ان يستبدلوا الحروف والارقام القديمة
بالحروف والارقام الاوربية وقدروا لنشر الاحرف والارقام الجديدة خمس
سنوات . وقد اخذ الغازي على عاتقه نشر الدعوة بنفسه فهو لا يكتب الآن
الا باحرف لاتينية . ولا يقرأ الا ما كتب بتلك الاحرف . وفوق ذلك اهتم
بمسألة تدريس هذه الاحرف بنفسه ، في سراي ضووله بفجسي التي كانت يوما
ما مقرا لعبد الحميد ، لوزراء الدولة ولكبار موظفيها وهو لا يبخل بساعات
عديدة كل يوم من وقته لتعليم الناس مبادئ القراءة والكتابة وفقا
لنظام الجديد . وقد انتشرت فصول للتعليم في كافة انحاء الجمهورية

وقد اثمرت الحركة السكالية التي تعمل لايجاد « اترك نشطين لاجل تركيا »
فانك ترى الهوانم السافرات يعملن في مصلحة التليفون وتري ساعة العمل
دائرة على أتم نظام . بينا يختال رجال الجيش والبوليس في ثيابهم المرتبة النظيفة

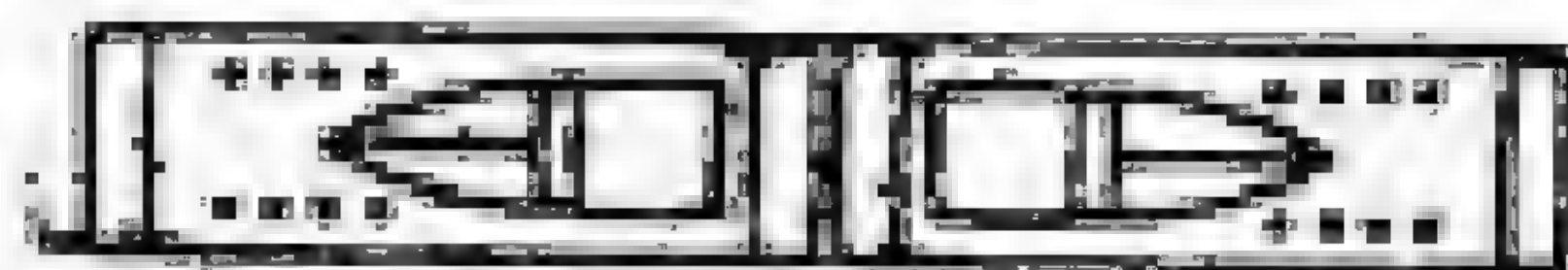
وهم مطمئنون على مرتباتهم التي تدفع لهم وقت الاستحقاق بالضبط . وترى الطرق تمهلاً ، ومواعيد السكك الحديدية في غاية من الضبط . مثلها كمثل مواعيد الرافعات . وفوق ذلك قد أصبحت اقيرة اليوم غير اقيرة ١٩١٩ اذ تفضت عنها غبار الماضي فازيلت من حولها المستنقعات المسببة للأمراض فتركية الآن مثال للتنظافة والنشاط تسير على طريق التقدم بقدم سريعة ثابتة

هنا يجب أن نشير الى الحالة الاقتصادية فالملاحظ أن تركيا قد دفعت ثمناً غالياً للتقدم الذي تسعي اليه وقد نزع ذلك عن طردها للاقلية الغير مساعة التي كانت تقوم بعملية الوساطة بين المنتج التركي والمستهلك الاوروبي وبالعكس ومن الملاحظ أيضاً أن مقدرة التركي عاجزة عن مهاشة روح التجارة المصرية فنتج عن ذلك عجز المحصول التركي عن احتلال المكان اللائق به . الامر الذي سبب عسراً داخلياً . ولكن الظاهر أن الغازي قد انتبه لهذا الامر ولكن لم تثمر جهوده تماماً حتي الآن من هذه الجهة في حين أن التركي قد لبى دعوة الغازي من الوجهتين السياسية والاجتماعية . وبالاختصار فان تركيا قد أصبحت للآراك ولكن لا يزال الوطن التركي في حاجة الي « التركي النشط الامثل »

ملخصة عن الانكليزية

الخرطوم

ط . ه . حنين



شعر التجديد

ومذاهب النقد

النقد الأدبي ورجاله - المذهبان الأصيلان - حدود المذهب الفردي -
تطبيق المذهب العام

(١)

النزاع بين الأدباء والناقدين قديم معروف ، لا تخلو منه آداب أمة من الأمم ، فالنقاد متطرفون غالباً ، والأدباء الذين أرهقهم جدهم في إخراج ثمرات عقولهم وتغوسهم وأعصابهم لا يسرهم أن تتناول المعاول المتطرقة في غير أشفاق بل ويتملكهم الغضب إذا رأوا عيباً محصوراً - نسبياً - يتناول على مؤلفاتهم فتناولها سخريته اللاذعة ! ... ولعل هذا هو الذي دعى شلي (Shelley) الشاعر الانجائزي المعروف إلى أن يقول :

« ماعدا أمثلة نادرة لا يمثل النقاد سوى سلالة غبية خبيثة ، وكما يتحول اللص المفلس في يأسه إلى خفير كذلك يتحول المؤلف العاجز إلى ناقد ... وهو رأى قاس ولكنه صادر عن نفس أمضاها عنيت الناقدين ، ولعل كلمة شلي هذه - على شدتها - أخف على النقاد ووطأة من الكلمة الناعمة التي يصفهم بها الأديب الشهير كولردج (Coleridge) حيث يقول :

« النقاد هم عادة أناس كان ينتظر أن يكونوا شعراء ومؤرخين وكتاب سير لو استطاعوا وقد جربوا مواهبهم في هذا أو ذاك ففشلوا . ولذلك اقلبوا نقاداً ! ... » وصراحة انني أميل غالباً إلى الاتفاق مع هذين الرأيين وإن كنت لا أحب استعمال العبارات القاسية . فالفرض الأول من النقد هو :

الإصلاح ، وذلك يقوم على شيئين : الهدم والبناء . . . لا الهدم فقط ، لأننا نهدم تمهيداً للبناء . فالأول عرض والثاني جوهر . وليس كل شيء قابلاً للهدم لأن هذه العملية من أسهل الأمور ، فيجب أن تقوم أسباب وجيهة تدعو إلى ذلك أولاً ، ويجب أن يعقب الهدم بناء أصح من المهدوم أخيراً . . . ولا داعي لهدم لا يعقبه بناء مهما رث المهدوم . فشيء خير من لا شيء ! . .

وليس لنقد الأدب أو الشعر قواعد ولا موازين تميز الزائف من الصحيح ، ولكنها مسألة متروكة لذوق الناقد وملاكمته الأدبية وسعة اطلاعه ودقة ملاحظته ؛ ثم إن قرار الناقد لا يمكن أن يكون مع ذلك رأياً مقطوعاً بصحته ، فليس له أن يتحكم في اختيار الحدود التي يقيمها للأدب ، أو يتعنت في أحكامه على الأدباء ثم يطلب منهم أن يؤمنوا بها أو يحلوها محل الاعتبار . . . ويجمل بنا أن نذكر هنا أن للنقد مذهبين أصليين هما : المذهب الفردي والمذهب العام ، ولا يقتصر المذهب الفردي على المذهب الشخصي فقط . فقد يكون مذهب جماعة من الناس ولكنه يفتقر على أي حال إلى مبادئ المذهب العام ، ولعل من تحصيل الحاصل أن تقول إن الناقد المنصف هو الذي يفرع إلى المذهب العام فينقد الأثر الأدبي حيث هو ، متأثراً بالوسط والبيئة ، مراعيًا الآراء والأفكار التي تلاعبه وتشغل أذهان معاصريه ، ثم يصدر حكماً يتناسب مع أثره في عصره وقيمه في البيئة التي خرج منها . أما المذهب الفردي فهو مجرد آراء مطلقة قد تكون متباينة ولكنها مع ذلك قليلة الجدوى !

أما أن يتقدم ناقد فيخترع لنا قوانيناً للشعر والشعراء ويطبّقها على الوجه الذي يختاره ولا يقبل في ذلك نقاشاً ولا مراجعة ! فنحن لانفعل معه أكثر من توجيه نظره إلى أقوال شلي وكولودج التي ذكرناها آنفاً . . .

وإما أن يرى الناقد أثراً أدبياً فيقبض شفتيه ويهز رأسه ويتم قائلًا « هذا لغوا . . . هذه دردوة ! » فإنا نطلب إليه أن يسجل آراءه حتى يمكن

هناقشتها والرد عليها أذاك بأساليب لولبية عجيبة لا يفهم منها شيئاً مستقلاً ، أو يغيب على الأديب مفخرة من مفاخره ويعدها من المثالب ثم ينتظر تصفيق الاعجاب فهذا مالا طاقة لأحد — دع عنك الأديب نفسه — باحثاًه ! . .

ومع ذلك فقد كان الشعراء — ولا يزال بعضهم إلى الآن — يتلطفون للنقاد في الرد ، ويحاولون أن يفهموهم في هواة وجهة نظرهم ، أو بالحرى أنهم كانوا يقومون بوظيفة الناقدين لما يكتبه النقاد أنفسهم ؛ ولقد كان أحرى هؤلاء أن ينتفعوا بهذه النماذج التي تخلصهم من أغلال المذهب الفردي وتسمو بهم إلى المذهب العام ، ولكن كبرياءهم أبت عليهم مثل هذا فتسعت دائرة الخلف بين الشعراء والنقاد وأصبح أكثر أولئك لا يعنى بما يكتبه هؤلاء . ومن ثم انحط عندنا فن النقد فقد انصرف عنه الأدباء وانصرف إليه المتسكعون !

وليس معنى هذا أننا ندعو إلى ترك المذهب الفردي في النقد أو نبخسه قدره ، فله أثره ، ولكما نقول إنه لا يكفي وحده ، ولكن حبذا لو أخذ الناقد بالمذهبين . <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وسندرس معاً شعر شاعرين من كبار شعرائنا على الطريقتين : الفردية والعامة وقد نتخلص بعد ذلك إلى المقارنة بينهما فذلك يسهل بعد ذلك الدراسة :

وسيكون الشاعران هذه المرة — وعلى سبيل المثال فقط — أبا شادي والعقاد ، وقد نعود لهما أو لغيرهما في فرصة أخرى .

(٢)

وليكن المذهب الفردي — مثلاً — أول المذهبين اللذين ندرس عليهما أدب أبي شادي والعقاد ولتكن دراستنا عملية منطقية وسنجهده في التحديد لتكون سهلة سائغة ؛ وقد يعجب بعض القراء مما سنتحرى تحديده من قواعد هذا المذهب . وربما ذهب إلى أنه لا يوجد من يتخذ من مثل هذه القواعد مقياساً

نقد الشعر ، ولكننا نطمئن هذا البعض ونقول إن ما سنذكره ليس من وضعه ولكنها صادفتنا فيما قرأناه من نقد يوجه دعاة المذهب الفردي إلى بعض الشعراء ... أما قواعد هذا المذهب فيمكن تلخيصها فيما يأتي :

(١) إن الشاعر لا يجب أن يتأثر بما كان ينشره الفلاسفة عن السعادة والفضيلة وغيرها

(٢) يجب أن لا يكون الشاعر ذا حرفة « تستنفد شطراً كبيراً من جهده وعنايته » لأن لذة العمل العلمي قد « يستنكرها البعض على شاعر » !

(٣) يجب أن يحوط الشاعر اذا عرض النظم للتصوف « ابهام المتصوفين المألوف » ولا يجوز أن يكون « واضح منهج التفكير » !

(٤) « الشعر والفلسفة والعلم مراتب متفاوتة في إدراك الحياة وتصورها ، تختلف من حيث الابهام والوضوح ولكل منها حدودها » ولا يجوز مطلقاً أن يهضم الشعر شيئاً من العلم أو الفلسفة !

(٥) لا يجوز للشاعر أن « يتحرى التحديد في أفكاره ، وأحرى بأن تقرأ تلك الحدود الفنية التي يقيمها للشعر في كتاب نقد لا في ديوان شاعر » وأسلوب الشاعر وأفكاره ومعانيه يجب أن تكون بعيدة عن الترتيب المنطقي لأن المنطق علم وفلسفة والشعر لا يمكن أن يهضم علماً ولا فلسفة !

(٦) يجب أن يتحرى الشاعر التألق والتظرف في شعره ؛ لأن مهمة الشعر هي أن يبهج الحس ويرضى العاطفة وكفى ... !

(٧) الفضيلة والشرف والعفة صفات لا يجب أن يعرفها الشاعر ولا أن يذكرها في شعره !

(٨) الحياة الطاهرة البريئة غير مستحبة من الشاعر الذي يجب أن يغذى شاعريته « بالاسترسال في دفعات الشباب الحارة » !

(٩) ليس الشعر وسيلة من وسائل الإصلاح الاجتماعي . وعلى الشاعر أن

يتورع عن نظم شعر التهذيب والشعر الانساني ، والشعر الأخلاقي ، لأن ميدان الشعر ليس منبراً للوعظ والتهذيب

(١٠) « الحض على التفاؤل ومحاربة الشرور من أشرف الغايات التي يدعو إليها الانسان ولكن الشعراء يجب أن يكونوا آخر من يدعو لذلك » لأن الشياطين إذا ارتحلت عن هذا العالم وأصبح الخير حاكم الدنيا الأوحى لا يجد الشعراء ما يقولونه إذاذاك !

(١١) لا ينبغي للشاعر أن يكتم أحزانه « ويأسر جراح قلبه » من غير أن يسمع الناس صراخه وعويله !

(١٢) لا يجب أن « يتوخى الشاعر في الأسلوب ما يدعو تمصيراً للغة إزاء من ذهبوا إلى إلباس اللغة ثوب الاستعراب والبداوة » ودعاة هذا المذهب يقولون ان « الأسلوب العربي القوي بائع في كل زمان ومكان » ! ..

ARCHIVE
(٣)

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هذه هي المبادئ الاثنا عشر التي أقاموها حدوداً للمذهب الفردي في النقد ، وهي في اعتباري هادمة لشعر التجديد والتسامي ، ونود الآن أن نطبقها معاً على أدب الشاعرين المختارين هذه المرة : أبي شادي والعقاد ، وقد يكون من المناسب أن نذكر قبل هذا التطبيق أن واضع قواعد هذا المذهب راعوا فيه أخلاق أمثال العقاد ومبادئه لأنهم يعجبون بأشباحها إلا أنك ستراه يخالف مع ذلك جوهر المبدأ ولنبدأ :

(١) لا ينكر أبو شادي تأثيره بما كان ينشره الفلاسفة القدماء عن السعادة

والفضيلة وغيرها ، أفلا يقول في « السعادة — وفلسفة سقراط » :

لولا بحدوني وشكي لما عرفت (السعادة)

كأن سقراط أوحى إلي فؤادي فؤاده !

ثم أليس العقاد هو الذي يقول للسعادة :

وقد سألتك حتى مللت طول سؤالك
وترى أن أباشادي كان يريد أولاً أن يعرف كنه السعادة وعز عليه أن
يقضي عمره وهو يجهاها :

عمرى تقضى بجهالى . فقيم أبقى اعتماد
حتى عرفتة بها فلسفة سقراط فتر كنه يقول :
أما السعادة عندي فليدة مستعاده

إلى أن يقول :

لكن ولوعاً بخير فانخير أصل السعادة
أما العقاد . فقد اشتهاها وألح في طلبها حتى مل الإلحاح وعرف إذ ذاك
نه بجهاها :

وقد جهاك لما سحرته بجهاك

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

ثم تركها معتقداً أن :

أشقى الأنام أسير معلق بجهاك

ثم خيل إليه أنه يعرف معدنها فقال :

إن السعادة تحت الأرض معدن
ولكنه رجع أخيراً وهو يعتقد .

إن السعادة لن تراها في الحياة بمقلتين

ولا شك أن كليهما متأثر في هذا إلى حد ما بأراء الفلاسفة :

وعلى ذلك فمذهب النقد الفردي يسقط من حسابه هذين الشاعرين ولكنه
يوصى بالعقاد خيراً . لأنه مازال يتخبط لا يتركه جهله بالسعادة يهدأ على حال !.

(٢) « أبوشادي الشاعر يحترف الطب » هذا صحيح ، وقليل من يجها

أنه اختص بجانب دراسته للطب بعلم البكتريولوجيا . واهتم أيضاً بدراسة عد

لأبطلوريا (تربية النحل) وله في ذلك رسائل علمية قيمة . . . فهو إذن غير فارغ للشعر . أما العقاد فقد يكون من الجائز أن تحسبه صحفياً ، ولكن الصحافة « لا تستنفد شطراً كبيراً من جهده وعنايته » فهو إذن فارغ للشعر أو على الأقل أكثر فراغاً له من أبي شادى وهو لذلك أشعر منه (!) ودع عنك إنه — رغم هذا الفراغ — لم تتمخض شاعريته في السبع السنوات الأخيرة سوى عن جزء صغير من ديوانه لا يحوى أكثر من قصيدته في رثاء المغفور له سعد زغلول باشا وبضعة أبيات مبثورة . . . ودع عنك أيضاً أن أبا شادى — رغم هذه الشواغل — أخرج في الست السنوات الأخيرة أكثر من عشرة مؤلفات تفيض شعراً ! . . . دع عنك كل هذا فدعاة المذهب الفردى يسقطون أباشادى هذه المرة من زمرة شعرائهم لأنه كثير المشاغل و يشبهون العقاد لأنه أكثر فراغاً ! . . .

(٣) لا يرى أبو شادى مبرراً للاجتهاد في شعره المتصوفى ولا في سائر شعره وهو يرى أن الخيال العالمى البعيد أجهل من الاجتهاد ، وانظر إلى قوله :
 مرت ملايينها لحجاً كثنائية وخلفت حيرة كبرى لمن فهموا
 ما خلق؟ ما هذه الدنيا ومنشؤها ما الفكر؟ ما الجوهر الباقى؟ وما عدم؟
 مسائل هي الأحقاب باقية كما سيبقى الردى والشك والألم
 أجل فرض لها وهم ، وأيسره وهم ؛ وقد يستوى الدهماء والعالم !
 ألا ترى أنه محقق في قوله ، وأن الوقت قد حان لترك « اجتهاد المتصوفين المؤلف » !

أما العقاد فلا نعرف له شعراً في التصوف أو ما يقاربه ، ولكننا نعرف له قصيدة في معنى عكسى هي (ترجمة شيطان) التى يقول فيها عن الخالق :
 قال كوني محنة للأبرياء فأطاعت ؛ يالها من فاجره !
 ولو استطاعت خلافاً للقضاء لاستحقت منه لعن الآخرة
 وأنت ترى أنه لا يحوطه فيها ذلك الاجتهاد أيضاً ، وعلى ذلك فدعاة المذهب

الفردى يسقطون أباشادى من حساب شعرائهم فى هذه النقطة : ويلحقون به العقاد ، وإن أخذهم على هذا الأخير عطف . . .

(٤) يرى أبو شادى أن لامستقبل للشعر إن لم يهضم العلم وليس معنى هذا أنه يدعوا إلى نظم النظريات العلمية ولا أن يتضمن الشعر الحقائق العلمية البسيطة عارية ، فمثل هذا الظن لا يدل إلا على سخف صاحبه . . . ولكنه يود لو هضم الشعر فكرة علمية سامية أو معنى علمياً طريفاً . . . يقول أبو شادى فى قصيدة مطالعها :

رحماك! كيف أرقى قدسى الدم؟! روحى أرقى به وإن لم تعلمى!

يصف نقطة دم « شفاعة على كتاب حب » :

يانقطة القلب الحبيب بما وعت أهلاً بمقدمك الحبيب المكرم!

حملت آلاف الكرات جميلة فكأنها قبل سترن لمغم

وكان عيني مجهر نظرت بها ماغاب عن نظر الخلى أو العمى

فهل خسر الشعر شيئاً من صحبته لأعلم فى هذه الأبيات الرقيقة الطريقة؟! ..

أما أن لنا أن نتخلص من هذه القيود التقليدية التى تأبى صداقة العلم والأدب والفلسفة !

ولماذا نحرم على شاعر أن يقول للشمس :

يا حياة الكون مهما حجبت عنه نصف العمر وحيماً ماغبين

يشير فى ظرف وبراعة إلى تقسيم الاشعاع بين نصفى الكرة الأرضية

أو يقول لها :

أنت أصل الأرض والبدر الذى يعشق الأرض إذا البدر قتن

ونظّل الدهر نهوى خشعاً حسنك الباقي على مر الزمن

أو يقول فى قصيدة (الجامعة المصرية) يتخيل مستقبل العلم وفتح القمر :

إن (السيرمان) — الذى حملت به أحلامنا — المستبسل المغوار

الدارس الدنيا دراسة مبدع لا الأرض تكفيه ولا الأثقال
ولربما ركب الأثير موقفاً وتدالت لعتوه الأخطار
فيطير (للقمر) المرحب مثمنا طارت الى أوكارها الاطيار
هو بضعة (للأرض) ليس يفوتها وكأنما هذا (الأثير) بحار
وجميعها يوماً ستصبح مركبا سهلاً وتهتك حولها الاستار
ولربما وجد المياه به ، وان عذمت تغلب علمه الجبار :
وهي قصيدة بديعة نجتزى منها بهذا ولو اتسع المقام لما تركنا منها بيتاً ...
فهل من النصفة أن نحرم شعر التجديد هذه المعاني العصرية الخالدة ! .
أما العقاد فشعره لا يهضم شيئاً من العلم لان ظروفه لم تهين له دراسة علمية
صحيفة ، وليس في هذا أنه لا يوافق على هضم الشعر للعلم فانه يحاول ان يكون
في بعض قصائده منطيقاً ، والمنطق علم فلسفي وهو وان كان قليل التوفيق في منطقته
فانه من أنصار هذه الفكرة . . . وعليه فدعاة المذهب الفردي يسقطون من حساب
شعرائهم أبا شادي ولكنهم قد يترددون في اسقاط العقاد هذه المرة ! . . .
(٥) حقيقة أن ابا شادي يتحرى التحديد اللفظي في مواقف ، اما التحديد
المعنوي فان الخيال في الاستعارة والمجاز يتركان في المعنى مجالا لتفكير المفكر ،
لأنظر الى قوله :

أقصى الظنون وجودي أصله العدم ومن عجيب وجودي ليس ينعدم
فقد يكون ظاهر هذا البيت التحديد ولكن الواقع ان فيه للتأمل مجالا
غير محدود

أما العقاد فهو وان كان يتحرى التحديد اللفظي الا انه أشبه بتحديد معنوي
أيضاً ، انظر الى قوله .

أنت يارب لطيف في القضاء فاصعق اللهم من يجحد فضلك
قسماً باسمك يارب السماء ما أرى في الناس من يدرك وصفك

فهل ترى في هذين البيتين ما يبعث في نفسك روح التفكير أو حتى ما يساعد عليها ؟ ! . . . إن التحديد هنا لفظي ومعنوي فلا تخرج معانيهما عن هيكل الفاظهما قيد أنملة . واذن فجماعة المذهب الفردي يسقطون العقاد من حسابهم هذه المرة وهم راغمون كارهون ، وأنا واثق انهم سيسقطون من حسابهم معه أبا شادى فلنتركهم يفعلون ذلك ففيه له مفخره !

(٦) الشعر في رأى أبى شادى « هو تعبير الحنان بين الحواس والطبيعة هو لغة الجاذبية وان تنوع بياتها ، هو أو حدى الاصل فى المنشأ والغاية وصفا وغزلا ومداعبة ورثاء ووعظا وقصصا وتمثيلا وفلسفة وتصويرا ، فان مبعثه التفاعل بين الحواس ومؤثرات الطبيعة ، وغايته العزاء والاحتماء بهذه الطبيعة ، وان تضمن أحيانا الغضب والسخط ، وما هو الا غضب الاطفال الصغار » وهو لهذا يمتد التأنق والتظرف والتصنع المبتذل . . .

أما العقاد فهو وان كان لا يفتأ يعلن سخطه على هذا التصنع والتظرف الا ان الواقع يثبت انه انما يتأثر ببعض القدمات في ديباجاتهم المتأنقة ! واذن فالمذهب الفردي يسقط من حسابيه أبا شادى ولكنه يستمسك بالعقاد

(٧) يعتقد ابو شادى انه .

ليس يكفى الشعر فنا تلاء فهو روح النبوة المتعالى
كل شعر سواه لحن ضئيل وشعاع يموت طى الليالى
فالشعر أئمن من أن يصرف فى تزاويق لفظية أو معنوية لا طائل تحتها ! . .
وهو لذلك لا يرى ما يمنعه من معالجة الموضوعات المهمة كالعفة والتعاون والفضيلة ، وهو الذى يقول لهذه الأخيرة .

للأمانى وللهمى والغوانى كم دهانى الاسى لفرط اكتئابك
ودعى هذه النفوس ورفقا بمعنى عذابه من عذابك !
وهو القائل عن الرذيلة أيضا :

ومن خاض الرذيلة في دروس تنزه عن عواقبها عليمًا
ولكن المجانب خوف ضعف يزل ويفتدى بعد الذليلا
أما العقاد فقد يوافق دعاة المذهب الفردي على أن الفضيلة والعفة والتعاون
وما إليها صفات لا يجب أن يعرفها الشاعر ، وهو يحسب نفسه « بالطبع ! » من
فحول الشعراء . . .

(٨) « يعيش أبو شادي عيشة بريئة طاهرة لم يشبها استهتار بلذة ، ولا
استرسال في دفعات الشباب الحارة » هكذا يقرر دعاة المذهب الفردي ويزيدون
أن هذه الحياة لا تنتج الشاعر الذي يجب أن يغري شاعريته « بالاسترسال في
دفعات الشباب الحارة » ولا أخال أبا شادي نفسه إلا ملتصقا من هؤلاء الدعاة
في رفق ان يصعدوا أمرهم الكريم باسقاطه من حساب شعرائهم هذه المرة أيضا ! ...
أما العقاد فنحن لا نعرف شيئا عن حياته ولكننا نظنه ان يسقط من حساب
شعرائهم هذه المرة فلنتركه . . .

(٩) « أسمى ما بلغه الشاعر أخيرا من غرض انما هو درس الحياة وتحليلها
وإذاعة خيرها ومكافحة شرها ، وهو غرض نبيل جامع وأن تكيف بصور شتى »
وأبو شادي إذن لا يرى بأسا من اتخاذ الشعر وسيلة من وسائل الإصلاح
الاجتماعي ولا يتحرج في نظمه شعر التهذيب والشعر الانساني .. أو ليس هو القائل ..

إن « الحياة » تضافر وتعاون سيمان بين غنيها والمعدم
حتى الجماد فقد يؤازر بعضه بعضاً ، فكيف بمن لروح ينتمى ؟
ألا ترى ان فكرة التعاون التي تبناها مثل هذه الأبيات لا ترضى إخواننا
دعاة المذهب الفردي الذين يريدون أن يجعلوا من ميدان الادب مضمارا للصراع والملاكمة
ثم هل ترى في ديوان العقاد جميعه بيتا يحمل هذا المعنى أو حتى معنى مماثله ؟
إذن فلا تلم أبا شادي ان انسحب — هو — باطلف من شعراء هذه الزمرة وترك
العقاد ينعم بزعامتها . . .

(١٠) لا يمكن لشاعر مجد مخلص لنفسه ولفننه أن يعيش في الحياة بلا مثل أعلى ، ولو وقع المستحيل ، وارتحلت الالباسة عن العالم . وأصبح الحق حاكم الدنيا الاوحد فهل تظن أن مطامح الانسانية تقف ! . . انها تتحرر اذ ذاك من الغرائز السافلة وتنصرف عن الحيوانية الى التكميل والتحسين المستمر ، واذن فلا يمكن لأبي شادي ان يترك الحظ على التفاؤل ومحاربة الشرور وقد اعترف دعاة هذا المذهب أنفسهم انها « من أشرف الغايات التي يدعو اليها الانسان » . ولعمري لماذا يفرضون ارتحال الشياطين عن العالم وحكم الدنيا بالحق وحده ليمنعوا شعراء الإصلاح من مناجاة مثلهم العليا التهذيبية . لانهم لن يجدوا مجالا لنظمهم اذ ذاك ، ولا يمنعون شاعرا فاسقا معربدا من الاسترسال لانه هو الذي لن يجد هناك المجال لعربدته . . .

ونحن لا نعرف رأى العقاد في التفاؤل ولكننا نلحس تشاؤمه في مناسبات كثيرة فليست دعاة المذهب الفردي أبا شادي من حساب شعرائهم وليهتؤا بالعقاد ! (١١) أبو شادي رجل يعرف ان الحياة طائفة بالماسى ، ويدري ان لكل امرئ فيها مكانا يبعث الشجن في نفسه — ولقد عا كسته الظروف وعانده . ولكنه يفضل ان يكتنم أحزانه ، وان فاضت أحيانا على الرغم منه .

وأما العقاد فكلنا يعرف انه رجل رفعت الظروف الحسنة إلى مستوى الادباء والشعراء ، ولكنه مع ذلك لا يترك فرصة تمر دون أن يملأ الأرض بصراخه وعويله !

(١٢) لفتى الذى بوحيه ذوقى والذى لى به الأدب الحديث ندائى وأرى فى وحجائى ثم يراعى ملكا لموطن الشقى شقائى هكذا يقول أبو شادي ردّاً على الذين يعيبون عليه أسلوبه الحر المتدفق . وإليك برهانه :

« الشاعر رسول قومه ، فيجب عليه حتما أن يكون بيانهم بيانهم ، والا كان غريباً عنهم ، وهذا يعنى اجتناب التقعر وغريب التعابير التي لا توافق ثقافتهم .

العصرية ، ولا تناسب أمرجتنا المصرية « وهو لذلك يدعو إلى استعمال
« الفصحى السلسة وتطعيمها بالمختار المصقول من مفرداتنا وتمايرنا القومية » وفي
هذا رد مقنع للذين يتوهمون أن « الأسلوب العربي القوي بليغ في كل زمان
ومكان » متناسين الوسط والبيئة وفعل الزمن !

ولعمري إن « ضعف الأسلوب » الذي يحاول البعض إنصافه بأبي شادي
اللاهون عندي من صفة يخلمها القارئ على العقاد عند ما يقرأ قوله .
يللم حذاء القدامى كأنها أضالع في أرماسها تهشم
أو قوله :

جناحين لو طار النصت قدومت شاريح رضوى واستقل يللم
فما حذاء القدامى ! وما الأضالع التي تهشم من أرماسها ! وما الشاريح !
أما رضوى ! وما يللم ، وما الذي تركه العقاد أخيراً الأمرى القيس وزهير واضرابهما ؟ ..

ARCHIVE

وترى أن أبا شادي كان يسقط دائماً من حساب دعاة هذا المذهب ؛
مذهب الفردية في النقد . . وأن العقاد قد رجحت كفته في هذا الميدان ، بل
أن أبا شادي نفسه كان يفضل الانسحاب أحياناً ! . .

وخيراً فعل أبو شادي ؛ فيترك هذا الميدان للعقاد . . . ولكن أي
ميدان هو . . . ميدان من يريدون من الشاعر أن يكون « صائغاً » أي عاطلاً
متشرداً لا يشغله منصب ذو مسؤولية ! . . مبهماً غير واضح منهج التفكير ! . .
مشوش الفكرة بعيداً عن الترتيب المنطقي المعقول ! . . متطرفاً متكلفاً
متبجحاً ! . . لا يعرف فضيلة أو عفة أو شرفاً ! . . ولا يدعو لتعاون أو لاءاء ! . .
متورعاً عن نظم شعر التهذيب والشعر الانساني والأخلاقى ! . . كل همه أن
يبيع الحس ويرضى العاطفة ، أو بالحرى الحيوانية والشهوة ! . . أي باختصار
يكون كبائع « العرقسوس » يلجأ إليه من يطلب مبرداً فقط ! . . يكون آخر من

يدعو إلى التفاؤل أو يحارب الشرور ! . . دأب الصراخ والعيول ، لا يكتف عن
الناس أشجانه ! . . ثم يجرى أخيراً خلف ذؤبان العرب المتحدلقين في اللغة
والأسلوب ! . . فهل يعرف القارىء شاعراً يجمع هذه الصفات المضحكة ! . .
لقد فاز العقاد على أبي شادى فى مقارنة عرجاء فى حدود المذهب الفردى ،
ولكننا لن نترك القارىء قبل أن نشاهد هاهنا فى مقارنة شريفة فى حدود المذهب العام .

— ٤ —

قد لا تتوافر أسباب المقارنة بين أبي شادى والعقاد فكلاهما يمثل مذهباً
خاصاً فى شعر التجديد ، ولكننا سنحاول أن نطبق أحكام المذهب النقدى
العام . فنقارن بين الموضوعات المشتركة وفى هذا غنى للعقاد كبير . فأغراض شعره
قليلة محدودة فى حين ينظم أبو شادى فى شتى الأغراض بكثرة بل بأسراف !
نظم الشاعران فى الموسيقى فانظر كيف استهل العقاد :

معلمة الانسان ما ليس يعلم وقائلة مالا يبوح به الفم
وتأمل هذا التعريف السطحي الساذج ، ثم انظر الى استهلال أبي شادى .
عنايك مسحور وحيالك ساحر وأولع بالشعر الذى فيك شاعر
ثم عد بنا الى العقاد الذى يستتبع :
وكأمنة بين النفوس بداهة وما علمت فى مهدها ما التكلم
وعرج بنا على أبي شادى :

وناجاك باسم (الفن) كل معبر عن الفن حيث الفن حولك دائر !
أترانا فى حاجة الى مقارنة ! واصدقنى بربك هل هناك وجه لهذه المقارنة
بين أبي شادى الذى يقول :

وملوك إعجاز وآيات قوة من الوعظ لم تبلغ مداها المنابر
وبين العقاد القائل :

تهزين أعطاف البخيل فيكرم ويصفى إليك المشمخر فيرحم (!)

لو لم يكن لأبي شادي إلا البيت القائل :
وطهرت أنعامك (الروح) فاعتدت جمالا رقيقا كل ما فيه طاهر !
لو ازن قصيدة العقاد كلها ورجح عليها ! . .

ونكرر : هل يتجاوز المقارنة بين العقاد الذي يقول في « المزمар » !
نفثات المزمار تذكي أوارا رابني طول برده وسكونه
وبين أبي شادي الذي يقول في « الارغن »

تئن كالأسد المجروح مازجه حب ، فكان يباحي القلب غصانا
نصفى اليك بروح كله شغف بما تلقنه وعظا وإيمانا
كأنما هو تنزيل يوزعه عدت الاله على الوافين إحسانا !

لا . . لن نحاول أن نحلل أو نقارن ، ولكننا سنعرض عليك أبيات
الشاعرين في المواضيع المشتركة ، ولا نحسب المقارنة تقتصر بعد ذلك لا يوضح . .

يقول العقاد في (مصور) . .

وممثلين على الطروس وربما وجد المثال ورببه لا يوجد
ومنها :

فكأنما تلك الطروس وذيلة فيها يطل على الوجود الملحد
ومنها :

صور باخلاد الزمان ترددت كلميت في ذكرى ذويه يردد (!)
ويقول ابو شادي في (مصور) أيضا :

أنظر تجد عجب الحياة خيالا في لوحة جعلت رجاءك حالا !
ومنها .

من منظر تجد الطبيعة عنده سكرى تعز بحسنها يتعالى !
ومنها (وهو من أبرع الأبيات التصويرية التي رآها الشعر العربي) :
ولربما حاذرت بأس أشعة كادت تخيفك قوة وكالا !

وبعد ، فقد نظم الشاعران في (الربيع) و (البخيل) و (الحب الأول) ،
و (الخريف) وغيرها فارجع إليها في مؤلفاتهما ، ثم أصدر حكمتك في هذه المقارنة
التي سنترك لك الحكم فيها ، ولكننا نتقدم إليك راجين أن تبقى لنفسك
لأن فيه ما قد يغضب العقاد وأشياعه فيمتطاولون عليك بما لا تحب لنفسك ! ..
وانترك العقاد يملأ الأرض بأنه شاعر الدنيا والآخرة بديوانه العتيق .
وأغراض شعره المحصورة ! ..
أما أبو شادي ، الذي أخرج أكثر من عشرة مؤلفات شعرية فياضة ،
والذي علم العقاد وأمثاله النظم في الشعر الانساني والتهدئي والقومي والوجداني
والإيريني . . فكفاه أن يتقدم إلى القارئ قائلًا في نواضع وحياء :
مازلت معترفًا بجهلي دائمًا في دفع أخطائي ورفع يقيني

ونحب أن يعرف القارئ أخيراً أننا لم نعمد اختيار أباشادي والعقاد ،
وأن في إمكانه الاستعاضة عنهما بشاعرين آخرين من شعراء التجديد مثلاً
مذهبين مختلفين في الشعر مثلها ، ثم يدرسهما على نفس الطريقة وهو سيخرج
بلا شك بنفس النتيجة ما

على محمد البحراوى

نبذ عن الزواج

(١)

سمعت بالأمس قصة غريبة هي واحدة وامثالها كثير في هذا البلد . خطب .
موظف حسن الماركز سليل بيت مشهور ابنة من بيت كبير فاستمهلوه واخذوا
يستنشقون أخباره : —

— اتعرف فلان ؟

— أهو الذي يشغل وظيفة كذا ؟

— هو نفسه وقد طلب مصاهرتي فقصدتك انت صديقي مستشيراً

— مركزه كذا ، مرتبه كذا ، لا يشرب ولا يهر ، لا يجاس على
القهاوى ، له املاك فى وفى وفى . . . وهو حسن السير والسلوك يتردد ما بين
مكتبه ومنزله فقط ، وليس له اصدقاء اذ يكاد يكون عديم الاختلاط . ولم
يسمع عنه ما يشين

هذا كان ملخص الاجابات التى جمعها الوالد وقد رأى بعينه أن العريس
(منكسر) حسن التكوين والشكل لدرجة ما (وافقت العروس على ذلك اثر
تطلعها الى شريك طيلة حياتها من ثقب المفتاح)

وكتب بعد ذلك الكتاب دون أن يحرك العريس سا كناً ولم يتكرم
بزيارة صهره الادفعين لم يمكث إلا بضع دقائق فى الاولى واعتذر بانه صائم .
فلم يتغذى فى زيارته الثانية . وكانت هداياه تتالى مع اخوته وعن طريق
التجار رأساً لعروسه

ولكن اتقلب الحمل الى شئ آخر شكس ، قدر ، طماع ، وقح . وتتابعت
طلباته واليك بمضها : —

(١) لا أريد أثاثا اعطوني ألفى جنيه وأنا أبرى ذمتكم منه

(٢) أنا أصرف عشرين جنيها في الشهر وهذا لا يكفي ابنتكم فعليكم
أن تدفعوا نيابة عنها عشرين جنيهاً أخرى شهرياً. وأقترح ان تودعوا باسمها
(أو باسمي وهو الافضل) مبلغاً في البنك يبلغ ابراده الشهري هذه القيمة .
ولا أمانع أن تكتب باسمها عمارة (صغيرة)

(٣) لا أريد « فرحاً » لانني اريد أن أفتح مكتباً فافتحوه لي وبالطبع
سأشتغل أنا فيه وتكون أرباحه مشتركة بيني وبين ممولتي

(٤) لي خمسون فداناً بمجة كذا وهي قريبة من أرضكم الفلانية فاعطوني
الثلاثة وسبعين فداناً القريبة من أرضي بمجة كذا بدلا عنهم وهذا من

صالح ابنتكم

أما نظام معيشتي بعد كتابة العقد فكانت كالآتي :

(١) طلق الاستحمام ثلاثاً لأنه خطر على الصحة واستبدله بعملية
برش الكولونيا بكميات وافرة على ثيابه

(٢) رغبة في ابقاء المنديل نظيفاً ، الامر الذي يهيمه جداً ، يحتفظ
حضرتة بقطعة من ثوبه القديم الأبيض ليقضي حاجته فيه ، هذا اذا كان في

المكتب أو بين اصحابه ، واما وهو سائر ، فالطريق مباءة صالحة
لكل القاذورات

(٣) يأكل بشراهة غير مكترث بالنظافة . وهذا ما حدي به ان يدعى
الصيام عند ما دعاه صهره للغداء (قبل يوم العقد)

(٤) تعود على زج أصبعه في انفه بين وقت وآخر

(٥) « نكته بلدية » ومزاجه (متأخر جداً) فمثلاً يتنزه (بالقبقاب)

ويقضي حاجته في الحديقة ويجلس فوق حصيرة على البلكون — لان
السجاد غير مريح — ويشرب من القلة رأساً

فهذه الاشياء اظهرته بمظهر سيء للغاية امام انسابه المثقفين وكرهت
خطيبته فيه . وبعد المداولة العائلية بأدره الوالد قائلاً : —

— الزواج قسم ونصيب فارجوك ان تطلق البنت

— اطلقها ! هل تظنوني حماراً تضحك الناس عليه ؟

- لا .. العفو. فقط هناك عذر شرعي
- (مش مهم) يا بك. انا قابل كل عذر
- ولكنى ارجوك كرجل شريف ان تتنازل عن الزواج لانه لا يمكن التفاهم بينك وبين زوجك
- لم لم تقولوا هذا قبل ما صرفت الذى صرفته؟
- نعوضك عنه وندفع لك كل ما تريده على سبيل التعويض
- ابدا لا اتركها ولو تشنقونى
- ياسيد ، الأبنه لا تريد ان تزوج منك وبممكنك ان ترسل احدى معارفك لتسألها
- باكر ترضى . ولكنى الآن اريد ان آخذ زوجتى
- ياسيد هذا مستحيل ، ولا يمكن ان يتم . تريد اخذها غصبا ؟
- (مش مهم) اريد زوجى والا
- وبعد سبعة أيام اتخذت الاجراءات (الشرعية) لاختضاع المرأة وبالطبع اتخذت اجراءات مخالفة للشرع
- مضى على هذه القصة سنتان والمسألة بين « لا اتركها ولو تشنقونى » وبين « لا تزوجه ولو يميتونى »
- فهل اعتذار الزوجة مقبول شرعا او انها (ملكه) بحق المهر ؟
- افتونا غير مأجورين اثابكم الله

(٢)

فلان افندى ابن المرحوم فلان بك له منزل لا بأس به، خطب ربة الصون والعفاف كريمة فلان بك القاطن فى منزله الملك بحى من اهم أحياء القاهرة . طلب آل العروس منه خمسمائة جنيه كهر لحسنائهم فلم يطاوعه مركزه الاجتماعى — حضرته كاتب بوزارة ... يتقاضى عشرة جنيهات كل اول شهر — لاظهار عدم قدرته على دفع هذا المبلغ كما وان ثروته — هو لا يملك غير المنزل السالف الذكر — ابت عليه التظاهر بالفقر، فوهن منزله ودفع

من القيمة المهر وشرع في بناء طابق رابع على منزله دفع جزءاً من المصاريف مقدماً وأما الباقي فعول على دفعه أقساطاً متساوية

أتى دور صهره يسأله عن الفرش الذي يريده وكان صديقنا الافندي مثل حضرتي ساكن في غرفة من سلامك سرايه العامر فقاد صهره من يده وأراد المنزل المكون من أربعة طوابق وقال له ها هو منزل عزوسي الحسناء . فلم يعترض والد الفتاة وبالفعل تم تأثيث البيت على احسن نظام

بزغ فجر اليوم الثاني فتظاهرت والدّة العروس بالحزن ، ولما سأها زوج ابنتها عن السبب قالت بعد تمنع انه لم يكن لديها سوى خمسين جنيها لشراء هدية لابنتها تليق به وبمقامه فاقترضت خمسين جنيها اخرى ولكن طلب منها الجواهر جى بالامس فقط ان تسدد ما عليها او تأتي بمن يضمنها على المبلغ . دفعت المروءة شابنا النبيل الاخلاق فتطوع لتسديد المبلغ ولكنها أقسمت رافضة وبعد جدال طويل قبلت ان يكون الضامن فتنازل بامضاء الورقة التي قدمتها اليه بيد مرتعشة — من الخجل بالطبع — وردها اليها وهو يشعر بانه قام بحياتها بمعروف سوف تجازيه عليه

حل اول الشهر ولم ينتقض منه يومان احران حتى استلم صديقنا الافندي انذاراً من محل . . . للموبليات يطالبه فيه بتسديد القسط الاول وبالاستفهام علم ان عائلة البك نسبة اشترت اثاثاً من المحل بما يقرب من الالفى جنيه تسدد على اشهر بنسبة خمسين جنيها في الشهر وان حضرته قد ضمن الدفع هجم العريس كالمجنون على خزانة ثياب الزوجة ليأخذ مصاغها ويسدد من ثمنه الاقساط قدر الامكان فلم يجد فتظاهر بالجلد وسأل عروسه اين مصاغها فعلم انه رد للذين اقرضوها اياه وذلك ثانی يوم الدخلة وبالطبع لم يتمالك الشاب طبعه فشم وضرب وعمل كل ما في وسعه ان يفعل فتركت زوجه المنزل غاضبة « لسوء معاملته لها » وارسل والدها من اخذ العفش في غياب العريس وبيع بالفعل بالمزاد واستحوذ والد العروس على مال ابنته بالحلال . فلاجل حل هذه المسألة نتساءل

١ . كيف يطلق امرأته وهي تدعى أنها حامل منه . هذا اذا تفاضينا عن المؤخر وقدره خمسمائة جنيهه

٢ . كيف يردها اليه وهم يطلبون لها نفقة اقامة بمعدل جنهين يوميا — وكل حسب مقامه — ما دامت بعيدة عنه

٣ — وما الذي يمكن ان يفعله وعليه اقساط محل الاثاث واقساط عمارة المنزل ؟

هل من مرشد ؟ هل من فتوى ؟

(٣)

فلان باشا توفي عن ابنتيه بعد ان اوقف ايراد املاكه المتسعة عليهما ما دامتا غير متزوجتين . وقد تفضلت الشريعة الغراء في شخص ممثلها بقبول هذه الرهبانية القسرية وكانت اكبر الابنتين في سن العشرين وصغراها في الثامنة عشر فما الذي ينتظر منها أن تفعل ؟

(١) اذا مالت احداها لتلبية نداء الطبيعة

(٢) اذا طلقت بعد ان تزوجت

الواقع ان حضراتها ارتأتا وجوب الجمع بين الحق الطبيعي والحق المادي فهما الا أن تمرحان وسط اللذة وبين الذهب فالباشا انف من رؤية ابنتيه في حوزة رجلين — وهو ينظر اليهما من تيره — فنزلتا على رأيه ولكنهما اصبحتا ملكا لكل رجل

(٤)

بك محترم متزوج من امرأتين ماتت الأولى وتركت له ابنة وعدة صبيان واما الاخرى فلم تلد . ولما ماتت الأولى ابى عليه دينه إلا أن يقسم نفسه بذمة بين البيتين أسبوع هنا وأسبوع هناك

وكان الخطاب يتسابقون لنيل يد ابنته الجميلة فكان يرددهم عنها لانهم كبار الانوف أو طويلي الاذان أو ليس لهم ايراد كاف أو ليس لهم مرتب

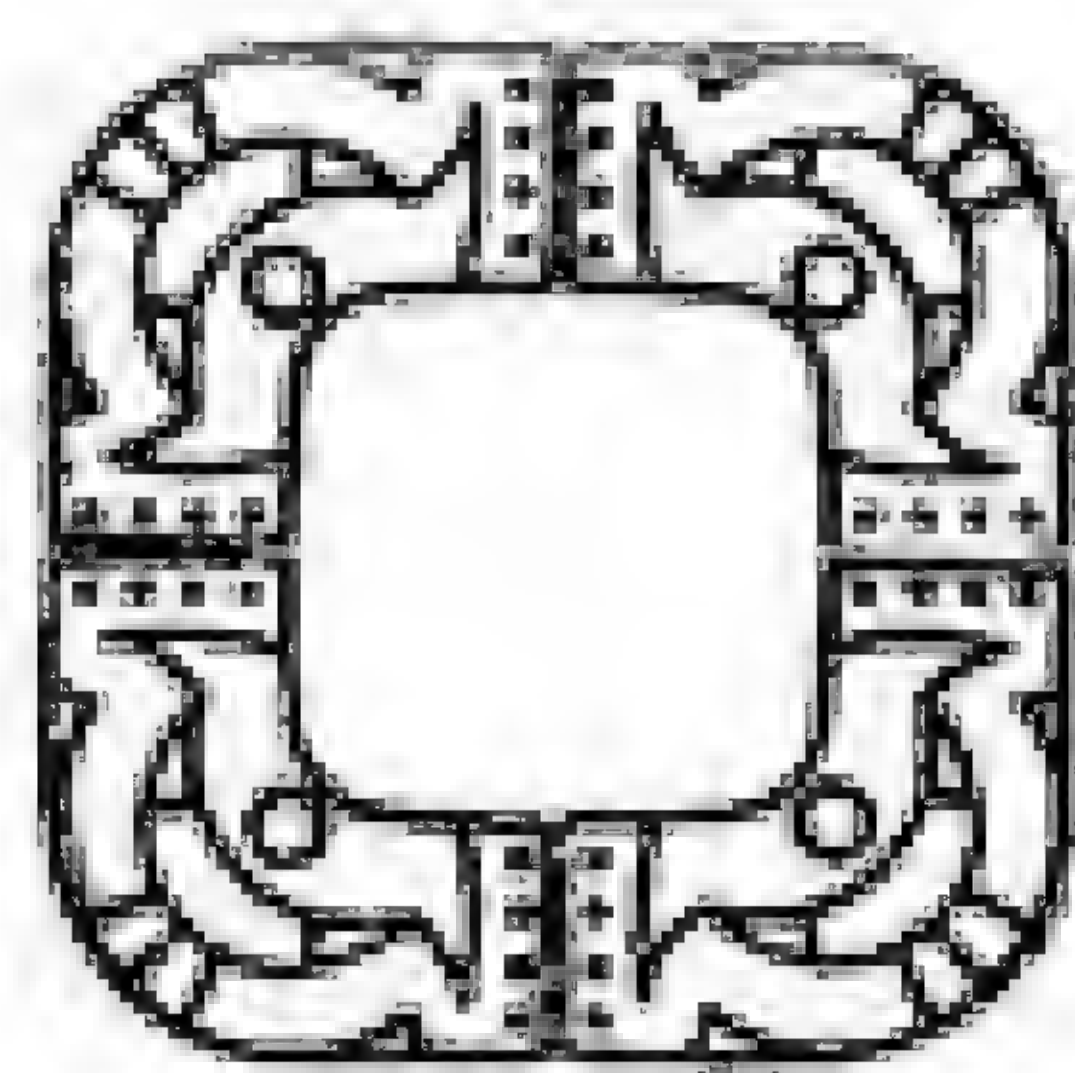
ثابت او لانهم قصار او. او. ذلك لانه كان يأنف من تصور ابنته ملكا لرجل
 وكان يتركها مدة أسبوع ليقوم بواجب بيته الآخر ولما يأتي دور بيتها يلزمها
 أسبوعاً آخر. أما إخوتها فلم يكونوا يعرفون مكان المنزل الا قرب الفجر
 قاربت الابنة سن الخامسة والثلاثين ولا أعرف بالضبط ماعولت على عمله
 ولكني كنت أراها ملتفة بملاءة بعد المغرب كل يوم لترجع قريباً من
 منتصف الليل إلى منزلها ولم تكن تفعل ذلك دائماً بل لمدة اسبوع فقط
 تستكن بعده في المنزل كالملائكة الأظهار وذلك لمدة أسبوع آخر وهكذا دواليك
 ياللطهر وياللعفاف

ح ٢٠٠



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Saklir.it.com>



الرجل والمرأة

أو

نشأة الحب

أسطورة إغريقية قديمة

خلق الانسان منذ البداية على هيئة غريبة ، فكان جسمه مستديراً . وكان ذا أربع أرجل وأيد كذلك . أما رأسه فكانت تحمل وجهين متشابهين على عنق مستدير . كل منهما مضاد للآخر في اتجاهه . أما في مشيته فكان يستطيع السير الى الخلف كما يستطيعه الى الامام حسبما يشاء . فاذا أراد الاسراع استلقى على الارض وتدحرج ضارباً الهواء بأرجله لاطماً الارض حتى يصل الى غايته

وكانت عظمة قوته وقلبه ، وهمجية أعماله مثاراً للخاوف الآلهة وخشيتهم أن يتمرد عليهم ففكروا في أن يهدموه ، ولكن ممن تقدم اليهم الضحايا ؟ انهم يخشون هلاك نسله حرصاً على ضحاياه ...

وبعد أن أعيتهم الحيلة فكر الآلهة زفس (Zeus) وقال :

« ليس من الحكمة أن نهلك البشر فنخسر ضحاياه التي تقدم منه اليينا ولكن ما العمل مع هذا الانسان الجبار العنيد ؟ لقد اهدت الى انتقام يهدم جبروته ، ويقلل من قوته ، ويخضع شوكة تمرده . وهو أن نشطر جسمه الى جسمين ونهب كل جسم يدين اثنتين ، وتقيمه على رجلين ، فاذا أبى إلا الطغيان جعلناه إلا يمشى إلا على قدم واحدة ، ولا يدفع عن نفسه إلا بيد واحدة »

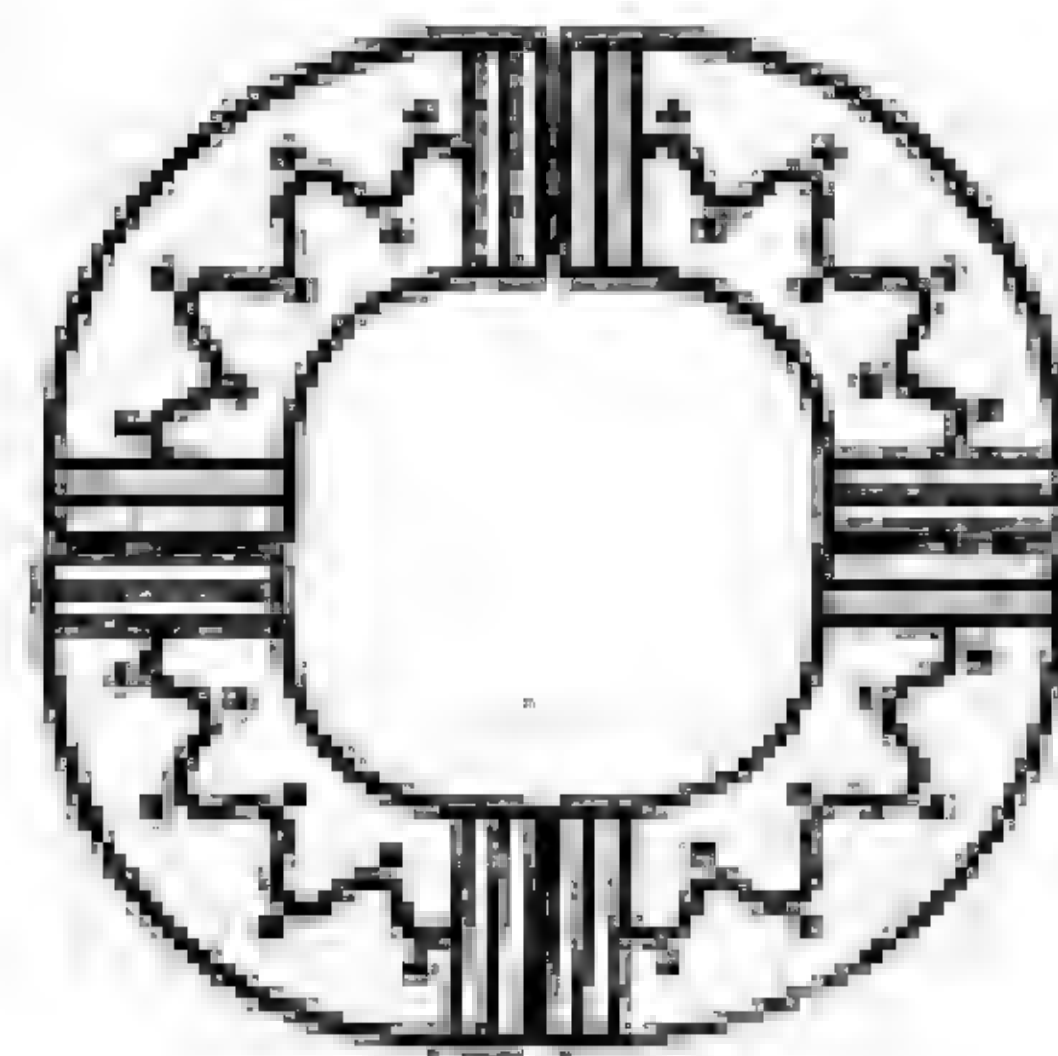
وكان كما أرادت الآلهة ، وفصل الانسان الى نوعيه
وبقى كل شطر منهما منذ الازل يبحث عن شطره الثانى ، فاذا ما التقيا
امتزجا سويا .

وفى هذه الهوة السحيقة من تلك الأزمنة الغابرة ، نشأ الحب وتولدت العاطفة
ودون تلك الحقب الخوالى والروحان يجدان فى البحث عن السعادة
وما سعادتهما الا اندماج الروح الناقص فى جزئه المكمل له !!
فليبحث الرجل عن المرأة ، ولتبحث هى عنه .
تلك مشيئة الآلهة !!
ومن الخطأ أن تفصل بين القلبين ، ومن العبث أن نحول بين الروحين
أن يمتزجا ويعودا الى طبيعتهما .

حسن كميل الصيرفى

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Saklir.it.com>



شكوى مدرّس

مسكين هذا الصبي خرج المعلمين وكيف لا يكون مسكيناً وقد حكم
عليه القدر أن يدرس « لاساتذة » المدارس الأولية . رأيتُه مقطّب الوجه
عابساً وبعد إرهاقه بالاسئلة قال

— كيف لأزهد في الحياة وأنا مكلف بتثقيف رهط من العجماوات الغبية
— أدرس لعجماوات !!?

— أقول عجماوات غبية ... لا تنسى غبيه

— يكفي أن تقول عجماوات اليس كذلك ؟

— لا ... أبداً ... الحمار يعرف هس وحا ... ولكن النوع الذي سخرت

لتعليمه لا يعرف شيئاً من ذلك .

— هون عليك يظهر لي أنك تقوم بعملية اختبار نفسي اليس كذلك ؟

وهل تفعل ذلك في حديقة الحيوانات أم تجري اختباراتك علي حيوانات
مستأنسة خصصت للتجارب

— تجارب !؟ هذه سوائم تلبس العمم والقفاطين

— مشايخ الكتاتيب !!؟ ياسيد . لك ان تختار لهم اسما كما تريد

— دميون !!!

— لا . لا . اختر أي اسم آخر

— ولكن صرح أكثر ، لافهمك، هل عاكسوك؟

— عاكسوني ... كنت أتمنى ذلك

— بالله اسرد لي قصتك

— ليس ما سأقوله لك قصة بل وقائع

لواقعة الاولى

كنت أدرس لفصل راقى الكيمياء فأخذت أشرح الاوكسجين وكم دهشت

عندما لاحظت أن كل أفراد الفصل يعيرون كلامي انتباها زائداً ولا يخفك اني كنت أعلم في المدارس الابتدائية فلما تقات الى مدرسة المعلمين هذه سمعت شيئاً كثيراً عن هذه العمام الصغيرة فتوجست خفية لضياح مجهودي . ولكن التفاتهم لشرحي بأدب أزال ما علق بذهني من الاقوال التي سمعتها وسررت جدا للاهتمام الذي أبدوه . انتهيت الدرس قبل انتهاء الميعاد بوضع دقائق فسأت عما اذا كان هناك سائل . فرفع أحد التلامذة أصبعه ثم وقف وقال بالبطانة الفصحى ما يأتي:

« أحيي فيك يا أستاذنا ، باسم اخواني ، العلم البالغ والمعرفة الجمة . حقيقة كان شرحك وافياً آم وفاء غير أنك قد نسيت أمراً مهماً جداً كان يجب أن يكون غاية البحث »

(وتوقف عن الكلام منتظراً أمري له بتبيين ما أغفلته . فلم أجسر على طلب ذلك منه فوراً اذ وجف قلبي واصططكت ركبتي وناجيت نفسي قائلاً لا شك أن هؤلاء التلامذة نجباء ينهمكون في الدرس والا كيف أتيج لاحدهم أن يمسك علي وأنا معلم غلطة عظيمة كهذه فما لك نفسي وقلت له بصوت خافت « تفضل قل ما الذي نسيت فانا لا أذكر أنني تركت شيئاً مهماً كما تدعى » فظهر الاندهاش على وجهه هو ورفاقه ثم قال بحدة
 — انك لم تقل اذا كان الاوكسجين هذا طاهراً أم نجساً

الواقعة الثانية

أفهمت تلامذة فرقة أخرى أنني ، رغبة في توفير الوقت ، لن أملي عليهم ملخص الدرس بل سأكتبه على ورق يوزع عليهم ، وفعلاً وزعت عليهم الورق قبل يوم الدرس وحثتهم على تفهم محتوياته ليتابعونني في الشرح فردوا بالإيجاب ، ولما دخلت لالتقي عليهم الدرس وبدأت أتكلم قال أحدهم

— يظهر حضرتك ولا مؤاخذه غشيم شويه

— لماذا ؟ !

- العاده ان المعامين يملون الملخص في الكراسات اولاً ثم يشرحون
- ألم تقرأ ما أعطيتك لك بالامس
- نعم وهو حسن جداً
- هذا هو الملخص، ألم اقل لك ذلك؟
- ملخص!! وكيف يمكننا ان نحفظه وهو غير مكتوب بالخبر الأ سود.

الواقعة الثالثة

- كنت أدرس لتلامذة جغرافيا واذا بواحد منهم يقف ويستأذن كي
- يخلع عمامته
- لماذا تريد ان تخلعها
- لا فهم الدرس يا فندى
- ! ! ?

- لا مؤاخذه فاني لما أكون لابساً « الالسة » في المنزل افهم أكثر مما لو كنت البس العمامة

الواقعة الرابعة

- أعطيت للتلامذة مسألة حساب حلها ومرت عليهم، ولما أتممت التصحيح
- سألت هل هناك من يريد في أن احلها فاجاب الكل بنعم فاستشطت غضباً،
- وقلت لا قربهم مني وقد نجح في حلها حلاً صحيحاً ظناً مني بأنه يهزأ بي
- مسألتك صح فكيف تطلب مني ان احلها
- حتى أفهمها

- ولكنك فاهمها تماماً والا كيف حللتها
- هذا الحل في الدفتر يا فندى، واما حل السبورة فلم افهمه بعد
- هل تظن ان هذا أمر محتمل، اخرج من هنا
- اخرج! وما لذي فعلته حتى تطردني
- لانك فاهم وتريد أن تضع الوقت

— فاهم الذي في الدفتر واما الذي في السبوره فلم أفهمه

— كلاهما واحد ، أليس لك عقل

— واحد كيف يكون واحداً (ثم نظر إلى رفاقه مستشهداً وقال) الا

يقول المشايخ لنا دائماً الذي لا يفهم من الدفتر يفهم من السبوره ، لم يسعني الا الضحك فقلت لصديقي

— حقيقة انك خفيف الروح وتعرف كيف تلفق القصص الفكاهة

— قصص فكاهة ؟ تأكد ان هذا بعض ماخطر ببالي الا ان من كثير مثله

— ولكن إلى اى شيء تعزو ذلك ؟

— حقيقة لا اعرف ولكن الغريب ان الطلبة يهون دروسهم مع

امثالهم من طلبة المدارس الابتدائية ولكن لا اثر لهذه الفقهنة بين الآخرين

— يمكن أن يكون كل طلبتك من أولاد الفقهاء ، وأما أولئك

— لا . لا فبعض آباء هؤلاء وبعض آباء الآخرين من المعتمدين ولكن

لا اثر للفقهنة بين تلامذة المدارس الابتدائية وهي شاملة بين هؤلاء ولسوء

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الحظ لم أقف على السبب

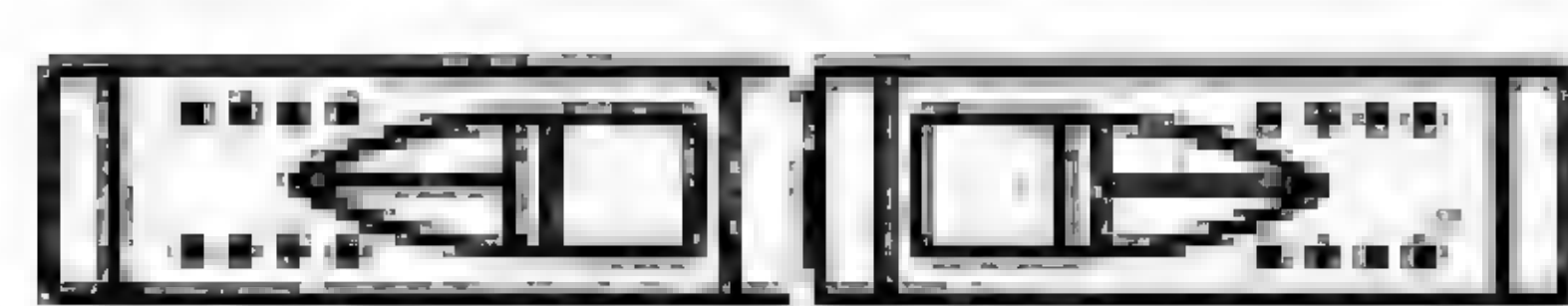
— السبب بسيط جداً جداً

— ما هو ؟ بالله اخبرني

— العمامة . انت مقتنع الآن بان ما فعله مصطفى كمال بخصوص

العمامة كان في محله ؟

ابو العينين



ابن الانسان

حرية الفكر هي التي أسلمت لأميل لودفيج عنان أفكاره فأكب عليها يشدها ويطلقها غير مكترث لما عساه يصادفه في طريقه، أو عابى بما يصيبه. وحرية الرأي هي التي دفعته ليلقي بثمار تفكيره ونتاج بحثه بين يدي المجتمع ليشهد له أو عليه .

وكان شأن هذه الحرية الشاملة مع الاستاذ صاحب العصور كما كان مع الاستاذ الاديب لودفيج فنقل لنا صوراً من كتابه . ولولا ما أحسسته من ميل سفينة حضرة الناقل الى انجاد معين لما تأخرت عن ترديد الجملة الشائعة — ناقل الكفر ليس بكافر .

هذه الحرية نفسها هي التي دفعتني للرد على ما جاء في صفحات لودفيج عن قلم أستاذنا الفاضل . وسأجهد في ردى هذا أن أكون بعيداً عن الاستعانة بالبراهين الدينية . التي يضعها الكاتبان مع الاساطير والقصص الوهمية . اللهم إلا في حالة مغالطة المؤلف في تفسير آية أو ادعائه بكذبها .

وإذ كتب المؤلف يبرهن عن (عيسى) بأنه أنبغ أبطال الانسانية وسارمعه في رأيه حضرة المفكر الناقل ، فان كاتب هذه السطور سيسعى في رده للبرهنة على أنه لم يكن (عيسى) بل المسيح ابن الله أو الله نفسه . ولو أنني أعد ردى هذا تطفلاً على مائدة فئة كانت هي الأجدر بالرد ، غير أنها لاهية الآن عن القيام بأوجب واجبات وظيفتها . لا يعنيتها إلا الدفاع عن حقوقها . حقوقها المادية طبعاً لا أدري من أين أتى لودفيج بوصف بطله هذا . وأنى له بترجمة حياته وبيئتهما ما يقرب من ألفي عام . وان كان اللادينيون لا يعتقدون بتراجم معاصري المسيح فكيف يصدقون ترجمة شخص يعاصرهم هم . ومن أين جاء المؤلف بتعليقاته

الغريبة ووصفه البرنامج اليومي لحركات (عيسى) وسكناته واضطرابه وتأملاته .. وهو يحاول كما يقول الناقل أن يتغلغل في روح العصر الذي عاش فيه بطله . ومتى كانت التخيلات الغريبة (المخالفة للواقع) صورة حقيقة وقعت أو جزء منها . قال المؤلف — « وخرج (عيسى) من النهر بعد أن تطهر من الخطايا التي لم يرتكبها قط . » كذا !!

قال السيد المسيح أنى لم آت لأتقض الناموس بل لأكمه . فبصفته انساناً وحاملاً لخطايا البشر كان عليه أن يعامل بنفس الناموس الذى يعامل به أى انسان آخر وإلا كان معتدياً على الناموس ناقضاً له وهو يقول أنه أتى ليكمه . ألم تر كيف يفسر هو ذلك فى رده على يوحنا (متى ٣ : ١٤ - ١٦) « حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه . ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى . فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر . . . »

وإذا لم يكن معنى الجملة الأخيرة هو ذلك فماذا يكون معناها .

وذكر المؤلف أن أحد البشيرين أهل ذكر أربعة ملوك بين داود ويوسف النجار وذلك ليوفق بين نبوات أنبياء بنى اسرائيل وحقيقة (عيسى) . ولا صحة لاعتراض المؤلف هذا على الإطلاق . ذلك أنه جاء فى إنجيل متى الاصحاح الأول أن يوشيا ولد يكنيا . وهو لم يكن أباه مباشرة إذ كان جده (انظر سفر الأيام ٣ : ١٥ - ١٦) وانظر الأصل اليونانى فى إنجيل متى وترجمته هو : يوشيا ولد يهوياقيم (يواقيم) ويهوياقيم ولد يكنيا . غير أن المترجمين اختصروها بحذف يواقيم ومما ثبت ذلك أنك إذا حسبت أجيال المواليد فى متى وجدت أن الجيل الأول عدده ١٤ وينتهى بـ داود . والجيل الثانى ١٤ وينتهى بيواقيم . والجيل الثالث ١٤ وينتهى بالمسيح . وقد فض المترجم لذلك قتال من ابراهيم الى داود ١٤ جيلاً . ومن داود إلى سبى بابل (ولم يقل إلى يكنيا إذ أنه إلى يواقيم الذى لم يسبق ذكره) .

١٤ جيلا. ومن سبي بابل الى المسيح ١٤ جيلا ، هذا واحد من الملوك الاربعة
لمذكورين .

كذلك ورد في إنجيل متى (١ : ٨) أن يورام ولد عزيا . مع أن عزيا كما جاء
في التوراة هو ابن أخزيا بن يواش بن أمصيا . وقد حذف البشير أخزيا ويواش
وأمصيا ، لأن يورام خلف أخزيا من عائلة آخاب الوثنية (وكانت زوجة آخاب
إيزابل) فحذف أسماء هؤلاء الثلاثة كان عقاباً لبیت يورام المذنب الى الجيل
الرابع لأن الله تعالى قال أفنقد ذنوب الآباء من الأبناء في الجيل الثالث والرابع
من مبغضى . ولو لم يفعل متى ذلك لما كان كلامه بإلهام الروح القدس .
ما سبق يفهم لماذا حذف متى البشير ذكر هؤلاء الاربعة .

أما قول حضرة الناقل بأن هيروديا لم تكن زوجة فيلبس بل بوطيوس فقير
حقيقي — قال يوسفوس المؤرخ الشهير أنه لما كان هيرودس انتيباس مسافراً
الى رومة عرج على بيت أخيه هيرودس فيلبس (أو فيلبس فقط كما اختصره
البشير منعاً للالتباس اذ ان اسمه الحقيقي هو فيلبس أما هيرودس فاسم العائلة)
وعشق امرأته واتفق معها على أن يطلق هو زوجته ابنة (أرنياس) واتفقت هي
على أن تطلق زوجها وتم لهما ذلك . (أما أولاد هيرودس الكبير فهم .
هيرودس اغريباس . وهيرودس انتيباس . وهيرودس فيلبس . يلاحظ ذكر
اسم الوالد في الأول — ولم يذكر بوطيوس هذا بانه أخوهم —)

أما من حيث قوله إن (عيسى) كان ابناً ليوسف فقد ذكرت ابوة يوسف
للمسيح في الانجيل لما يأتي : —

إنه لما كانت العذراء في عصمة رجل هو خطيبها يوسف ووجدت حبلى من
الروح القدس فقد كان على يوسف (بعد ان ظهر له الملاك واعلم بطهارتها) ان
 يعلن بانه زوجها وان لم يكن قد فعل ذلك فقد كان جزاؤها الرجم حسب
شريعة موسى .

تأمل اعتراض السيد المسيح عندما كان يبشر في الهيكل وهو لا يزال طفلاً على علاقته بيوسف كأبْن في الآية الآتية :

(لوقا ٢ - ٤٥ الى ٤٩) « فلما أبصره اندهشا وقالت له أمه يا بني لماذا فعلت بنا هكذا . هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذيين . فقال لها لماذا كنتم تطلباني . ألم تعلمنا انه ينبغي ان اكون في ما لأبني . »

الى هنا اكتفى بالرد على اهم ما جاء بالعصور الغراء . نقلاً عن كتاب لودفيج وأختم بذكر بعض البراهين المؤيدة لصحة الوحي في الكتاب المقدس وهي مستندة على حقائق تاريخية ونتائج عقلية صادرة عن بحث حر عميق نجد ان الآثار القديمة وعلى الاخص المصرية منها تؤيد تمام التأييد القصص المذكورة في التوراة . فقصّة ابراهيم حين ذهابه الى مصر مع امرأته وانكاره بانها زوجته نجد ما يشبهها في قصة الاخوين المذكورة في صحيفة البردي المنسوبة الى در بيني في المتحف البريطاني . كما نجد شبهها لها في صحيفة البردي التي ترجمها المسيو كابس . وكذلك قصة يوسف المذكور جزء منها أيضا في صحيفة البردي السابقة (المنسوبة الى در بيني) ونجد ذكر البقرات السبع التي رآها فرعون في الحلم في الفصل الثامن والاربعين من كتاب الموتى . وجاء فيه (تك ٤١ - ١٤) ان يوسف خلق وبدل ثيابه قبل دخوله على فرعون وهذا أمر أثبتته التاريخ والآثار . فان المصريين ما كانوا يتركون شعرهم يطول الا في اوقات المناسبات . وكان المصريون يرسمون ارتياد الناس باللحي . وكان الكهنة يخلقون كل الجسد في كل ثلاثة ايام . اما اليهود وغيرهم من الامم الاجنبية فكانوا يسرون بتطويل اللحي وفي دور الآثار كثير من المواسي المصرية .

ونجد قصة يوسف (اسمه بالهيو غليفية صفات فعنيح) ترددها آثار الفراعنة وتتفق مع التوراة في كثير من تفاصيلها

والفقرة الآتية وبها ذكر سنين الشبع وسنين الجوع وجدت مكتوبة في ضريح

قديم عند ايليثيا والكتابة كأكثر كتابات الضرائح المصرية مملوءة بمدح
وتعجيد الذات

« الرئيس بابا على مائدة الامراء قام ايضا يتكلم هكذا — انا احببت ابى .
اكرمت امى . اخوتى واخوانى احبوتى . خرجت من باب بيتى بقلب طيب .
وقفت هناك بيد منعشة . كانت المعدات التى جمعت ليوم الوليمة جزيلة . قلبى كان
لطيفا خالصا من الغضب ، والالهة اسبغت على ثروة وافرة ، والمدينة رغبت لى
الصحة وحياة مملوءة بالهناء . عاقبت فاعلى الشر . اولادى اللذين وقفوا مقابلى ،
فى البلد مدة الايام التى اكملتها كانوا سنين بين كبير وصغير ، احضر لهم ثلاث
فرشات وكراسى وموائد كعدددهم . اتلفوا ١٢٠ آيفة من الذرة . وصليب ثلاث
بقرات . و ٥٢ عزة ، وتسعة حمارات . ومن البلسم معيننا ومن الزيت
جرتين . ربما يظهر كلامى هزلا للبعض ولكنى استشهد الاله منث
ان كلامى حق وقد هيات كل هذا فى بيتى واعطيت زبده فى بيت المؤونة وبيرة
فى قبر المؤونة عددا اكثر من الكفاية من اكيال الهينى . وجمعت الحصاد اذ
كنت خايلا لاله الحصاد — وكنت مراقبا فى وقت الزرع . والان لما قام
الجوع واستمر سنينا كثيرا خرجت قمحا لكل جائع . »

وقد قال برغش بك ان سنين الجوع الكثيرة تطابق السبع سنين الجوع
فى ايام فرعون المعاصر ليوسف .

وتجد فى مخاطبة يوسف لاختوته فى التوراة (تك ٤٢ — ١٦) « وحياة
فرعون انكم لجواسيس » كما اكتشف على الآثار ان هذا القسم لم يرخص لأحد
استعماله الا لذوى الرتب العالية

وجاء فى التوراة انه لما فسر يوسف الحلم لفرعون كافاه فجعله سيدا على كل
مصر وثانى الملك واجزل له العطايا الثمينة ووهب له خاتمه الذى كان فى يده
« علامة الساطة الملكية » ثم البسه ثياب البوصى (وكانت من ملبوسات الكهنة)

ووضع طوق ذهب في عنقه واركبه في مركبته الثانية كملك على البلاد ومنح طوق الذهب للحاكم الرقيم كان من عوائد ملوك مصر، فان أحسن رئيس الملاحين وصار ملكا بعد ذلك لما قطع رأس قتيل من الأعداء وأتى بها إلى الملك ومنحه الملك طوق ذهب وأتى في واقعة أخرى مثل هذا العمل، فشكره الملك وأعطاه طوقا آخر من الذهب. كذلك فعلم من التوراة ان يوسف غير ملابس اخوته ومنح لهم ولائيه أرض جلعان ليستوطنوا بها وهذا مطابق لعوائد المصريين التي يعرفها يوسف من ان الرعاة كانوا نجسين عندهم

ولو ذكرت شيئا من الأناشيد والقصص وبعض فقرات كتاب الموتى وغيرها مما هو ثابت على الآثار وأوراق البردي التي تؤيد التوراة في نواحي كثيرة تشغل هذا عددا وافرا من صفحات هذه المجلة فيظهر مما سبق ان التوراة يؤيدها تأييدا عظيما ما كتبه القدماء على آثارهم. مع العلم بأنهم كانوا يعتنقون دينا غير دين اليا هو بل كانوا أعداء لهم يسخر ونهم في تشييد معابدهم ويسومونهم الظلم، غير ان كتاباتهم لم تغفل سرد اخبارهم ووقائعهم. ذلك لأنها كانت حقائق واقعية لا غرض لهم من تدوينها الا ذكر الحقائق وتدوينها لاخبار وقعت كما دونوا اخبارهم هم وطرق معيشتهم وعاداتهم والحوادث التي حدثت في ايامهم فاذا كان ماله علاقة بالمصريين في التوراة صحيحا فما الذي يمنع ان يكون كذلك ما ليس له بهم علاقة

اذا عرفنا ذلك كان لا بد ان نحكم بصحة ما ذكر قبل المسيح بمئات وألوف من السنين تنبؤا خصوصا بعد ان تحققت هذه النبؤات بالحرف الواحد، نذكر منها على سبيل الاستدلال هذه السطور (اشعيا ٧ . ١٤) ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تميل وتلد ابنا وتدعو اسمه «عمانوئيل». (اشعيا ٩ : ٦ — ٧) «لانه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا ابا ابديا رئيس الكلام» (مزامير ٢٢ : ١ — ١٧) نذكر منه فقرتين «الهي الهي لماذا تركتني

ثقبوا يدي ورجلي . أحصى كل عظامي وهم ينظرون ويتفكرون في . يقسمون
ثيابي بينهم وعلى لباسي يقتربون
ومن الدلائل العقلية الكثيرة على ان الانجيل لم يكن من ابتكارات
البشريين وتلفيقاتهم .

١ — لما بعث يوحنا المعمدان رسوله ليسألاه (المسيح) عما اذا كان هو
المسيح المنتظر اجابهم قائلا « اذهبوا » واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظرون . العمى
يبصرون والعرج يمشون . والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون
والمساكين يبشرون » وهذه العبارة من الاهمية بمكان لانه لا يعقل ان يبتدع
البشرون حادثة يشتم منها ان رسول المسيح الخاص تزعم ايمانه فيه (حسب
ظاهر الآية) ثم انه ليس من السهل ان يفصل السؤال عن جوابه وهو في الحقيقة
اقرار أكيد عن المسيح يثبت اجراءه المعجزات .

٢ — توبيخ المسيح لكورزين والمدن الاخرى كصور وصيدا لانه صنع
فيها اكثر قواته ولم تشب . ومما يؤيد صدق هذه العبارة (الواردة في متى ١١ : ٢١)
ان الانجيل لم يأت على ذكر معجزة واحدة صنعت في كورزين ولو كان البشرون
أو غيرهم هم الذين اخترعوا هذا القول لجؤوا الى ذكر بعض المعجزات تسويها لدعواهم .
اما وهي لم تكن بدعة من عندياتهم والمسيح نفسه هو الذي نطق بهذه الكلمات
خلا يعقل ان يوجب هذه المدن لعدم توبتها ما لم يكن قد صنع فيها كثيرا من المعجزات
٣ — المعجزات المنسوبة الى المسيح لا تليق الا به . لانها كانت لفائدة

الناس وليس لاذيتهم ، ولو قارناها بالمعجزات الوهمية المنسوبة اليه في الاسفار
الابوكريفية (غير القانونية) لوجدنا بينها فرقا عظيما . لان الاخيرة صبيانية
وسخيفة . فقد جاء بها مثلا « ان المسيح وهو طفل كان يأمر الطيور المصنوعة من
الطين فتطير وكان يحوك الصبيان الذين يأبون للعب معه الى جدياء من الماعز —
ولعن مرة ولداً كان يجري وراءه فسقط ومات — الخ .

وما يستحق الذكر ان المسيح لم يعمل معجزة واحدة لنفع نفسه وقد أبى ذلك عند ما طلب منه (متى ٤ : ٣ و ٢٧ : ٤٠) ولو كانت البشائر مجرد كتب وهمية لما كان الحال هكذا .

٤ — اكثر المعجزات كانت للشفاء اى من قبيل اعادة الشيء الى حالته الطبيعية، ولم يكن الغرض منها عمل شيء مخالف للطبيعة كاعطاء الانسان عينا ثالثة وكلا الامر ينبرهان على قوة خارقة ولكن اولهما اكثر ملاءمة لآله الطبيعة .

٥ — اتفاق البشيرين فى القول بان المسيح صنع معجزاته من تلقاء نفسه

وبالسلطة الالهية المطلقة كقوله « ايها الشاب لك اقول قم » بخلاف انبياء العهد القديم الذين عملوا معجزاتهم بعد ان طلبوا من الله . ولو كان البشرون هم الذين اخترعوا هذه المعجزات لاحكموا وجه الشبه بينها وبين معجزات العهد القديم

٦ — اقامته ابنة يابرز من الاموات ، (مرقس ٥ : ٣٩) نعم فى وسع كل انسان يروم رفع قدر المسيح ان يبتدع هذه المعجزة او ما يشبهها ولكن هل يعقل ان يدون الكاتب هذه الكلمات « لم تمت الصبية لكنها نائمة » ثم ان المناقشات التى دارت حول عمل المعجزات يوم السبت لها لهجة صحيحة ولا يمكن أن نقول عنها انها مبتدعة . بل كيف كانت تدور هذه المناقشات مع حالة عدم وجود معجزات بالمرة .

ولو شاء القارىء لا ثبت له بالكثير من الادلة التى تبين تماما ان البشيرين لم يبتدعوا ولم يلفقوا (أو يوفقوا بين اقوالهم المتضاربة المضطربة كما يقول حضرة المؤلف الاديب) ولكنها خطرات الوحي جاشت بها نفوسهم وفاضت فجرت على قراطينهم نورا وسلاما .

المصور — نشرنا هذه المقالة لئلا تنهم على الاقل بأننا نقر من المصاعب التى تعترض ابحاثنا فى المصور . على اننا قبل أن ندلى برأينا نود أن توجه نظر الكاتب الاديب الى أشياء خفيت عليه وكان من الواجب أن يلاحظها ليكون رده على الاقل متفقا والخطة التى اتبعها لردنا نرجو ان لا يخطئنا الى

جورجى اسكندر

اتباعها قسراً عنا نزولاً علي حكم المراجعة الادبية لكتاب قرأناه .
 اولاً — يجب ان نلاحظ أن مراجعة كتاب وتلخيص زبدة الرأى فيه
 يجب أن يكون فيها بعض الحرية حتى لا يتقيد الكاتب برأى واحد . بل
 للكاتب أن يزيد الى البراهين التي تؤيد فكرة الكاتب اذا كان موافقاً له
 براهين يكون قد استنتجها أو وقع عليها في كتب أخرى ، وان يذكر كذلك
 البراهين التي قد تنتقض رأى الكاتب اذا كان غير متفق وأياه في الرأى .
 وهذا ما اتبعناه بالفعل في مراجعة كتاب لودفيج . فالقول بأن أحد البشيرين
 مثلاً قد اهل ذكر أربعة ملوك ليصل نسب عيسى بـداوود مسألة لم يعرض
 لها لودفيج بل عرض لها المؤلف الكبير « فورشوور » — Waurschauer —
 الألمانى في كتاب « تاريخ المسيح » واظن ان رينان عرض لها أيضاً بقدر ما
 استطيع ان اذكر من كتاب قرأته منذ سنين عديدة .

ثانياً — أن لودفيج قد ذكر أنه انما يتكلم في عيسى بن مريم لافي المسيح
 والتمرق كبير بين الامر بن كما هو ظاهر لكل من اطلع على تاريخ المسيح
 وعلى تاريخ النصرانية . <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ثالثاً — ان اكثر التعليقات التي ذهب اليها الكاتب انما هي التعليقات التي
 ذهب اليها زعماء النصرانية ، لا كبار المؤرخين ، فهو اذن يتكلم من وجهة
 النظر اللاهوتى لا من وجهة النظر التاريخى العلمى

رابعاً — ان قراءة التواريخ القديمة التي كتبت في عهد المسيح او قبله
 او بعده بقليل نمكننا ولا شك من معرفة المحيط الذي احاط المسيح في نشأته
 ومنه نستطيع ان نصور ذلك المحيط صورة ان لم تكن هي الحقيقة بذاتها
 فانها تكون قريبة من الحقيقة . على انك تستطيع أن تدرك حقيقة ذلك اذا
 قرأت كتاب الاستاذ « جابر موري » الانجليزى المعروف باسم « الحياة
 الاجتماعية في اغريقية القديمة » . فانك تدرك اذا قرأت هذا الكتاب كيف
 كانت الحياة الاجتماعية في تلك البلاد علي بعد تاريخها عنا ، بل تقف علي
 حياتهم اليومية ونظامات الاسرة والحياة العامة وقوفاً ينقلك من عصرك الي
 ذلك العصر . فاذا كان هذا مستطاع في حياة الاغريق القديمة افلا يكون

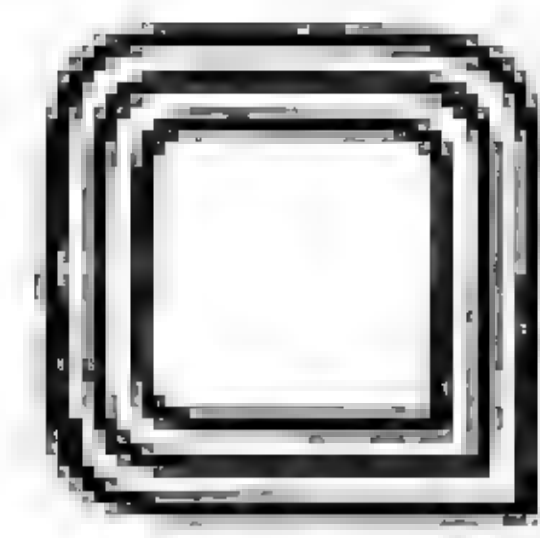
أكثر سهولة في زمان أقرب إلينا من زمانهم بقدر ستة قرون من الزمان
بل في زمان كانت كفاءة القياس التاريخي قد أصبحت أكثر اكتمالا في
العقل البشري وكانت العناية فيه بتدوين الآثار أكبر ؟

هذا من ناحية . أما أن يحاول الكاتب أن يثبت عقلا أو نقلا أن
المسيح هو ابن الله أو الله نفسه قد تقدص جسدا بشريا فذلك مالا يمكن
أن نوافق عليه لأن العلم ينفيه تنميا باتا صريحا . بل إن الفلسفة ، وهي في
مجال التأمل لا في مجال اليقين ، لا تقبله . إذن فالمسألة التي تكلم فيها الأديب مسألة
دينية لاهوتية صرفة لا شأن لنا بها في بحث تاريخي قوامه الوقائع التاريخية
وسناده الاستنتاج العقلي القائم على الأساليب العلمية الحديثة .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sallitrit.com>



من تاريخ الحركات الفكرية

في الاسلام

لبندلي جوزى

اصدر الدكتور بندلي جوزى الاستاذ في جامعة باكستان الجزء الاول من « تاريخ الحركات الاجتماعية » تحت العنوان المبين اعلاه . وموضوع كتابه ان الاسلام حركة اقتصادية اجتماعية وان هناك اسباب لظهوره في مكة لصالح بيئتها دون غيرها من القرى العربية . فقد كانت محطة للقبائل ويتبع هذا انها كانت مركزا للتجارة كذلك كانت مركزا دينيا مهما لوجود الكعبة فيها وكان يجتمع بالقرب منها سوق عكاظ وغيره ، وهذا ما حدا بالبعض من اهلها لامتهان التجارة فاستبدوا ما شاء لهم منهم بالعملاء الامر الذي افضى الى اثرات الخاصة والملاق العامة . وهنا تجلت روح الوسط الذي يعيش فيه الدكتور فامعن في الاغراق في وصف غنى الخاصة لدرجة تصور معها امتلاك البعض منهم لمئات الالوف بل الملايين (من الجنيهات على ما اظن) وتخيل لهم المصارف وانهم كانوا يصدرون من البضائع اكثر مما كانوا يستوردون . هذا في حين ان اهم صادراتهم لم تكن تزيد عن التمر والجلد والزبيب ومدينتهم « واد غير ذى زرع » . وكذلك غالى في مسغبة الفقراء ما شاء تصوره واستند على بضع آيات اتخذها توكاة للتعليم ولست اعرف بالضبط حكم القراء على اذا قلت ان وجود جمعية منع الرقيق الابيض اثبات على ان المصريين يبيعون بناتهم وان وجود مادة في قانون العقوبات تنص على قتل القاتل اشارة الى ان المصريين يذبحون بعضهم في رابعة النهار وان النص على عقاب من يأخذ فائدة تزيد عن ٩٪ يفيد ان المصريين مرهقون بضغط الممولين . يقول حضرته ان الضيق قد ادى الى ان تكون حياة الصعاليك —

وكان عددهم عظيم جدا — عرضة دائماً للاخطار وسلسلة يأس وعذاب الامر الذي دعاهم الى الثورة اكثر من مرة. وكان شعراء البادية لسان حال الامة المعبرون عن شعورها واتى بيت لابن المغيرة واخر للاعشى في حض الاغنياء على مساعدة الفقراء. وبالقياص على قوله يمكننى الاعتماد على بيت حافظ « سميت الى ان كدت انتعل الدما » لاصور حالة مصر غاية في البؤس

فقام قثم بن عبد اللات (الاسم الذي يرجح الدكتور انه كان لمحمد بن عبد الله) الذي كان يتضور جوعاً فيقتات من الكبات وثمر الاراك للاصلاح فبث دعوة ناضل فيها الاثرياء وكان مجاهداً كثير الاحلام ولكنه لما انتقل الى المدينة اخذ في العمل والتنظيم الامر الذي دعاه الى التساهل مع عظماء قريش وقد نتج ذلك عن تغير حالته وتبع ذلك بالطبع تغير شعوره فجعل للمقرشين حظاً في ادارة جمهوريته وجمع منهم الزكاة ليرضى بها السوقه ولكن لم تلبث الحالة طويلاً كذلك حتى خصصت المبالغ التي تجمع للزكاة لمصاريف الادارة الحكومية. هذا هو ملخص فصله الاول وثلثه فصول بحث في

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(٢) الامبراطورية العربية والامم المغلوبة

(٣) حركة نابلك وتعاليمه الاشتراكية

(٤) الاسماعيلية وتعاليمها الاشتراكية

(٥) القرامطة وتعاليمهم الاشتراكية

(٦) الخاتمة

والكتاب يحوى ما يصح ان يعد جديداً من النظريات ولكن محاولة المؤلف صبغ كتابته بصيغة الاشتراكية المتطرفة دعاه الى الخروج عن لموضوع والاغراق والتهويل. وكما نود لو كتب الدكتور الفاضل كتابه بروح علمية بعيداً عن

ولكن — لعل له عذراً ونحن نلوم

تدرج المذاهب في الترتيب

ونزعة سبتمبر

رسالة مدرسية نال بها عبد الكريم احمد السكري الدكتوراه من الجامعة القديمة سنة ١٩٢٨ وقد أشرف على تحضير الرسالة دكتور واستاذ، هما منصور فهمي وعبد الحميد حسن. وتكونت لجنة الامتحان من الدكتورة منصور فهمي وعلى العناني واحمد ضيف والاستاذين عبد الحميد حسن وأمين مرسى قنديل. تقع في ٢١٢ صحيفة من القطع الاكبر. وتباع بمكتبة سعد زغلول بشارع الفجالة ومنها ٢٠ قرشا صاغا

لا يتوانى مجلس ادارة الجامعة المنحلة ، اى الجامعة القديمة التى اندمجت فى الجامعة الجديدة ، عن ان يزود البلاد بالدكتور تلو الدكتور . ومن غريب الامر ان يظن الناس انه لقباً علمياً تمنحه ادارة الجامعة القديمة يكون له ذلك الوزن العلمى الذى يكون للقب بمنح من ادارة قد كوت على أن تحفظ للعلم كرامته وان تجمل للالقب التى تمنحها وزناً صحيحاً قائماً على كفاءة علمية أو أدبية يبرز بها الطالب فى الفرع الذى يتخصص فيه .

على انى ما كنت فى يوم أشد اقتناعاً بوجوب إلغاء مجلس ادارة الجامعة المنحلة منى اليوم وبعد ان اطلعت على رسالة الدكتور السكري وقد ملئت بالاطعاء العامية والفلسفية فى ابدط مظاهر المعرفة الاولى بتاريخ المذاهب . ولو أن الخطأ قد تغلغل فى نظرية أو فى مذهب اذن لقنا له فى ذلك رأى . غير أن الخطأ فى تسميات اصطلاح عليها . فالدليل قاطع والحجة اذن ناهضة على أن هذا الخطأ راجع إلى جهل بالمذاهب الفلسفية وضعف فى درس ما تقوم عليه مدارس الفلسفة من المذاهب .

خذ لذلك مثلاً كلمة - Scholasticion - فقد عرفها فى فهرس الرسالة فقال بأنها « البحث العقلى على ان يكون وسيلة لخدمة المعتقدات السائدة » .

ثم عرف هذا الاصطلاح نفسه في ص ٥٣ فقال إنه « حركة التعقل وما ولدته من الميل للتوفيق بين احكام العقل واحكام الدين على اساس الايمان المطلق » فقال اولاً بأنها البحث العقلي ثم رجع فقال بأنها حركة التعقل — والفرق بين الاصطلاحين كبير لغة ومعنى، فأيها يعني الدكتور؟ لا ندري .

والحقيقة ان معنى Scholasticism هو الفلسفة المذهبية التي استعانت بالفلسفة القديمة على تأييد مذاهب اللاهوت النصراني . اذن فهي ليست ببحث عقلي ولا حركة تعقل . واذا أصر الدكتور على رأيه فليعرفنا اذن ما هو الفرق بين Scholasticism وبين Rationalism ؟

اما الدليل على ما نذهب اليه أن كل المعاجم الكبرى لا تفرق بين الفلسفة المذهبية وبين تاريخ الكنيسة . جاء في القاموس الانسيكلوبيدي مجلد ٦ ص ٢٧٨ ما يلي :

Scholasticism :

Philosophy and Church History: The name given to a movement which began by the opening of cloister schools by Charlemagne (742 - 814), attained its greatest development in the early part of the thirteenth century under Aquinas and Scotus, and, after receiving a check from the labours of Roger Bacon (1214 - 92) and the criticism of Occam (died 1347), gradually subsided at the Renaissance. Scholasticism was the reproduction of ancient philosophy under the control of ecclesiastical discipline, the former being accomodated to the latter, in case of any discrepancy between them.

وجاء في كتاب العلامة أوبرفج Ueburweg الالماني ص ٢٦٢ مجلد أول

من الترجمة الانجليزية : ما يلي

“ But when the bileif of the Church had been unfolded into a complex of dogmas, and when these dogmas had become firmly established, it remained for the School to verify and systematize them by the aid of a corresponding reconstruction of ancient

philosophy; in this lay the mission of Scholasticism.

وليقبل لنا حضرة الدكتور بعد ذلك أين البحث العقلي واين حركة العقل؟ الا ان يكون أساسها سوء الفهم وعدم الصبر علي البحث الأولي في مادة من أبسط المواد .

واليك مسألة أخرى فقد ترجم الجملة الآتية

The Rise of Moslemism and its absorption of Greek Culture

بما يأتي .

« الثقافة الاسلامية وما انتجته من اتساع نطاق المعرفة وايقاظ الروح العلمية لتحرير العقل الانساني » ص ٥٣ .

فاية علاقة بين الجملة الانجليزية والترجمة العربية ؟ ونظن أن تلميذاً في الثانوى في امكانه ان يترجم هذه الجملة بما يقرب من أصلها من غير أن يكون دكتوراً من الجامعة المنحلة .

واذا كان هذا مقدار فهم الدكتور للغة التي اعتمد عايتها في مراجعة مصادر الكتاب فاية ثقة تقوم بعد ذلك في نفس باحث يريد ان يتخذ رسالة الدكتور اساساً لبحث فلسفي في التربية ؟ وما قولك بعد ذلك في فهمه لنظريات سبنسر ، وما أظن أن سبنسر اشد غموضاً في كتاب من كتبه منه في كتاب « التربية » .

وجاء في ص ٨٨ « ان قوة الذاكرة تنمو بدراسة الآداب » Classics - والحقيقة أن كلمة Classics - تدل على الآداب القديمة تعييناً لا الآداب مطلقة كما فعل الدكتور .

وجاء في نفس الصحيفة ان « قوة الحكم » Faculty of reason تنمو بدراسة الرياضيات والطبيعات - والحقيقة أن قوة الحكم هي ما يعرف عند علماء النفس باصطلاح Faculty of judgement. اما ما يعرفونه باصطلاح Faculty of reason فقوة العقل .

وجاء في ص ٨٩ .

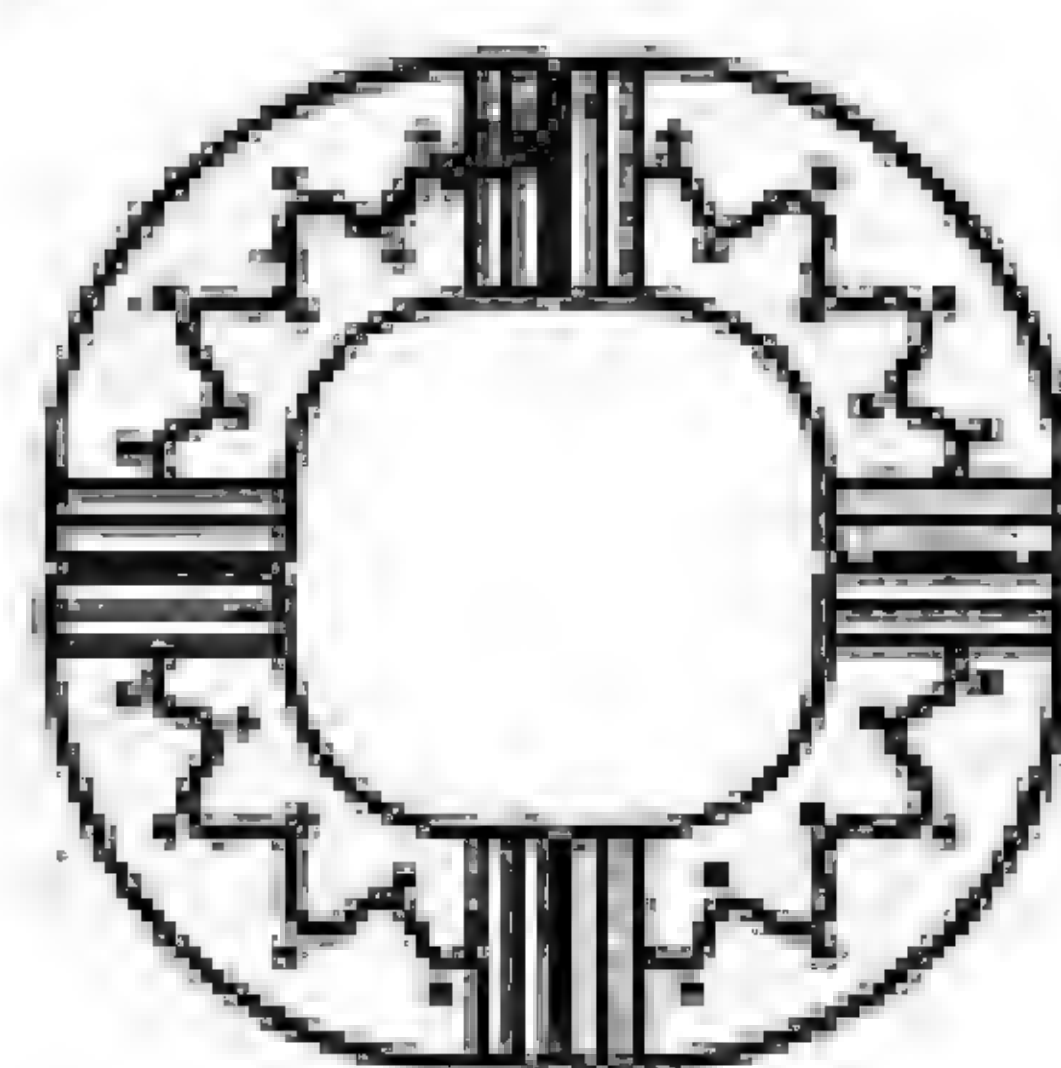
« على ان نظرية « التأديب الشكلي او انتقال التدريب أو التعليم الجامد »
 الخ - The doctrine of Formal discipline - وليس في هذه
 التسميات الثلاث ما يدل على حقيقة ما يعنى بالاصطلاح - والحقيقة أن معناه التربية
 على النظام التقليدى فلا شكلية ولا تدريب ولا جمود .

وجاء فى ص ١٣٨

« لو أن المعلمين انتقادوا الى ارشادات الطبيعة فى تقدير الرسم كفن من
 من الفنون وفى أسلوب تدريسه لكنت نتائج عملهم اتفقت من ذلك وأصلح »
 واليك النص الاصلى الذى ترجم عنه هذه القطعة كما نقله المؤلف

“ Had teachers been guided by nature's hints, not only in
 making drawing a part of education, but in choosing modes of
 teaching it, they would have done still better than they have done .

فكلمة - drawing - تدل على الرسم النظري التخطيطي لا الرسم
 مطلقاً . ثم أين كلمة « فن من الفنون » فى الاصل ، وابن الجملة المعترضة ثم
 الجملة المستدركة ؟ هذا مبلغ فهم الدكتور للغة التى اعتمد عليها فى نقل الرسالة .
 ولا جرم أن ذلك يدل على قيمتها دلالة واضحة



المدرسة السفسطائية^(١)

Sophistes

ترتاب هذه الجماعة في إمكان معرفة ماهية (حقيقة) الأشياء وقد قادهم ارتياهم هذا الى البحث عن المعرفة وشروطها . نشأت هذه المدرسة في المدن اليونانية الشهيرة — خصوصاً في مدينة أثينا — وذلك في العهد الديمقراطي . وكان همها منحصراً في اعداد شبان لهم قسط ناجح من الثقافة التي تفيدهم في حياتهم العملية . أما معنى اللفظة في الأصل فهو « حكماء » وكان أتباعها ينتقلون من مكان إلى آخر للتمائم دون أن يحاولوا توحيد آرائهم ولم يبحثوا « الاجسام » وما وراءها ولكنهم التفتوا الى المنطق الارتياي

أما السبب في اطلاق اسمهم على كل ما هو سخيّف من المحاورات فهو افلاطون الذي عاصر فلاسفتهم المتأخرين المشتغلين بالمحاماة ، الأمر الذي كان يحدو بهم الى قلب الحقائق رأساً على عقب ، بالمغالطة معتمدين في ذلك على سرعة خواطرهم لاجل تبرئة موكلهم وكان أغلب هؤلاء المتأخرين من السفسطائيين — بروديكوس Prodicus — مثلاً من الخليعين المستسلمين لتيار اللذات ، فعلى هؤلاء ، دون من سبقهم ، انصبّت انتقادات سقراط وافلاطون وأرسطو ، الذين لم يحاولوا مهاجمة بروتاغوراس أو جورجياس بالمرة ولكنهم كانوا يأخذون عليهما امتهان التعليم وجعله وسيلة للعيش

علمت هذه المدرسة أن مظاهر (صفات) الأشياء التي نراها لا تخصها ولكنها تنتج عن الصلة الموجودة بيننا وبين هذه الأشياء . قالوا ليس هناك ذات (ماهية) فهذا ناتج عن شعورنا . فإذا تراءى جسم من الاجسام لأحد

الناس في صورة معينة وظهر في صورة مخالفة لفرد آخر فإن الجسم هو في الواقع كما يتجلى للآخرين، لأن الإنسان هو المقياس الوحيد الذي تقاس به الأشياء . وعلى هذه الفكرة اهتموا بتدريس ماخصات العلوم بطريقة سطحية على زعم إمكان الوصول بذلك إلى المعرفة الصحيحة وأهملوا عمل أية محاولة للتفريق ما بين الخير والشر . وانتهى الأمر بأن قضى خلفاؤهم على سمعتهم بتشجيعهم للإباحية دون أن يعيروا القانون أو الأخلاق أدنى التفات ، قائلين إن الحق للقوة فهي القانون الطبيعي ولم يكتفوا بذلك بل أيضاً شجعوا الناس على وجوب تلبية كافة رغباتهم واشهر فلاسفة هذه المدرسة : —

١ . برو تاجوراس Protagoras (٤٨٠ — ٤١١ ق . م .)

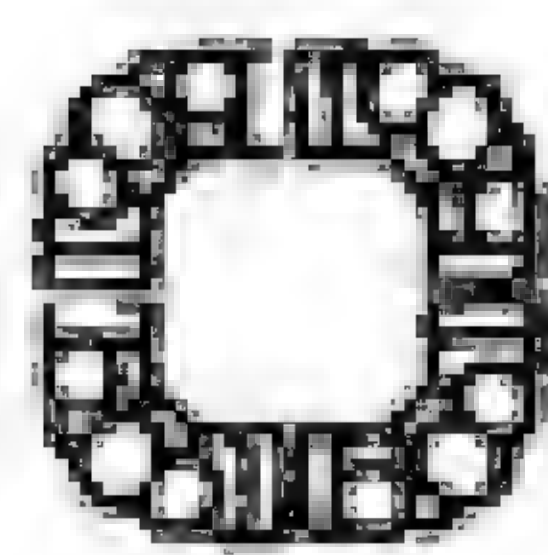
آتهم بالكفر لأنه شك فيما إذا كانت الآلهة موجودة أو غير موجودة . الحواس هي الكل في الكل وهي أصل المعرفة . حواس الناس دائماً المتغير وهي التي نحكم باختبارنا ، عن طريقها ، وما نحكم به هو الحق . ولكن قد تناقض الأحكام الفردية مع بعضها ؛ كنتيجة للاستنتاج الفردي . فالحكم الخطأ يساوي الحكم الصواب . وكل حكم هو خطأ في نفس الوقت الذي يكون فيه صواباً . والاصابة (الخير) هي السرور فكل ما نسر منه صواب (خير) . حاول برو تاجوراس الوصول إلى الكمال الوطني (المدني) وحصر همه في العمل لتثقيف شعبه وجعله قادراً . وظن أن ذلك يتيسر له بإيجاد خطباء قادرين على قيادة مشاعر الأمة

٢ . جورجياس Gorgias (٤٨٠ — ٣٧٥ ق . م)

قال ليس هناك شيء (ماهية) وراء الظواهر (المرئيات) وإذا فرضنا أمكننا الوقوف على حقيقة (ماهية) هذا الشيء فليس من الهين علينا تفهيم الناس إياه . إذا كان الوجود وجود فيجب أن يكون هذا الوجود أبدياً « والابدئ » لا يحتوى على شيء . وحتى لو تمكنا من معرفة شيء فإن هذا الشيء يكون « واحداً » مع العقل (يتوحد مع العقل) . وهنا يتساءل هل يصير العقل أيضاً

إذا عرف البياض ؟ كل حاسة لا تدرك إلا ماله علاقة بها فالبصر مثلاً يدرك
الالوان ولكنه لا يدرك الاصوات فهي من اختصاص السمع
٣٠ بروديكوس Prodicus (؟)

كانت محاضراته تدور حول « ما يجب أن يتخذه الانسان نموذجاً لسلوكه
ابان حياته » وارتأى أن يعمل الانسان ما في وسعه لكي يكون قوياً لان الحق
للقوة . فالقوى هو الذى يطاء الضعيف بقدمه « هذا هو القانون الاخلاقى الطبيعى » .



محاربة البشاعة

اثر المدنية الحديثة على الريف امر ظاهر وقد اتضح ان الانسان اقدر المخلوقات على ايجاد ابشع المناظر، واذا قام بعمل فيه مسحة من الجمال فذلك ينتج عن شذوذ في استعدادة. والآن لنا ان نتساءل كيف يمكننا ايقاف الأغلبية التي لا تملك ولو جزءاً يسيراً من هذا الشذوذ من التماذي في اعمالها المنفردة

كلنا يلاحظ ان اذا ما سار في الريف سواء في البلاد المتعدنة او النصف متمدينة ان يجد بين المناظر الطبيعية الجذابة لوحات الاعلانات عن أطعمه ملصقة بجوارها اعلانات أخرى عن دواء يمنع التخممة فهل يقصد أولئك الباعة تشوية الجمال الذي تقع عليه الاعين ام انهم لا يشعرون أنهم يرتكبون جرماً

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويظهر ان الذين وضعوا قانون العقوبات وعينوا الجرائم والمعاقب عليها مثل العربة والسرقة والسباب لم يخطر ببالهم ان هناك مجرمون يسرقون ما هو أشد وطأة مما سبق ذكره اي صدم تخيلات محبي الطبيعة بحواجز تحوى اعلانات سخيفة. فاذا كان الرجل الذي تدفعه الحدة او الترق للسباب وهو فاقد لوعيه يضع دقائق معرض للعقاب الرادع فلم لا يعاقبون الذي يسب باعلاناته حب الجمال ليس لوقت معين بل لعدة سنين متتابعة. الجمال من اسماء الله، ومن اهم الدواعي الموقظة للايحاء الروحي رؤية الملك في أقصى جماله

ولحسن الحظ ان البلاد الغير متمدينة لم تنل قسطها من هذه البشاعة بعد في حين ان البلاد الاقل تمدناً لم تحظ بشيء من الراحة بعد. ومن الغريب ان بلاد الاستشفاء وجهات المصايف لم تلاحظ بمد ما في هذا العمل من الضرر بل بالعكس نجدها تشجع عليه فكأنها مندفعة الى تشوية النعمة التي حياها الله بها بلادها

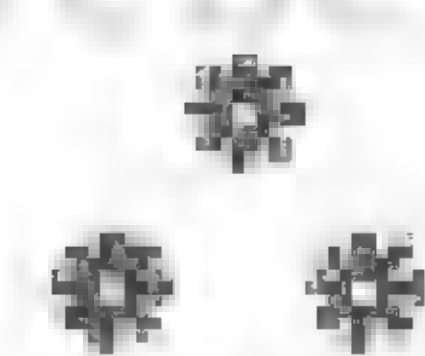
يجب أن ينتقى كل مجلس بلدى او محلى او قروى لجنة من اعضاء سليمة
الذوق لتدافع عن الجمال الذي نحن فى حاجة قصوي اليه ليس بازالة تلك
اللوحات فقط بل أيضا باجبار الاهلين والهيئات على اشادة دورهم باشكال
جذابة. كذلك يجب تنظيم الخضروات على جانبي كل طريق بشكل يفهم
القلب سرورا

ويجب ان لا نفعل ذكر ان بعض الاوساط التعاونية قد سعت بالفعل
للقيام بهذا المشروع ولكن عددها للأسف لا يزال يسيراً
ويجب أن لا يشكو التجار مما يسمونه حظر حريتهم في الاعلان لان
لصق الاعلانات على حوائط المحراب لا يدل على ذوق سليم وحتى ولا على
احترام للقداسة بل اذا لا يحتاجون لمنعهم من تلويث التماثيل المثبتة فى الميادين
بقاذوراتهم البشعة. يذكر عن جورج برناردشو انه قال لو كنت اتحكم فى
فصيلة من الطيور لعرفت كيف أجعل هذا البلد جميلاً وقال هين انه يتخيل
الطبيعية حين يمشى حبيبته كالسما يتخطر فيها الملائكة الامهار
آه لو ثار المحبون والعاشقون فساروا خلصة تحت جناح الظلام ليعملوا
على ازالة هذه الوصمات من جبين الطبيعة الخالدة. اليس لاؤلئك مطلق الحق
فى المطالبة بمراعاة عواطفهم، مثلهم فى ذلك كمثل المتدينين واصحاب المبادئ
الذين يتمتعون بحماية القانون ؟

هذه ملخص حملة قامت بها احدى المجلات الايرلندية وكم كنت اود لو
أن كاتبها زار ريف مصر ليرى الطف المناظر متجلية فى أكوام الاسبخة
البهجة المنظر الزكية الرائحة وفى الهيئات المتجلى على سبائها ، ليس البؤس ، بل
السعادة والغبطة خصوصاً تلك المخلوقات الصغيرة التى لا تكاد تعرفها من
صغار الجاموس والبقر !!!

حتى على الاقدار

أبدوا بالسنة لكم من نار
أقضوا على الآداب غير حميدة
ثوروا على العادات ثورة حائق
كونوا جميعاً سادة لنفوسكم
وتقدموا متواثمين لتلحقوا
أما تهانونكم فيجرح أمره
ليس الحياة سوى نزاع دائم
للفوز للجلد الجريء فواده
يا شيب لستم للوغى فتأخروا
ما في جاجكم من الافكار
كالسيل هداراً وكالاعصار
وتمردوا حتى على الاقدار
فالمصر هذا سيد الاعصار
بالسابقين الغر في المضار
في القبر عزة يعرب وزار
يا للضعيف به من الجبار
والويل كل الويل للخوار
وبدار يا شبان ثم بدار



لا تقبلوا في الدين ما يروونه
إن اليقين لفي الشهود جميعه
أنضوا القديم وبالجد يدتوشحوا
وتجردوا من نير كل خرافة
وتحرروا من قيد كل عقيدة
أمن اكتفى بخرافة هو مو من
أم هل يخاد جاهل في جنه
استرشدوا بالعقل ان سراجهم
إلا إذا ما صح في الانظار
والشك كل الشك في الاخبار
حتى م تختالون في الاطار
خرقاء تلقى الرين في الافكار
سوداء ما فيها هدى للباري
ومن امترى فيها من الكفار
فيها النعيم وعالم في النار
ليني ليل الشك بالأنوار

ما العلم في العصر الذي نحيا به
والعلم يحبي كل أرض أجذبت
أو دوحة إن أورقت أغصانها
إلا سلاح الناهض المغوار
والعلم مثل الهاطل المدرار
جاءت لكم بالظل والأثمار

قولوا الحقيقة جاهرين وأعلنوا
في كتمانهم إذا فكّرتم
هي عادة حسناء إن لم تحتفل
أنسومها خسفاً ونوسمها قلى
إن لم تقولوا الحق عند ثبوته
إن الحقائق كالصباح جميلة
ولقد شهدت طيور فهن يزرنني
ينفرن مني ثم لا يلبثن إن
وإذا عيسن فهن أشواك الفلا
ما في الحياة جميعها من خافق

للناس ما فيها من الأسرار
ما ليس في الاظهار من أخطار
بجمالها ذهبت إلى الاغيار
يا لاجمالة ثم يا للعار
جهراً فما أنتم من الأحرار
للتاظرين وكأن نجوم عواري
عند العشي معاً وفي الأبرار
يأنسن بي فيعدن بعد تقار
وإذا بسمن فهن كالازهار
كالقلب عند تصادم الانظار

إني أرى صباحاً تباح وجهه
أأرى الصباح ولا أغرد شاهقاً
أنا بلبل أنشودني أغرودي
لو لم أكن ذالحية وسدارة^(١)
بغداد

والصبح أعرفه من الأنوار
إني إذا حجرت من الأحجار
أشدو بها وبراعتي منقاري
لحسبتي طيراً من الاطيّار
جميل صدق الزهاوي

(١) السدارة هي القلسوة تلبسها الموظفون في بغداد

وولتر سكوت

في العصر الذي نبغ فيه من الشعراء
كوبر وكراي و بليك و بارنز ، والشعراء
الذين عرفوا في الادب الانجليزي بشعراء
البحيرات ، ثم واردز وورث وكوليرج
وسوزي وغيرهم ، تقع في تاريخ الأدب
الانجليزي على صفحة مجيدة بل صفحات
بيضاء لا بد من أن يعقدها كل مؤرخ
يحاول أن يكتب في صور الأدب التي
ظهرت في «الجزر المرحاء» عن رجل
ظهر من سلالة من أشرف السلالات



سير وولتر سكوت

الايقوسية واضخمها حسبا وانبلها نسبيا ، وكان حلقة وصل في سلسلة يكون وحداتها
من مرت بك اسمائهم ثم يتابعهم بعد «وولتر سكوت» وهو الذي نعنيه بالكلام،
افذاذ من امثال لاندور وكامبيل ومور وروجرز ، ثم من بعدهم بيرون وشيلي ،
ومن بعدهما كيتس ، ثم رجال تلك المدرسة التي عرفت في إنجلترا بالمدرسة
الرومانسية الثانية

على أنك اذا أردت أن تحلل شخصية سير وولتر سكوت فانك لن تبلغ منها
بفهم الا اذا عرفت بديا انها من الشخصيات المزدوجة ، فهو في الشاعرية شاعر
مجيد ، وفي التأليف الروائي كاتب من أجد الكتاب الذين أنبتهم الانسانية .
على أننا لا ننسى مع هذا أن صفة الشاعرية قد امتزجت بكل نواحي نفسه فهو
في رواياته شاعر يصور لك بخياله الحقيقة التاريخية، فيخيل اليك أنك تقرأ

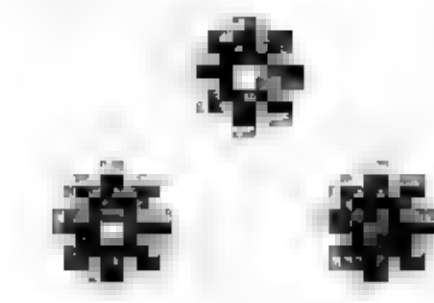
صفحات من الخيال الممتد بقوة التصور الى اقصى حدود اللانهاية ؛ في حين انك انما تقرأ وصف بطل من الابطال او فارس من الفرسان ، أو تقرأ تحليلاً لشخصية خادم أو سيد عضه الفقر وبقيت له عزة النفس ونعرة الحسب القديم أو تتغلغل في ناحية من نواحي التاريخ فتستقرىء صورة من صور الحياة الاجتماعية التي عاش في ظلالها أجداده الايقوسيون فوق جبالهم الشامخة وبين ثلوجها ونجادةها ومغاورها المخيفة ، ثم تتابعه فاذا بك امام قزم يروي عنه التاريخ بعض الشيء ؛ كل هذا وغيره تقع فيه على حوادث روائية ولكنك لن تستطيع أن تتخلص من شعور أنك تقرأ لشاعر كبير حاك الشعر في ضطور منشورة . فهو في قرارة نفسه شاعر وفي حياته الاجتماعية روائي تغلب في روايته الشعرية المستمكنة من كل نواحي نفسه الفياضة بالمعاني الخالدة الجياشة بالآمال الوثابة الى الذكريات والى مجد ايقوسيا القديم يحياه في الأذهان بالشعر الخالد وبالرواية مازجها الشعر ووضع فيها الخيال ما يصنع السحر بالألحان .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

على أنك ان وقعت في رواياته على الشعر بارزا وعلى الشعرية متجلية في أبيه معانيها ، فانك لا تقع في شعره على أثر لصفة الرواية التي نال بها أكثر شهرته العالمية . وعندى أن هذا دليل قاطع على أنه في حقيقته شاعر اتخذ الرواية ذريعة على مدافعة الحوادث التي حاكت من حياته مأساة طويلة المدى بعيدة الأثر ممضة لنفسية شاعر ماؤ نفسه الشعرية .

على أنه كان في شاعريته مثل خالد لبيئته التي نشأ فيها ولصفات آبائه التي تغلب فيها للترعة الى الرنات الحزينة البعيدة لاغور في النفس . ولكنها رنات إن ما زجها الألمي ونفذ الى أعماقها الحزن الأليم ، ففيها من جمال الطبيعة قدر يجعل ذلك الحزن أشبه بالمرح الهادىء ، ولكنه هدوء يهز أعماق النفس هزاً عتيقاً . واليك مثال على هذا هتطعه من قصيدته الخالدة « سيدة البحيرة »

He is gone on the mountain,
 He is lost to the forest
 Like a summer dried fountain,
 When our need was the sorest.
 The fount reappearing
 From the raindrops shall borrow,
 But to us comes no cheering,
 To Duncan no morrow.

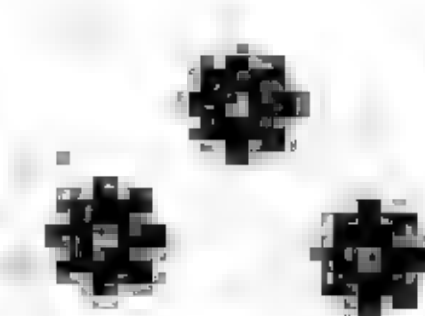


The hand of the reaper
 Takes the ears that are hoary,
 But the voice of the weeper,
 Wails manhood in glory,
 The autumn winds rushing
 Waft the leaves that are serest,
 But our flower was in flushing
 When blighting was nearest.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

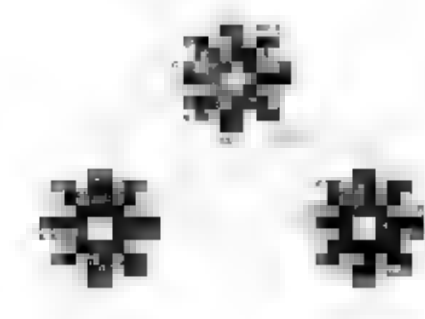


Fleet foot on the correi,
 Sage counsel in cumber,
 Red hand in the foray,
 How sound is thy slumber !
 Like the dew on the mountain,
 Like the foam on the river,
 Like the bubble on the fountain
 Thou art gone, and forever.



هذه صورة من شاعرية سكوت ومن فترات نفسه ما تجده لها في الصياغة
 الكلامية من مثيل اللهم الا عند الطائفة المنتقاة من الشعراء الذين تميز الانسانية

بانهم منها ، او بالاحرى الذين لهم الحق أن يفخروا على الانسانية بانهم كانوا ابواقها
الذين عبروا عن مشاعرهم وترجموا عما تحس في قرارة نفسيته من معان ومن آلام
ومن مسرات لولاهم لبقيت مطوية في اعماق النفس طيا لا نشور له ، وظلت
مدفونة دفنا لا أمل فيه لبعث ولا حياة أخرى .



على أنه في كل هذا كان من أئمة الاسلوب الرومانتيكي ومن أكثر العاملين
على ذبوعه . فهو في شاعريته وفي روايته تشييج وحده . ولكنه من حيث
الأسلوب اصيل في المذهب الرومانتيكي الحديث ، ومن أكثر العاملين على
أظهار محاسنه الادبية والنزول بها من سماء التخصص الى عالم التعميم الصريف ،
فكانه بذلك من أول الذين أذاعوا هذا المذهب وعملوا على نشره بين الناس
جميعاً ، بعد أن كان مقصوراً على طبقة منتقاة من الأدباء والمشتغلين بالأدب .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولد وولتر سكوت في « ادنبرج » . وظل طول طفولته نهبا للأمراض
وغرضاً للسقام ترميه بآلامها وممضاتها ، وما زالت تغالبه ويغالبها حتى استقوى
عليها . غير أنها تركت به أثراً غير زائل اذ خلفته في الخليقة أعرجاً . غير أن كل
ما انتاب سكوت من عجز في الطبيعة ونقص في التكوين قد استعاضه بانحيات
له الظروف حياة ملؤها هواء طلق في ريف ايقوسيا حيث اكب على الكتب
يقرأها ويقطع بها وقته ، فعوض عليه ذلك من ناحية أخرى ما أفقدته السقام من
قوة الفهم وحدة الذهن . وكان هذا سبباً في ان يستغرق في درس طبائع أهل الريف
ويعرف تقاليدهم والكثير من اخبارهم التاريخية . تلك المعلومات الاولى التي
انتجت فيما بعد اروع ما أخرج سكوت في رواياته من صور الحياة كما ورثها عن
آبائه الاقدمين .

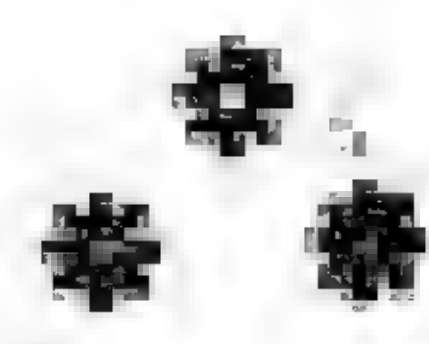
ونشأ في المدرسة العليا وفي جامعة أدنبرج . وأريد به أن يكون محاميا ودخل في سلك المحامين سنة ١٧٩٢ . غير أنه لم يكن ميالا بطبعه لمهنته هذه ولكنه أخذ ينفق وقته في الطواف في أنحاء ايقوسيا اما المهمة يؤديها واما لمجرد التسلية وقتل الوقت .

وكان أول عمل أدبي له ترجمة الرواية « جوته » المعروفة باسم « الدم والرعد » وهي رواية احدثت أثرا كبيرا في المانيا لدى ظهورها . وكان ذلك في سنة ١٧٩٩ وكانت الترجمة صحيحة وفيها كثير من الجمال الأدبي . غير أنه أظهرها في عصر لم يكن اتجاه الأدب الأنجليزى فيه مشجعا على استمرار شيء من منتجات الالمان الأدبية . وفي سنة ١٨٠٢-١٨٠٣ نشر قطعاً شعرية بعنوان *Ninstrelsy of the Scottish Border* وهي مجموعة شعرية لها قيمة أدبية تاريخية كبيرة غير أنها تدل في أخص ما تدل عليه على الاتجاه الذي كان يتجه فيه عقل سكوت . وفيما بين سنة ١٨٠٣ و ١٨٠٥ أظهر ديوانين شعريين تمازجت فيهما التصورات القديمة التي كان قد أثبتتها فيما كتب من قبل بمبتكرات خيالية في حياة البطولة التي عاش في ظلها أهل ايقوسيا في العصر القديم . وكان ثاني هذين الديوانين ديوان اسمه *The Lay of Last minstrel* ولقد حاز بهذا الديوان نجاحا وأصاب شهرة ، إذ ظهر للنقاد بعد قليل أن طريقة سكوت فيه قد برز بها كل الشعراء الذين سبقوه وأنه لم يسبق بمثله في كل ما يروى تاريخ الآداب التي ذاعت لعهد من صور الأدب . ولقد ثبت في روع المشتغلين بالأدب إذ ذاك أن وولتر سكوت لا يمكن أن يكون شيئاً ما لم يكن أديبا ويتخذ الأدب في الحياة مهنة . على أن ذلك كان صحيحا من كل الوجوه . فان « أديب الشمال » قد حاز بأشعاره هذه مكانة زادت في صدور أهل الأدب مع الزمان ولم يفقد شيئاً منها حتى هبط إلى الرمن عظيم في موته كما كان عظيم في حياته .

ونشر ديوانه Marmion سنة ١٨٠٨ وسيدة البحيرة The Lady of the Lake في سنة ١٨١٠ . وليس أدل على ما أحدثت هذه الأشعار من أثر في الأدب الإنجليزي من أن أجور النقل في عربات البريد قد زادت زياده فاحشة اذ تقاطر الناس الى الاماكن التي وصفها سكوت في اسفاره يحجون اليها كما يحجون الى اماكن مقدسة يقضون بزيارتها حق الذكرى والعظة . وظهرت بعد ذلك قطمته المشهورة Rokeby سنة ١٨١٣ وقطمته الاخرى « سيد الجزيرات » —

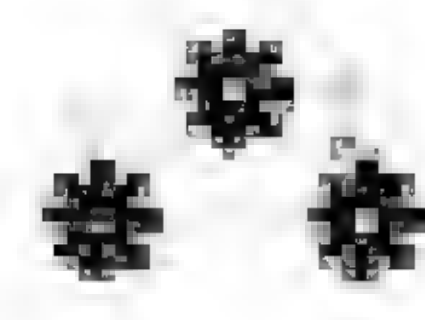
The Lord of the Isles سنة ١٨١٤

وفي ذلك الحين ظهر شاعر عظيم من شعراء الانجليز هو « اللورد بيرون » فتحوات بظهوره الانظار بعض الشيء عن سكوت فحول همه الى كتابة رواياته الخالدة فحاز في ميدانها نجاحا عالميا لم يكن نجاحه في عالم الشعر مقبسا به الا شبه بقدس ضئيل اذا قيس بشمس مضيئة وهاجة . على أن نجاحه في الشعر لم يقتصر على أن ينال صيتا بعيد المدى بل عاد عليه بأرباح مالية عظيمة لم يسعد بمثلا شاعر قبله . ولقد تكلم في هذا كثير من النقاد وقارنوا بين سكوت وبين واردز وورث وكوليردج . غير انهم انتهوا بفكرة أن سكوت قد استطاع أن يبهز الناس بشيء جديد امكنه ان يعبر عنه في اسلوب سهل ممتع أرضي في الناس نزعتهم الى السهولة وعدم اعمال الفكرة في فهم المرامي التي رمى اليها في أشعاره . في حين أنه واردز وورث وكوليردج قد عمدا الى المعاني العليا استدران وحيها ثم يصيبنها في قالب من الشعر يمتنع على غير العريقين في الأدب فهمه واستيعابه . غير أنه مهما قيل في منزلة سكوت بين أدباء الانجليز فهو في الشعر من افذاذهم وفي النثر والرواية يعد في طليعة الذين حولوا تيارات الأدب في اتجاهات جديدة



لا يمكن لأحد أن يتمكن عما كان من الممكن أن يكون مستقبلي « سكوت »

في الادب الانجليزي لو أنه لم يجبر على أن يترك الشعر بظهور « بيرون » . على أن
التكهن في مباحث الادب كالتكهن في مباحث العلم ، اسراف وظلم . اما الحقيقة
الواقعة فهي أن ظهور بيرون قد حول نظر الاديب الايقوسى الكبير الى ملفات
اوراقه القديمة فعثر فيها على مخطوطة كان قد أسماها « ويفرلى » Waverly فأكملها
ونشرها رواية تاريخية سنة ١٨١٤ . وكان هذا مبدءاً خروج سكوت من عالم الشعر
ليبلغ عالم القصص .



إن النجاح الذي اصابه سير فولتر سكوت في رواياته يعد من مدهشات
التاريخ الادبي في كل العصور وبين كل الأمم . فان تاريخ روايته « ويفرلى »
يقرب من أن يكون قصة خيالية . فانه عندما كان في أوج شهرته كشاعر ، تكتب
طريق الشعر هنية وكتب على فصول من رواية اختتمت فكرتها في رأسه
وأخذ يكتب فصولها الاولى . وبعد أن أتم بضعة فصول منها اطلع عليها أحد
اصدقائه النقاد فلم يشجعه على المضي فيها إذ أبان عن رأيه بصراحة فكان على غير
ما يطمع فيه سكوت ، فاخذ ما كتب والقاه في إحدى زوايا مكتبته . غير أنه في
سنة ١٨١٤ عند ما رأى أن جمهور القراء قد أخذ يتحول الى شاعر آخر لا يقل
عنه مواهب ، بل يوزه جاذبية ، فكر في أن يتبع في الأدب طريقاً آخر . وبينما
هو يقلب أوراقاً قديمة وقع على مخطوطته التي تركها من قبل . ثم فكر في أن يكملها
وعكف عليها ووافر عليها كل قواه حتى انه لم يمض اسبوعان حتى كان سكوت
يكتب في الفصول الاخيرة من الجزء الثالث من « ويفرلى أو منذ ستين سنة »
Waverly, or tis Sixty years Since. ثم طبعت ونشرت في شهر مارس
سنة ١٨١٤ . ولقد قدر للرواية نجاحاً عظيماً . وكان نشره الرواية من غير أن
يذكر على غلافها اسم مؤلفها قد دفع الناس الى الحدس لعلمهم يعرفون ذلك الفن
العظيم الذي كتب ويفرلى . ولقد اتبع هذه الطريقة في كل روايته التي نشرها

بعد ويفرلى مخفيا اسمه تاركا الناس في خيرة من امره حتى أعلن عن ذلك في
أدبة غداء في ادنبرج رأسها سكوت نفسه في ٢٣ فبراير سنة ١٨٢٦ .

وان نستطيع أن نذكر كتابا ظهر في عالم التأليف الروائي فكان أكثر
من ويفرلى جذبا للقراء وامتاعا لنزعاتهم وارضاء لشهوة الاستطلاع فيهم . وحتى
نهاية القرن التاسع عشر لم يستطع ناقد واحد أو مؤرخ في تاريخ الادب الانجليزي
ان يكون فكرة في القيمة الادبية التي كانت لهذا الكتاب عند قراء ثلاثة أرباع
قرن نشط فيه الادب في نواحي العالم وكثر فيه الكتاب كثرة لم يعهد لها تاريخ
الآداب في عصر آخر . ونجد فوق هذا أيضا ان الروايات التي نشرها سكوت
بعد ويفرلى على اختلاف ضروبها لم تزد ويفرلى الا قيمة بل ساعدت القراء
على استظهار محاسن ويفرلى من كل الوجوه أدبيا وفنياً واسلوبياً . وكان في الادب
الانجليزي قصص خيالي وكان فيه روايات تاريخية وأخرى غير تاريخية . ولكن
تقدر لسكوت ان يخال الفخر الاكبر في أن يكون اول واضع لتلك الطريقة التي
جمعت بين القصص الخيالي والرواية التاريخية فكانت صورة موحدة بلغت
من كمال الفن الروائي الذروة العليا .

وظل سكوت أحد عشر عاما يعيش عيشا هادئا ناعم البال بما أصاب من
نخر يليه نخر ومن نجاح يعقبه نجاح من غير أن يكدر صفوه حادث أو يصيبه من
الدنيا رهق . وأخذ يصدر رواياته بنسبة روايتين كل عام . ففي سنة ١٨١٦ اخرج
روايته The Black Dwarf اي القزم الاسود وروايته Old Mortality
ولا يمكنك أن تعرف مقدار ما أثرت هذه الروايات في انفس قرائها منك اذا
عرفت ما أجاب به لورد هولاند اذا سئل عن رأيه في ما يكتب سكوت فقال
« أتسألونني رأيي ! لم يذهب أحد من أهل منزلي الى الفراش ليلة أمس .
لم ينم من شيء الا آلامى التي أعانيها من مرضي » .

ويقال بأن كتابات سكوت في ذلك الحين كانت تدر عليه ٠٠٠ ر ١٥ جنيه

بكل سنة . فاشترى أرضاً على نهر التويد وأقام فوقها قصره المشهور المعروف باسم « أبوتسفورد كورت » Abbotsford Court ولقد زود هذا القصر بكل ما يمكن أن يخطر ببال أو تطمع فيه نفس . وأخذ يشتري من الأراضى التى حول قصره اجزاء حتى كان فى مستطاعه ان يتنزه فى داخل حدود غاباته . وكان قصره مفتوحاً لكل زائر ؛ وعمل سكوت عن ان يحى فى عصره آداب الضيافة التى هى من صفات أجداده الأيقوسيين . فكان يرمى بالاسراف والافراط . ولكنه لم يكن يفعل من شيء سوى انه كان ينفق بسخاء من ايراد لم يكن ليجتاح من هم أو اشفاق فى سبيل الحصول عليه . فان سكوت كان يعمل للفن ، وكان عمله يدر عليه ما يتوافر هو على انفاقه . ولقد كان من حوله فئة من « المساكين » يقاسمونه السعادة ويشاطرونه الهناء ، فلما أن حلت الكارثة قاسمونه الأسى وشاطروه مرارة الخذلان .

وكانت الطامة التى نزلت بسكوت فظيعة بشعة . غير أنك مهما بحثت فى أسباب الكارثة التى نزلت بالكاتب الأيقوسى الكبير فانك لا يسمعك إلا العجب ؛ فى حين أنك لا تستطيع أن تفهم انبجابه وحقائقها الا فهماً مختلطاً موشاً . قبل أن تحل بسكوت المصيبة بزمان طويل كان قد خالط شخصاً عرفه فى سنه الدراسيه اسمه « جون بلانتين » John Ballantyne كان يكتب جريدة ريفيه صغيره وينشرها . وكان من اشفاق سكوت عليه ان يدعوه الى ان يهبط ادنبرج ، فكان ذلك سنة ١٨٠٥ و زادت روابطها توثقاً مع كرايام . فلما ظهرت رواية ويفرلى عقد سكوت شركة سرية مع جون بلانتين واخيه جيمس والناشر الذى كان ينشر له واسمه كونستابل . فنجحت الشركة نجاحاً عظيماً وعادت بروايات سكوت على مطابع « بلانتين » بربح عظيم . والظاهر ان كل ما فى الأمر ان النجاح الذى أصابه العبقري الأيقوسى والفوائد التى أخذ يجنيها بلانتين من ورائه قد ادارت دقة تفكيره الى نواح خطيرة وافسدت عليه توازن عقله . فاخذت

من ثم مطابع « بلانتين » تتراوح بين أيدي القدر وكما تشاء المصادفات . وكان نجاح سكوت العظيم سبباً في أن تعنى عيون الذين أحاطوا به واشتركوا معه عن أن ترى الخطر الداهم ، إذ كان وهج النجاح معنياً حقاً . ولقد خيل إليهم أن الثروات المكتنزة في مخ سكوت لا تنفذ لها قوة ولا ينضب لها معين ، وأنه قادر على أن يزود الناس بكل ما يشتهون من المنتجات الأدبية التي ترضى نزعاتهم وميولهم . غير أن الرجل الذي كان من شأنه أن يقوم بكل هذه الأعباء ويمضد كل هذه المشروعات الخطيرة قد ثقل عليه الحمل وناء به . ومن العجيب أن يظل على بلانتين وكونستابل مسائراً للنجاح الظاهري مدة كالتى استطاع سكوت أن يعصدها فيها . وهضى أهل الشركة يستغلون الثقة بهم وسكوت عاكف على العمل منهمك فيه . فكان نصيبه من الأرباح على العمل مواز فقط لمقدار ما كان يطلب شركاؤه من ثقة المالكين بهم . فلما حلت الكارثة بان لهم عن فرط عظمها ومقدار ثقلها على كواهلهم . وساعد على ذلك أن سنة ١٨٢٥ كانت سنة ازمت مالية عمت الجزر البريطانية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب . وفر بلانتين واخوه من الميدان وتردى فيه سكوت وحده وإذا به مدين من طريق الشركة بمبلغ لا يتجاوز ٠٠٠ ر ١١٧ جنيه انجليزى .

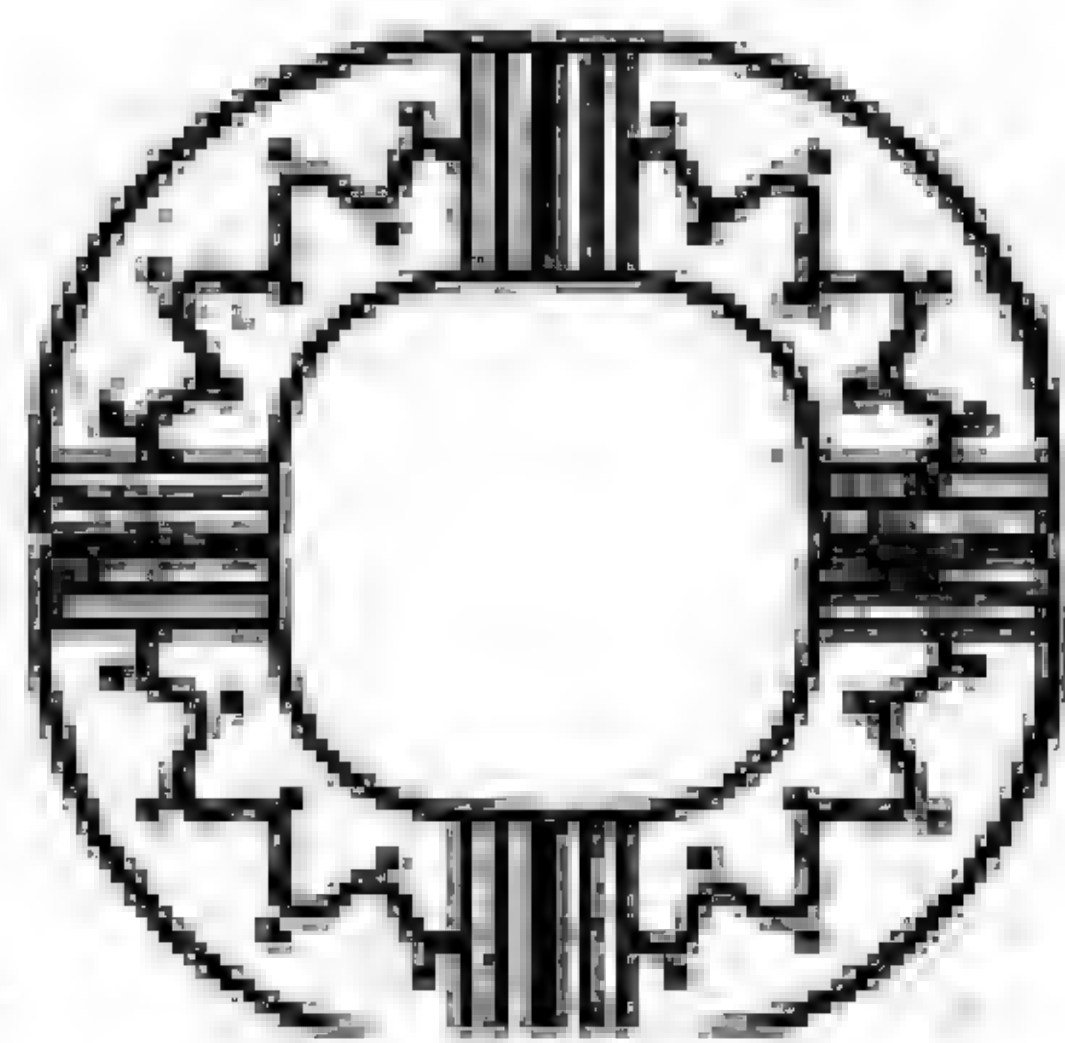
غير أن هذه الكارثة لم تدل على شيء دلالتها على أخلاق الرجل العظيم . فإنه لم يتأخر ساعة واحدة ولم يتلصكاً برهة . بل اكب على العمل من فوره ليدفع دينه الكبير من عصارة ذهنه . وفر من خوله الشركاء غير المسؤولين وبقى سكوت واحداً فرداً بلا نصير يشق لنفسه إلى الفوز طريقاً شائكاً ، ولو بالمصاعب مخفوقاً بالملمات ما فيه من أنيس إلا ذكريات الماضي تطير أحداها ثلج الأخرى في سماء خياله الخصب فلا تزيد الا قوة وصلابة . ولم يأسف سكوت يوماً على ما فات . أو أنه ضميره ساعة على مكreme أسداها أوهية اعطائها — بل مضى في سبيله حتى نصبت عصارة الدهن الأقوى وتخطت قوى الجسم ، فرقد في هدأ من متاعبه

الحياة بجوار نهر التويد المنساب في جريائه انسياب خياله الخصب فوق القراطيس
ينفث فيها السحر الحلال .

ولو أن سكوت كان ضعيف النفس فاطر العزيمة اذن لاعلن إفلاسه .
ولكنه قال قولته المشهورة : « ما لم أمت سوف أشق طريقى مرة أخرى وسط
هذه العاصفة . واني ان أستدين فلساً واحداً من أى انسان » . وكان ما شاء
سكوت . فانه في أربع سنوات استطاع بعمله أن يدفع ٧٠٠٠٠ ر ٧٠ جنيه من
دينه العظيم .

وهنا لا يجب أن تنسى أن تنبوه لا بصلابة سكوت ولا بقوة عقله ولا
بالعادات الاخلاقية الثابتة التى نشأ عليها ، بل بشجاعته التى حولته من العمل
لمجرد الفن واللذة الى العمل عند الحاجة ليخرج من المعركة قائداً منتصراً وعلى
رأسه إكليل من الفخر لم يحز مثله ممن حمل القلم تحت السماء الدنيا كاتب قبله .
للمبحث بقية

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



روبووت

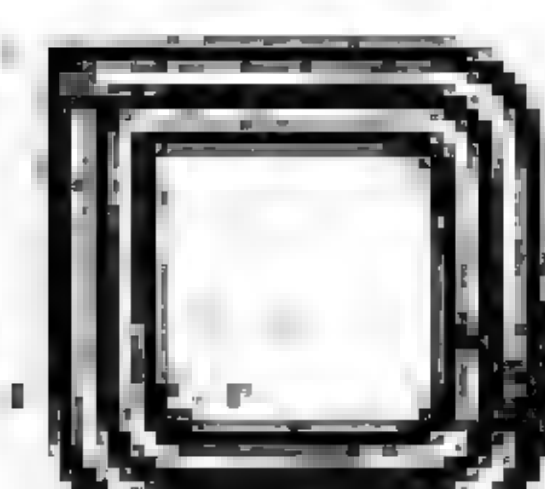
أوالانسانه الآلى

رأيته واقفاً بالباب منتظراً
 فقلت: من أنت؟ قال: العلم عدائي
 وراح يصحبني في مشية صدقت
 وهو المكون من سلك ومن خشب
 هو الجماد ولا روح تشع به
 فرن في ضحك من حيرني ومضى
 وقال: أعلم صديقي أنني بشر
 فكيف تفتن في شعر الخيال ولا
 أنظر! تأمل! تجد ما صفت من عجب
 الشعر والعلم في مرآى قد جما
 وما أساطير (خيي) (١) حين تنظمها
 قالوا هو الشعر إحساس وأخيلة
 أأست تذكر عهداً في الظلام مضى
 أأست تلمح عهداً للنشوء كما
 ألا تبجش بأحلام متنوعة
 ألا تحس بدنساً أن يكون بها
 في صورة شابهت تصوير إنسان
 ولي (الطبيعة) أم، ثم حياني
 فما تعثر بل قد جاز حسباني
 ومن حديد بمقياس وميزان
 فكيف جاوز تبياناً بتيان؟
 في سخره جد مغرور وفرحان؟
 الكهرباءو من جدواك بنياني؟
 ترى قوائن شعر لي ووجدان؟
 فاق الخيال بأبداع وإحسان
 للنسابة المتسامي حيث يلقاني
 أجل روعاً ولا أوهام (يونان)
 ألا تراها إذا نأجيت سلطاني؟
 وعهد نورٍ بأعجاز وعرفان؟
 تطير حلماً إلى عهد السبرمان؟
 وبالعواطف ألواناً بأزمان؟
 إلا التسمي بجهود وإيمان؟

بدائع العلم في نفع كاخوان
 وفي الصناعات سحر جد فتان
 كما تأسا بقت جنات (رضوان)
 حدّ ، وتسبح فيه روح ديان
 ولا على ملّة من دون أدیان
 إنّ الحضارة ليست وحي فنان
 بالفن ما بين محوم وسكران
 على الحياة ، وكل غافل هاني
 فنا ، وفي العلم خصما ، مثل عميان
 عصر يبدل أكوانا بأكوان
 جعلت نظمي هذا بعض قرباني
 شعري فحسبي أن أعليت ديواني
 من شاء وليبق لي وحي وقرآني
 إنّ دأّن غيري بنجواه لشیطان

أبو شادی

أنظر فما نحن في عصر تقوم به
 حتى الهواء غدا للناس مزرعة
 وفي الأثير حياة كلها عجب
 موج فيه سرّات الحياة بلا
 وليس وقفاً على شعب يخص به
 أنظر صديقي! تأمل! لا تقل أبداً
 لا تصنع حقاً إلى من طالما عيشوا
 يوهون بالفاظ منمقة
 ويحسبون التناهي عن حقائقها
 وما دروا خير ما توحي الثقافة في
 وعند ماقت من نومي على خجل
 فإن أبي لي اصطحاباً من أخص بهم
 وليمتلك أدب الترصيع مزدهياً
 إنني رضيت جمال العلم لي قبساً



اثر المناخ

في مستقبل الامم

مترجمة عن مقال بقلم الزورث هوتنجنون

تتمة ما نشر في عدد ديسمبر الماضي

اختتمنا المقال الاول من هذا البحث بهذه العبارات : — « هذه اعتبارات تنطق حقائقها بانها أكثر انطباقا على قياس المنطق من أية اعتبارات أخرى .
 ولكن ما ذا نعرف عن الماضي ؟ ليس نشوء المدنيات القديمة في مناطق تقرب حدودها من خطوط العرض السفلى دليلا قويا ينقض النظرية المناخية من أساسها » ثم قلنا بأن هذا البحث سوف يدور حول هذا السؤال العلمي الخطير .
 اما الاستاذ هوتنجنون فيعود ببحثه هذا وورده على هذا الاعتراض الخطير الى علم الانثروبولوجيا — أى الانسان — دون غيره من علوم الحياة .
 يقول . افرض انك انسان همجى على الفطرة الاولى عارى الجسد ومن غير أن تعرف كيف تولد النار لتمتع بها ، وانك لا سكن لك تأوى اليه ، وإن مثلك فى كل هذه الاشياء مثل الحيوانات السائمة . لا جرم انك فى تلك الحال ترغب فى ذلك المناخ الذى عرفنا من قبل أن حده الافضل يتراوح بين الدرجتين الاحتراريتين ٦٠ شتاء و ٨٠ صيفا بميزان فارنهایت ، وأن تكون الزوايا الجوية على كثرة كافية لان تشبع الهواء برطوبة معتدلة وتغيرات فصولية متتابعة .
 يمكننا الآن ان نقسأل عما يمكن ان يحدث اذا اتفق أن يظهر فرد أو جماعة خصت بقدر من النبوغ حازته بالنشوء والتطور على مدى عدة اجيال متتابعة ، حتى انتهى بها ذلك الانقلاب الى استكشاف النار وكيفية توليدها ؟ لا

جرم أن برودة الطقس مع وجود النار تفقد كثيراً من قسوتها وما تسبب من
 انهاك ومتاعب . وبهذا يزداد غشيان البقاع التي هي أكثر برودة واشد جفافاً
 من المساحة متى تقطنها الجماعة . أما في البقاع التي هي أكثر دفئاً ورطوبة ،
 فيكون الأمر على العكس من ذلك ، لأن الهمج فيها يكون أقل احتياجاً إلى
 استعمال النار لأنها لا تكون من الأشياء المرغوب فيها كثيراً ، بل أن النار في طقس
 حار تكون من أبعث الأشياء على الضجر والتعامل .

إن استعمال النار في الوقت المناسب لا بد من أن يؤدي إلى اختراعات
 واستكشافات أخر . فإن الحوادث الاتفاقية والاختبارات التي تقع خلال كل يوم
 لا بد من أن تنتهي بأن تعلم الهمج كيف يمكنهم أن يصوروا بها اسباحة خشبية يتخذونها
 تقيّة من الحيوانات وإن ينضجوا بها مواد لا يمكن أن تتخذ طعاماً لهم غير

لذا تكون كبرية الطعام أو عسرة الهضم أو غير مستطاع قضمها ومضغها . لذلك
 لا بد من أن يكون استكشاف النار قد وجه انتباه الإنسان إلى اختراعات ما ، كما
 كان عاملاً في أن يزداد عدد الناس في بقاع مخصوصة لأنهم يجدون طعاماً أزيد
 عن الحاجة في تلك البقاع . فإذا فرضنا أن الهمج في حالاتهم الفطرية الأولى كانوا
 جميعاً على نسبة واحدة من الكفايات والمواهب اذن لتعين علينا ان نعتقد بأن
 أكبر نسبة من التقدم المدني وازدياد عدد النسمات ، لا بد من أن يكون قد حدث
 في البقاع التي هي أشد برودة وجفافاً من المنطقة المأهولة من الأرض . وفي مثل
 هذه البقاع تكون النار من الأشياء التي يحتاج إليها ، كما أنه من السهل توليدها ،
 في حين أنك تجد إن الرغبة فيها في البقاع التي هي أكثر دفئاً ورطوبة كانت
 أقل وتوليدها أصعب . وعلى ذلك نقضي بأن فن توليد النار ، وهو في معتقدنا
 أكبر المستكشافات الفطرية الأولى أثراً في حياة الإنسان ، لا يمكن إلا أن يكون
 قد أثر في « الحد المناخي الافضل » ومن ثم بدأت مراكز التقدم المدني الانساني
 تتباعد شيئاً فشيئاً عن خط الاستواء إلى بقاع أكثر برودة ، ولكن في دائرة
 المنطقة الارضية التي عجزت بالإنسان في العصور الأولى

ومنذ ذلك الحين توالى المخترعات والمستكشفات كبيرة وصغيرة ، كما أبان عن ذلك الاستاذ « فيلان » وكان لكل منها أثر مشابه لآثر توليد النار ، على اختلاف في النكيف والمقدار . ومن أكثر الأشياء احتمالا ، بل نقول من الأشياء التي نرجحها تغليباً أنه وجدت جماعة من الجماعات في أزمان بعيدة جداً عن الأزمان التي ولدت فيها النار ، استطاعت بمهارتها ان تدرك ان جلود الحيوانات اذا تشح بها كانت من أكثر الأشياء المرغوب فيها في طقس تشتد برودته . اذن فلا بد من أن تكون فكرة الاكتساء ، على ما فيها من البساطة ، قد زودت الناس بعامل جعلهم يشعرون بالرضاء ومكنهم من أن يحتفظوا بصحتهم في بقاع باردة لا يمكن البقاء فيها بغير كساء . وهذا الاستكشاف بدوره لا بد من أن يكون قد جر الى استكشافات أخرى . لان الرغبة في الحصول على كساء احسن صنفاً او اقل نفقات او الرغبة في الحصول على اكسية اجمل شكلاً او ابعث على الدفء ، لا بد من أن يكون قد اوقع الانسان الهممجي في مشكلات فكرية ثم في ان يستقوى عليها وان يجد لها حلاً .

اما اختراع المأوى الصناعية مصنوعة من جلود الحيوانات أو اغصان الاشجار او غير ذلك من المواد فكانت ذات أثر لا يقل عن آثار ما أسلفنا القول فيه من مخترعات . ففي خلال الخطا التي خطاها الانسان نحو التقدم والارتقاء كانت هذه المأوى من افعل الأشياء على زيادة مقدار المساحات الأرضية التي استطاع الانسان فيها أن يحتمل قساوة البرد خلال فصل الشتاء . وفضلاً عن هذا فانها كانت باعثاً قوياً على أحياء نزعة الاختراع في الفكر الانساني وازكاؤها بالموحيات والتصورات .

سأل احد الهمج — « ان اكواخنا التي نصنعها من الجلد تفسد وتحلل ، فكيف يمكننا أن نحفظها من الفساد ؟ هنا ثقبون ينفذ منها المطر فيغشي أجسامنا .

كيف يمكن ان نتقى هذه الثقوب ؟ اذا اشعلنا داخل الكوخ ناراً فانها تهيىج أعيننا وتبعث فيها الدموع ، فضلا عن انها تحرق الكوخ وتدمر دميماً . كيف نستطيع أن ندفاً وفي الوقت ذاته نتقى هذه المخاطر ؟ »

وانك ان تجد من بين العديد الوافر من المخترعات التي انجبتها عبقرية الانسان ، اشكالا كان اكثر احياء لنزعة التفكير الجدى من تلك المشكلات التي صادفته إذ بدأ يفكر في وضع القواعد الاولى في هندسة البناء . وعلى هذا نقضى بان مشكلات الحياة كانت تزداد تعقيدا ، وانها كانت اشد تأثيراً في صد تيار التقدم ، كلما انتقل الانسان من بقاع دافئة الى أخرى باردة .

— ٥ —

والآن يجب علينا ان نلاحظ وجهها آخر من وجوه الاشكلات التي صادفت الانسان في تقدمه نحو الاقطار الباردة من مناطق الارض . فان توليد النار واستكشاف طرق الاكتساء و بناء المأوى قد زود الانسان الاول بعوامل مكنته من أن يهاجر الى اقطار أشد برودة ، ولكنها في الوقت ذاته قد دفعته الى منزعين آخرين من منازع التقدم لا يجب أن نهمل الكلام فيهما . فقد عرفنا من قبل أن درجة معتدلة من درجات التغير المناخي عامل من ائمن العوامل في حفظ الصحة والنشاط طبيعياً وعقلياً . فاذا لاحظنا أن قابلية التغير المناخي تزداد بالانتقال من طقس حار الى آخر بارد ، أيقنا بان السلالات الاولى التي كانت أقدر على الانتفاع بالمخترعات التي أدى اليها فن توليد النار والاكتساء واقامة المأوى ، هي التي كانت اكثر قدرة من غيرها على الهجرة الى اقطار أشد برودة . وبذلك تتحسن صحتهم وتزداد قدرتهم على العمل بما ينبعث فيهم من نشاط ، ويكونون اكثر مقدرة على التطلع الى غايات لا يتطلع اليها غيرهم ، بل ينزعون الى التفكير في مخترعات أخرى ، وفي أوجه من التقدم والارتقاء لا ينزع اليها شيء من

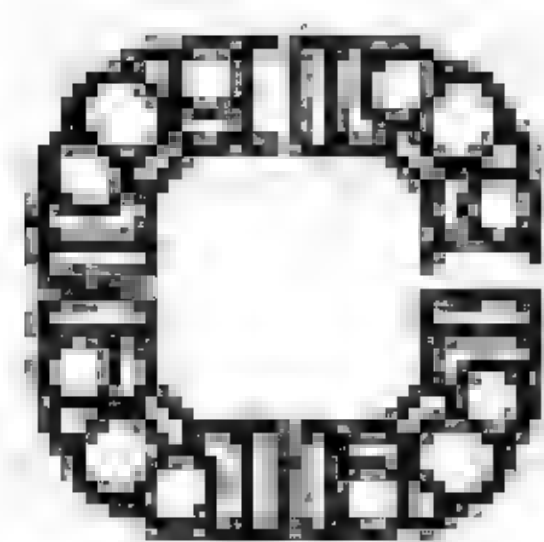
السلالات الأخرى .

وهناك وجه آخر من الأمر لا يجدر بنا إغفاله . ذلك هو الحاجة الى بعد النظر والتوفير والاقتصاد والعناية بوضع الخطط ، وغير ذلك من الضرورات التي قد نشأ قسراً بحكم المهاجرة الى اقطار يكون من اللازم على الانسان ان يتخذ فيها عدته لمواجهة الصغاب التي تنشأ عن حدوث فصول مناخية يشتد فيها الجفاف أو يقرس البرد . ما هي كمية الطعام التي تلزمنا لقضاء حاجة الشتاء ؟ وای نوع من الحبوب أو الجذور أو غير ذلك من أنواع الطعام اكثر قابلية للبقاء بغير فساد من غيرها ؟ كيف يمكن أن نحفظ بموادنا الغذائية من غائلة الحشرات والحيوانات القارضة وغيرنا من بني الانسان وغير ذلك من الاعداء ؟ وماذا نفعل بالوقود ؟ وهل لدينا من الثياب التي نحتاج اليها قدراً كافياً . ومن ای نوع نكتسى ؟ هل نأكل كل ما نشعر باننا في حاجة اليه من الطعام كل يوم ؟ أم يجب علينا أن لا نأكل الى حد الشبع واقل من الحاجة حتى تكفي المؤونة من الغذاء حتى يأتي فصل الدفء والحرارة ؟ وكيف يمكننا أن نستقوى على مؤثرات الفصول البعيدة عن الاعتدال ؟ هذه الاسئلة ومثلات غيرها مما يجرى مجراها هي طابع الاسئلة التي قامت في عقول اولئك الذين عاشوا في بقاع يختلف فيها الصيف عن الشتاء اختلافاً كبيراً . وهنا نتساءل اية من العوائق التي عمل الانسان في سبيل الاستقواء عليها وتذليلها كانت أشد من هذه أثراً وابلغ فعلاً ؟ وای البواعث كانت فعل في تحريك مراكز المدنية وانتقالها الى اقطار أشد برودة من تلك المخترعات الضرورية التي وقع عليها الانسان الاول وساعدته على أن يعيش باستمرار في بقاع يقرس فيها برد الشتاء على الدوام ؟

لا جرم أن هذه المخترعات القطرية ، على الرغم من ظهورها لأعيننا بمظهر الفرارة والسذاجة ، كانت على كل الاحتمالات ، اصعب تذليلاً ، بل اكثر حثيثاً واشد ضرورة من أي من المخترعات الحديثة على ضخامتها وعظم قدرها .

ان سلسلة المخترعات التي بدأت بتوليد النار والكساء واتخاذ المأوى وحفظ
المواد الغذائية قد أخذت ترتقي وتتطور تطوراً بطيئاً متوازناً الخطأ منذ ذلك العهد
العهد الى الآن . على أن اختراع مداخن التدفئة التي نراها في البيوت في المناطق
الباردة ليس الا تطوراً جديداً عن المخرع القديم . فمنذ أزمان بعيدة عمد الناس
الى اشعال النار داخل بيوتهم ، ولكن تراكم الدخان الذي يتولد عنها كان من
أبعث الاشياء على الألم والامتعاض . ولما كان من الضروري للانسان أن يختار
بين احد امرين فاما ان يوقد ناراً وأما أن يتعرض لفرالبرد الشديد ، استطعنا
ان نصور لانفسنا مقدار ما كان للمخترعات القديمة في المدنية الحديثة من
أثر في زيادة الرفاهية والجمال . ولا يغيب عننا أن إضاءة المنازل بمشاعل غير
محموجة ناراها بزجاج ، يعطل تقدم العلوم كما يفقد الانسان القدرة على الاشتغال
بالفنون الضرورية كفن الكتابة أو التصوير أو الموسيقى . وكذلك شبائيك
النوافذ فانها تكاد تكون معدومة النفع لأنها اذا اغلقت تركت المنزل في ظلام
حالك وتماؤه بالدخان اذا اشعلت داخله نار خلال فصل البرد . ومثل هذه الحالات
تحويل غالباً عن أن يتمتع الانسان بتلك الفترات السعيدة التي يتمتع بها الآن في
فصل الشتاء اهل المدنية الحديثة .

وكما استقوى الانسان على البرد بالنار ، فمن الجائز جداً أن يستقوى على
الحرارة باختراع يخترعه في المستقبل البعيد . وعلى ذلك يمكن أن تنتقل مراكز
الحضارة مرة اخرى الى الاقطار الحارة .



حزب الافندية

ادر عينيك تجد مقاعد المقاهى غاصة بالشبان حيث يعرفون كيف يقتلون
أوقاتهم قتلا ذريعا . هؤلاء هم حضرات العاطلين في القطر المصرى الذين نالوا من
العلم شيئا لا يؤمنهم لشيء مجد ولذلك ينتظر كل منهم دوره للخدمة الحكومية
بفارغ الصبر وجل همه منحصر فى السعى لايجاد واسطة تساعد على قبض
مرتب وهو هنى انبال ناعمه لايتهم اذا أثمر عمله أم لم يثمر ولا يبحث فيما اذا كان
وجوده ضرورى لخدمة الدولة أم مضر بها وهو الغالب

أفهم ان العطلة تتسبب فى الغرب عن الضائقة المالية التى تجبر العمال على
البطالة امدا قليلا أو كثيرا من الزمن يواجهون فيه العسر بأنواعه ولذلك تحرکوا
هناك لضمان معاش عائلاتهم ونشأت عن حركتهم هذه نقابات العمال التى تمت
بدورها فاصبحت احزابا لها كلمة مسموعة يخشى الرأسماليون نفوذها

أما هنا ، فى بلاد العجائب ، فانك تجد حزب الافندية مفكك الاوصال
لا تجمع اعضاءه جامعة قوية وليس هناك انسجام بين أفرادہ . وان كان لهم صرخة
حرب فتلك « الى المحسوبية » الامر الذى يحط من عزة أنفسهم اذا كان لهم شيء
يسمى عزة نفس . هؤلاء الافندية لا يبحثون عن عمل كما هو الحال فى الغرب بل
يتخيلون ان عملهم منحصر فى قبض الرواتب الكبيرة نسبيا والجلوس على
المكاتب للقيام باقل عمل ممكن - وهذا اذا اضطروا لركوب هذا المركب الحشن -
فاذا لم تيسر لهم الظروف ذلك فهم طفيليات تتعلق باقرباؤها وانسبائها لا متصاض
دماء تعب فى ايجادها هؤلاء

لا يستحق الواحد منهم أن يكون عالة على غيره (حفظا لكرامته) ناسيا ان
الاتكال على الغير والعمل لخطاب اللقمة التى اتعب نفسه ذلك الغير فى تخصيصها

ليس فيه أثر للكرامة ولا لعزة النفس وليس الذنب بمنصب على حزب الافندية وحده بل يقع جزء كبير من المسؤولية على حزب المغفان الذين يسمون بنظرية (الكرامة الشخصية وعزة النفس) الى آخر ما هنالك من السفاسف المائلة لذلك

لست أدري بالضبط لم لا يطرد الاب ابنه اذا بلغ سن الرشيد وكان قادرا على العمل بدلا من ان يحميه كما يفعل ظنا منه ان في ذلك حفظا لماء وجهه وحسونا لسمعة العائلة ؟ كذلك لست اعلم لماذا تظل الحكومة وهي المسيطرة على المعارف متبعة بسياسة التعليم الخرقايم التي وضعت لاسباب معلومة منذ عشرات من السنين ؟

فبرامج التعليم ، رغم التغييرات الصورية التي حدثت فيه أخيرا فقط ، لبرامج مزرية يجب أن تقلب رأسا على عقب بعد ان تبدل روحها لانه لا فائدة من ترميم ما ثبت ان أساسه مختل وواه

ان عدد المنتهين لحزب الافندية آخذ في الازدياد سنة بعد سنة ولست أدري ماهي خطة الحكومة - اذا كان لها خطة - لمكافحة ذلك الخطر المادي والاخلاقي معا فان أولئك النفر هم جهود ضائعة على الأمة يدفعهم حبهم (لحفظ كرامتهم) الى التستر عند ارتكاب الاعمال الشائنة بحثا وراء الرزق . فهل فكرت الحكومة في توسيع ادارتها كي توجد عمالا لاكثر عدد ممكن لأولئك المتدمرين ؟

ولا أجسر أن أقول ان الوقت الذي لا يمكن فيه توسيع الادارات الحكومية لاشك آت فان في امكان الحكومة ان تستغني الآن عن ثائي موظفيها دون أن تتأخر اعمالها قيد شمره بل أزيد على ماسبق بان كثرة عدد المستخدمين والموظفين وكبار الموظفين في المصالح الحكومية قد كثر معه الاخذ والرد . فبكثرة المستخدمين وغيرهم كثر عدد المشتغلين بالحسابات وكثر عدد موظفي أقلام المستخدمين وازدادت الغرف والاثاثات والخدمة ، وبالطبع نتج أيضا ازدياد موظفي الاقلام الاخرى كالتوريدات والقيودات

إن أول ما يتبادر لذهن رئيس القلم هو الشكوى من قلة المستخدمين وهو يرمى بذلك لتكبير قلمه ليكون قسما ولا يكتفى اذا وصل الى ذلك الهدف بل يشتكي ويستكي حتى يصبح على رأس مصلحة تحوى المئات من الموظفين والمكاتب والخدم وتستهلك اطنانا عديدة من الاوراق والاقلام ايتمكن كل موظف من اثبات انه يعمل وذلك بتسويد عدة صفحات بكلام غير مفيد

يقولون انهم عازمون على التوفير ولكن كيف يباح لهم توفير موظف واحد من قلم الحسابات في حين ان عدد الموظفين لم ينقص الا واحدا من قلم الحسابات يحيلون أعماله التي لا تذكر من حيث القيمة - ولكنها ذات كمية - الى أخوانه الآخرين؟ فهل يرضى رئيس قلم الحسابات ان يرأس عشرة أنفس في حين ان رئيس السكرتارية لديه اثني عشر موظفا؟ ومعنى هذا في عرف الدواوين أن شغل الثاني اهم من عمل الاول ومسئوليته اكبر ولذلك فهو أحق بالترقى

يجب أن تقوم الحكومة بعملية جراحية مؤلمة لاستئصال هذه البيروقراطية (التحكم المكتبي) وما عليها الا استئصال الفخفة الكاذبة والالقاء الضخمة فلتكن كل ادارة حالية وكل قسم قلما وتكن كل مصلحة ادارة ولتدمج كل وزارتين أو ثلاثة معا في وزارة واحدة ولتحول كل من تستغنى عنهم من الموظفين للتعليم في المدارس الثانوية والابتدائية والاولية حتى ينقرض هذا الجيل فيكون عملها بالاقل منتجا ولو أنه منكم لمالية الدولة كما هو الحال في الوقت الحاضر مع فارق هو ان الحالة الحاضرة ليست مجدية بالمرة . وربما يتشدد البعض قائلين ان المدرس يجب أن يلم بمبادئ التربية وهذا الاعتراض وجيه. فما الذي يضر الحكومة اذا وضعت على رأس كل مدرسة ناظرا من خريجي المعلمين يجبر على تدريس المواد التي يحتاج اليها المدرسون ثم يعقد لهم بعد ذلك امتحانا في كل موضوع ؟ أريد أن اسأل اذا كان وجود مهندس للرى واحد في كل مركز كاف للقيام بأعمال مهندسين اذا وضع تحت أمره موتوسيكل لا يسوقه خادم أم لا؟ وهل يكفي

لكل مركز طبيب. وغير هؤلاء اذا سهات الحكومة لهم طرق الانتقال وفي امكانها أن تفعل ذلك مع توفير المصاريف التي تتكبدها الآن بلا فائدة . وانك ترى الموظفين صغارهم وكبارهم ينتقلون في الارياض وهم يتمايلون زهوا وعجبا وقد ساعد على ذلك استحالة انتقلهم بسرعة من مكان الى آخر بالمبلغ الذي تفرضه عليهم الحكومة - رغبة في الاقتصاد - ولذا تجدهم ينهون عمل اليوم في يومين أو أكثر مع ان وضع مونتوسيكل تحت أمر كل منهم يجعله ينهي عمل اليوم في بضع ساعات. واعتقد ان وضع كميات من البنزين في « النقطة » او « المركز » يساعد على تخفيف المصاريف وعلى مراقبة حركاتهم بطريقة أكثر فائدة من المراقبين والمفتشين. والمساعدين الخ. هذا بشرط أن لا تفرض الحكومة على الواحد منهم قطع مائة ألف ميل يوميا مع استهلاك لتر من البنزين

حقيقة ان عزة النفس التي يتمسك بها أعضاء حزب الافندية اذا أضيفت الى العطف القسري الذي يظهره الاقارب لأولئك الكسالى يعود الى تربيتنا الاخلاقية بدرجة كبيرة ولكن الملاحيء الاميرية التي تفتحها الحكومة على مصراعيتها هي اكبر محرض على هذا الكسل فعليها أن تبدأ بالاصلاح ولا تفتح ابواب دواوينها لاقارب المتنفذين لغير سبب وان تحول تيار الاستخدام الحكومي الحالي الى الاصلاح عن طريق نشر التعاليم. لان عدد أولئك المتعلمين سيزداد كثيرا في المستقبل والله الحمد الذي لا يحمد على مكروه سواء تحول الامتيازات الاجنبية دون التحكيم على المحلات الاجنبية باختيار هؤلاء بدلا ممن هم من أمثالهم من موظفيها الاجانب

وهنا يجب أن لا يفوتنا ذكر اليد التي يسديها بنك مصر لشباب الامة في تدريبهم في منشئاته على العمل المفيد وبالرغم عن انهم لم ينالوا قسطا وافرا من التربية الراقية، فان البنك قد أعد منهم كمية صالحة يمكن الاعتماد عليها لدرجات متفاوتة

محاضرات

« في الجامعة المصرية »

كلنا نعلم ان هناك محاضرات قيمة تلقى في الجامعة المصرية من قبل أولئك الاساتذة الذين جلبوا من الخارج لتزويد الناشئة بالنافع المفيد ، ثم ليكون سعيهم أو مجهودهم كأساس متين تنهض على دعائه الجامعة الاميرية .

وكلنا نعلم ان هذه المحاضرات تكلف ميزانية الجامعة ممناً باهظاً .

ثم كلنا نعلم ما فاق به حضرة العلامة رئيسها السابق - والمهمين على ادارة المعارف اليوم - من أن الجامعة ستكون للنهضة مؤنلات تزودها بالنافع المفيد وأن مجهودها لن يقتصر على ما في داخل جدران الجامعة بل سيتعداه الى خارجها بمؤلفات مفيدة تكون للنهضة غذاء يفيدها لادراك المثل الأعلى باقرب ما يكون من وقت و باقضى ما يكون من سرعة .

وكلنا نعلم خبر تلك الضججات والتذمرات التي اثيرت وما زالت تثار من قبل طلاب الجامعة حول ما يلقي على مسامعهم من محاضرات هي من برنامج دراستهم وهم مطالبون باستيعاب ما فيها من نظريات ومعان وأدلة واستنتاجات بلغات مازالوا يجهلونها أو مازالوا مبتدئين بها بحيث لا يمكنهم ما عندهم من اطلاع ضئيل عليها من فهمها وادراك مغزاها واستساغة ما فيها من مواد ونظريات

وكلنا تقريباً قد اطلعنا على ما أدلى به من بأيديهم زمام أمور الجامعة بشأن هذه المحاضرات التي تلقى بلغات اجنبية ومن قبل اساتذة اجانب .

وما ادلوا به يتلخص في أن هؤلاء الاساتذة المحاضرين الذين جلبوا من الخارج هم من أولئك الباحثين الذين لهم في مضمار البحث جهاد محمود وتاريخ مجيد وأثر مشهود وان الجامعة في بدء تكوينها تحتاج الى ادمغة مفكرة كادمغة هؤلاء المفكرين والى عمل منتج كأعمال هؤلاء العاملين وان ليس للعلم من وطن وانهم لا ينظرون

إلى وطنهم بل إلى أدينتهم وماضي حياتهم ولا يهمهم من جنسيتهم شيئاً بل إنما
يهمهم مكانتهم من البحث والعلم !!

ولكن ألا يهمهم شأن أولئك التلامذة الذين ليس بمقدورهم أن يسيروا مع
أولئك الفطاحل جنباً لجنب لالفة في النبوغ أو لقصور في الإدراك بل لجهل
باللغة وهو العامل الذي انفتحت ضاعت الفائدة ؟

وليس من شأننا أن نفند أقوالهم وان نظهر ما فيها من حق مشهود وزلل
ظاهر بل شأننا والمحاضرات التي تلقى والتي لم تلق إلا بعد ما بذل في سبيل القائها
من عناء هو لا شك باهظ . أجل شأننا أن نلقى على هذه المحاضرات نظرة أو نظرات
نرى هل تنتج من فائدة تساوى ما بذل في سبيلها من عناء !

المحاضر أو ان شئت فقل الأستاذ الأجنبي من واجبه أن يلقى محاضراته
بقراءة ما يتناول من أجزء . أما ان كان تلاميد من الضعفاء بحيث لا يقبلون له قولاً
فما الذنب بذنبه وما هو بعلم لغة ، إن هو إلا أستاذ جامعة مربوط بعقد سنوي
للقاء محاضرات معدودة في درس مرسوم وسيان عنده ان استوعبت محاضراته
من المستمعين أو لم تستوعب مادام هو قد قام بما عليه من واجب

وانت ترى اذن ان هناك « عقدة » معقدة من جميع الوجوه ذلك :

- (١) لأن من بأيديهم « ادارة » الجامعة مازالوا يتمسكون بأرائهم
وما أراؤهم إلا ان ليس للجامعة من حياة إلا بوجود الاساتذة المجلوبين من الخارج
- (٢) ولأن الاساتذة المجلوبين كل له لغته وما عليه إلا أن يلقى محاضراته
بلغة أجنبية لانه لا يحسن اللغة العربية وما من شيء يحتم عليهم الالتقاء بها .
- ب جلهم أو أكثرهم من الذين لا يحسنون تلكم اللغات
الأجنبية المتباينة لدرجة تمكنهم من فهم محاضرات عالية تلقى على مسامعهم بها .
- وهذه العقدة المعقدة ليس هناك من شيء يحلها إلا أمر واحد ولكن

بالأسف قد أهمل هذا الأمر ولا يزال مهملاً مع أنه قد مر على افتتاح هذا المعهد وجلب الاساتذة من الخارج له مدة هي ليست قليلة !!

وما هو هذا « الحل » ان لم تكن الترجمة والترجمة بعينها ??

محاضرات تكلف الميزانية ثمناً باهظاً ، تلقى على المسامع فتذهب ادراج الرياح وما يستوعب منها الا قليل لا يوازي مادفع في سبيله من ثمن فادح ... أليس هذا اسراف وسعى غير منتج ???

كثيرة هي الشكايات والنذمرات التي أثارها جماعات الطلاب على صفحات الجرائد فذهبت ادراج الرياح كما ذهبت وما زالت تذهب تلك المحاضرات . وأى فائدة ترجى من محاضرات تلقى فلا تجد لها من يدرك أو حاضر

والى متى ستظل هذه المحاضرات تتلقفها ذرات الهواء هيناً ولا تستوعبها الآذان هنيئاً مريئاً ??? والى متى ستظل ذرات الهواء متنعمة على حساب الميزانية وأسبق من عقول الطلاب على النقاط أو تبديد تلك المحاضرات ??

الحق انا لا أندري وأعل المنعجم ايضاً لا أندري !!

ما يصرف في سبيل جلب الاساتذة من الخارج وما يصرف لهم من مرتبات عالية ومكافآت غزيرة كل ذلك هين وفي محله !!! أما ما يصرف في سبيل « الترجمة » لحل العتمة المعقدة فهو في نظر أولى الأمر تبذير واسراف ???

ابن هي المؤلفات القيمة التي أظهرتها الجامعة في عالم التأليف والكتبة لتكون للنهضة غذاء مفيداً كما سبق فوعدها أعان الملائكة حضرة مديرها السابق والمهيمن على ادارة المعارف اليوم ???

قداعد غريباً والكوني غريباً — وما أنا بغريب — قد يعد بحثي هذا عن الجامعة تطفلاً — ولكنه تطفل مع حسن نية — وما من التطفل في شيء ان سألت عن هذه المؤلفات مادمت مخلصاً وما دمت انتمى الى قطار مجاور لهذه الأقطار التي تجل الكنانة وترقب نهضتها وترجو لها كل نفع وخير

الحق ان المحاضرات التي تلقى لو كانت تلتقط فتترجم فتطبع فتُنشر لنكان
 من وراء ذلك للطلاب أنفسهم نفع عظيم وللنهضة غذاء مفيد وللأقطار المجاورة
 الشقيقة فائدة عظيمة

فهل آن لمن بيدهم زمام الأمور أن يقدرُوا أهمية ترجمة تلك المحاضرات
 التي تلقى بلغات اجنبية فتذهب مع الهواء هل آن لهم أن يقدرُوا فائدة ترجمتها
 ونشرها بالعربية للطلاب خاصة وللجمهور عامة ???

أما ان ظلوا معرضين فيا لضياع أموال تـكال وأوقات تضيع هباءاً منشوراً
 الحق أن تمهيد فهم المحاضرات الى الطلاب أهم بكثير من جلب المحاضرين
 والحق ان ترجمتها أهم بكثير من التفتيش على المحاضرين وجلبهم من الخارج دون
 اعارة عدم ادراكهم لغة البلاد أقل أهمية وترك ما يقونه يضيع ضياعاً !!

فلنذكر أن ما يبذل في سبيل الترجمة لا يذهب سدى بل يعوض اشياء مما
 يكون قدر بذرو لم ينتج خيراً . ولنذكر ان الترجمة والنشر يحصران اشياء قيمة
 هو ما يبذل في سبيلها من ثمن باعظ يدعو الى حصرها والاحتفاظ بها بالمنفعة للنشء
 الحاضر والمقبل . ولنذكر ان ما يبذل في هذا السبيل مما كان شأنه فهو يعوض
 الخسارة وان غيابه مما يجعل الخسارة فادحة جداً .

ولنذكر ان ترجمة المحاضرات واذا عنتها والحالة هذه — والعقدة معقدة —
 شيء ضروري بمقدار ما هو ضروري القاء المحاضرات في معهد علمي راق . . .
 ومن يذكر أن الترجمة اسراف ، أو من يقول انها غير لازمة ، اما ان يكون مخادعاً
 أو مراوغاً أو غيبياً أو متجاهلاً ، نعوذ بالله من ذلك !!

ولقد كان على مانع لهذا المعهد مجلة راقية تنشر أغلب محاضراته ولكن
 السبب ما زلنا نجعله تقهقرت هذه المجلة عوضاً عن أن تسير وسنة التقدم حتى
 أصبحت في خبر كان .

وقد كنا نرجو من بعض الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية أن تعطى
 محاضرات أولئك الاساتذة العظام التي يلقونها بين الغنية والغنية شيئاً من العناية
 والاهمية : بلخصونها بأمانة وصدق وينشرونها على الملأ لنفع الجمهور ولكن

تلك المحاضرات القيمة كثيراً ما فانت القراء لاشيء الا الاهمال الصحف والمجلات ايها ولعدم اعطائها الشيء النافع المفيد حقاً ما يستحقه من عناية . ولعمري ما الذي ستخسره ادارة الجامعة من ترجمة هذه المحاضرات ونشرها .

وما قولها ان ليس ثمة خسارة في هذا المشروع وما قولها ان الربح كل الربح فيه !! فهناك نهضة وهناك نفوس مشرقة واعناق متطلولة وأفئدة ظمآنة تريد أن تروى ظمأها من النافع المفيد ، تميل شمالاً ويميناً فلا نجد ما تطلب ، ولا تقم على ما تريد ، هذه النفوس أن وقع بين أيديها من شيء قيم « كمحاضرات جامعة » لا تتوانى عن أن تقبل عليه فتتلقفه وتدفع في سبيله ثمناً باهظاً ،

فهل لهذا المعهد ان ينتفع من هذه الظروف فينفع ويفيد ؟

وهل له أن يقدر أهمية الترجمة فيعطى ما تستحق من عناية وما يتطلبه الامر

من مجهود فتخرج المشروع بالعزم من حيز الفكر الى حيز الوجود ؟

وما نظن أن أرض مصر قد أفقرت من المترجمين الذين يحسنون الترجمة

والتعريب وما نظن ان أرض الكنانة قد أفقرت من أولئك الذين يحسنون

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الترجمة عنها .

فهل لادارة الجامعة أن تجمع عدداً من أبناء البلاد المقتدرين ، وقد نجد

مطلوبها من بين العاطلين ، وهم كثيرون ، فتربطهم بادارة رقيقة فتنتفع من

مجهودهم الذي سيعود عليها وعلى النهضة بخير ، ويدر عليها بما يعوضها ما قد

تتفقه في هذه السبيل .

لعمري في هذه النهضة وفي هذا العصر المنتج يجب أن لا يقتصر سعي معهد

كهذا على تثقيف مائة أو مئتين من الطلاب بل يجب أن يكون بمكان معمل

عظيم تنتظر منتجاته ألوف من الخلق ظمآنه متشوقة له ولازدياد العلم

نحن نرجو من هذا المعهد — كما يرجو أصحابه — شيئاً أكثر مما يطلب

من معهد عادي في محيط تمت له وسائل النهوض ، ولهذا انما نكل اليه أمر تزويد

النهضة عامة بالنافع المفيد ، فهل من سميع ، وهل من مجيب ؟؟

« أو النجا »

عكا

اظننى لا آتى بشيء جديد اذا قررت بان حضرات الفقهاء لم يفهموا ما قالوه ذلك لانهم لم يدرسوا حتى ولا مبادئ الاقتصاد ولكن الذي اتعجب منه هو سقم استنتاجهم . فهل لم يدرسوا مبادئ المنطق ايضا ؟

المال جهد محفوظ يتشكل بصور مختلفة . وواسطة التداول هي قطع المعادن المضروبة . فالمنزل مال والبضاعة أيضا مال، مثلها مثل النقود سواء يسواء . وكما ان النقود (العملة او القطع المعدنية) هي واسطة التعامل في الوقت الحاضر فقد كان العاج والملح والجلد والخرز والحيوانات والمحاصيل وسائط للتعامل فيما مضى . ومن يدرى ربما يكون الراديو او الجواهر واسطة للتعامل في المستقبل .

ان قول هؤلاء الفقهاء لا يخرج عن أحد أمرين : فاما الجهل وإما التنطع في الدين . ان اساس الاخلاق الانسانية ليس قال فلان عن فلان وليس التهويش بل النية . ولا اكون بعيدا عن الصواب اذا قلت ان معنى الربا هو استعمال قوة الانسان لاستثمار الضعيف في أوقات ضيقه فلواستفدتك مائة جنيه (من أى نوع) مع اقتناعى بانك لن تحصل على ربح اكثر مما سأأخذه منك فانى اكون حرايبا (فاذا كانت الفائدة ٢ في المائة وانا لا انتظر ان تستفيد انت اكثر من ٢ في المائة اكون مرايبا) ولكن لو كان المنتظر انك ستكسب ٧٠ في المائة فان أخذى ٦٥ في المائة مما تربحه لا يعد ربا لانه لولا مالى ماربحت أنت ١٠ في المائة وهي الفرق . كذلك اعتقد اننى لو أسكنتك منزلي باجر عال لانك مضطر اليه اكون مرايبا وكذلك أراي لو بعثك شيئا تحتاج اليه بثمن غال مستفيدا من شدة حاجتك . انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوي

عمر عنايت

افضع جرائم القرن التاسع عشر

٣ - أربب بنحول مجرماً

قال أحد علماء العصور الوسطى — لا أدري من هو — « لا جديد على الأرض » ، وإنما نحن ندهش للمفاجأة فحسب ، ونؤخذ لأننا لم يسبق لنا علم بحدوث حادث مثل الذي نراه في خيالنا أنه جديد ، مع أنه لا بد أن يكون قد سبق حدوث مثله تماماً في وقت ما من العصور السالفة . . . خذ لك مثلاً ما تقرأ في الصحف اليومية بن حين وحين من أخبار الجرائم والمجرمين فنجد بضعة مشهور اهتزت أسلاك البرق في جميع أنحاء العالم حاملة خبر اعتداء عصابة من اللصوص على ساعي البريد في مدينة هربول من أعمال إنجلترا واستلابها منه كيس البريد الذي كان يحتوي على ما يقرب من ثلاثين ألف جنيه ، وجاء في التلغراف وصفاً لذلك الحادث : « وهذا أول حادث من نوعه فضلاً عما فيه من جرأة رائعة » . . . وقد دهش الناس لوقوع هذه الحادثة وأخذوا يتناقلون أخبارها على اعتبار أنها أول حادثة من نوعها ، وما ذلك إلا لأنهم لم يسمعوا من قبل بأسم « جورج لاسينير » ، وهو ذلك الذي — على قدر ما وصل إليه علمنا وبحثنا في تاريخ الجرائم والمجرمين — يكاد يكون مخترع هذا النوع من الاجرام ، أي اغتصاب البريد ، على أن قطاع الطرق أصل شجرة هذا النوع من اللصوصية ، وهم موجودون في العالم منذ نشأته

في ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٣٤ تقدم شخص في هيئة المقبل على سفر الى مصرف (بنك) مورستاد وماليت الواقع في حي فوبرج وعهد الي قلم التحصيل فيه بتحصيل قيمة سدين احدهما مستحق الدفع بعد يومين ضد المليونير ما هو سييه القاطن بالمنزل رقم ٦٦ بشارع موترجيل

وحوالى منتصف الساعة الرابعة بعد ظهر ٣١ ديسمبر كان المحصل جينيفيه واقفا امام الدور الرابع من المنزل المذكور حيث قرأ الاسم المكتوب على ذلك الباب بالطباشير فإذا هو « ما هو سيبه » . . . وكان ذهاب المحصل فى ذلك الوقت بناء على ارشاد الرجل الذى عهد الى البنك بالحصول حيث قال ان ما هو سيبه المدين يكون فى منزله عادة بين الساعة الثالثة والرابع والرابعة الاربما . . . ولن يصعب على القارئ تبين الغرض من هذه التعليمات الدقيقة عندما يقرأ الاسطر القليلة التالية . . . فى هذه الساعة المتأخرة من النهار يكون جينيفيه (المحصل) حاملا لأكبر كمية من النقود ، اذ يكون قد حصل معظم مطلوبات البنك فى آخر الشهر — بله فى آخر السنة . . . فلما كاد ينقر على الباب تقرتين حتى فتح بسرعة وأدخل الطارق وأغلق الباب وراءه فى طرفة عين . . . وما عدا مرتبتين من القش وسلتين كانت الغرفة خالية من كل أثاث . . . وكان فى انتظار المحصل رجلان ، فجاء أحدهما بضربة شديدة من آلة حادة بين كتفيه ، محاولا فى الوقت نفسه الاستيلاء على « المحفظة » الجلد التى كان يحملها وتحتوى على عشرة آلاف فرنك ورقا (بنكنوت) و ١١٠٠ فرنك ذهبيا ، بينما وضع الآخر يده على قم جينيفيه لينمنعه من الصياح . . . على أن المضيفان قد أخطأ تقدير قوة ضيفهما الذى رغمنا من انه لم يكن قد جاوز الثامنة عشرة من عمره ورغمما من الجرح الخطير الذى اصابته به الآلة الحادة — قاومهما مقاومة عنيفة واستطاع ابعادهما عنه ثم شرع يصيح بأعلى صوته طالبا النجدة . . . فلما أن شعر الوغدان بخرج مركزهما ركنا الى الفرار

أبلغت الحادثة الى حكمدار البوليس على الوجه المتقدم ، فقام طبعما الى المكان الذى وقعت فيه « وأجري معاينته » ودون المحاضر ولكن « سيناته » و « جيماته » لم تكشف له عن أكثر من المعلومات التى عرضناها عليك فيما سلف

ومضت تسعة أيام ثم عهد كشف غوامض هذه الحادثة الى « كانلر » —

وقد كان بئد لا يزال مفتشا للبوليس (١) — فكان أول ما عمله ان سعى للحصول على وصف لذلك الرجل الذي تسمى باسم ما هوسيه — لأنه اعتقد ان هذا الاسم غير حقيقى — وكذلك وصف شريكه ، وقد استطاع صاحب المنزل الذي وقعت فيه الحادثة ان يعطي وصفا مطولا عن الاول لانه رآه عدة مرات ، أما شريكه فلم يكن يعرف عنه الا النذر اليسير الذى يقرب من العدم لأنه لم يره الا مرة واحدة فيما يقرب من اللحظة . . . وثانى خطوة خطاها رجل البوليس انه اجتهد ليطلع في مخيلته الصورة التى كتب بها اسم « ما هوسيه » على الباب . . . ولسنا فى حاجة الى القول بأن آلة التصوير (الفوتوغرافيا) لم يكن قد ذاع استعمالها بمثل ما هو الآن ، لأن داجير ونيس دى سنت فيكتور بدأ أعمالهما منذ عام ١٨٢٩ اي قبل وقوع هذه الحادثة بخمس سنوات فقط

فبعد ان حصل كانلر على المعلومات المتقدمة قرر القيام بجولة في « بنسيونات » باريس . . . وها نحن نتطفل على علم القارىء المطالع — احاطة لزميله غيرالمطلع — بشرح « البنسيونات » فى العاصمة الفرنسية وغيرها من المدن الكبرى الفرنسية اذ هى تختلف فى الواقع عما نعرفه عنها هنا فى مصر ، فشمة ألوف من رجال الأعمال والنساء يتقضون حياتهم فى تلك البنسيونات بل أن منهم من يقضى فى بنسيون واحد اكثر من نصف عمره ، وجميع أهل هذه الفئة صغيرهم وكبيرهم على السواء يشغل حيزا كبيرا من رقابة رجال الأمن العام فى بلاد الحرية ، وصاحب البنسيون او صاحبه او مديره أو مديرتة لا بد ان يحفظ سجلا باسماء جميع النازلين عنده وهذا السجل خاضع لتفتيش رجال البوليس فى أى ساعة بالليل أو بالنهار

ولا بد ان يكون القارىء قد أدرك الباقي من نفسه ، ذلك ان هذا النظام كفيل ولا شك بتسهيل البحث عن ذوى الاخلاق الدنيئة وبينهم طائفة

(١) ما زال كانلر معدودا الى يومنا هذا من اقدر رجال البوليس السرى فى العالم ، وله تمثال نصفى فى متحف اللوفر بباريس

الذين لا يتكسبون في وضع النهار . . . وبالرغم من هذا فقد اتقضى يومان ذهبت فيهما الحاث كانلر ادراج الرياح ، ولكنه في اليوم الثالث سطم عليه بصيص من النور حيث قرأ اسم « ما هوسيه » في سجل احد البنسيونات وتحت هذا الاسم اسم آخر هو « فيزيلييه » والاثنان يشغلان سريرا واحدا !!

وكان الوصف الذي أعطته له صاحبة البنسيون عن ما هوسيه ينطبق تمام الانطباق علي الوصف الذي أعطاه عنه كل من المحصل جينيفيه وصاحب منزل شارع مونترجيل مما حمل كانلر على الاعتقاد بل الوثوق بأنه في أثر الشخصين ضالته ، ولكنه دهش حين شرعت صاحبة البنسيون تصف له « فيزيلييه » وأخذ أخذاً لما عرضت عليه صورته فتحقق منها ان هذا الرجل نزل ضيفاً عنده في أحد السجون — ولكن تحت اسم آخر — منذ بضعة أيام فقط ، وقليل من التفكير جعله يذكره تماماً فأذا هو « فرنسوا » المقبوض عليه رهن التحقيق في تهمة الحصول علي بضائع من تجار بطريق النصب والتدليس ، فما كاد يذكر هذا لنفسه حتى قام من فوره وذهب الى السجن الاحتياطي فاستحضر « فرنسوا » أمامه وسأله مفاجئاً : — ما الذي دعاك لتغيير اسمك في بنسيون مدام بجيوت فتسمي باسم فيزيلييه ؟

ووقع فرنسوا في الفخ الذي نصب له فأجاب : — وهل تظن اني كنت من البله الى حد ان اعلم ان هناك امرا بالقبض علي واكتب اسمي على حقيقته ؟ !
اذن لم يكن ثمة ادنى شك في أن فرنسوا كان شريكا لما هوسيه في جريمة محاولة اغتيال محصل البنك . . .

وكانت الخطوة الطبيعية التالية لمعرفة شريك ما هوسيه هي ان ما هوسيه هذا هو شريك فرنسوا أوفيايزيه في السكن !! فذهب كانلر الى البنسيون وتحدث الى المسيو بجيوت (زوج مدام بجيوت !!) وحاول

ان يستخلص منه شيئاً عن ماهوسيه ، فوجده رجلاً صلباً ، يرى من واجبه ان يحتفظ بأسرار زبائنه وحينئذ وجه كانلر شرطه نحو المرأة مدام بجيوت فاستطاع ان يعرف منها ان ماهو سيه زبون قديم عندها ، وانه أحياناً كان يكتب اسمه « باتون » فكاد كانلر يصعق من شدة الفرح بهذا الانتصار السريع وعاد يجري الى ادارة البوليس وهو يعد الدقائق التي سيمضي فيها القبض على « باتون » فيكشف بذلك الستار عن جريمة محاولة اغتيال المحصل التي كانت قد شغلت جانباً من الرأي العام وفعلاً تم القبض بـ ١٠٠٠ ساعة على باتون في احدى المقاهي الواقعة خلف مسرح بوابة سنت مارتين ولكن كانلر لم يلبث ان فوجيء بمشكلة أخرى تلك أن الاوصاف التي عنده عن « ماهوسيه » لا تنطبق على « باتون » بأي وجه من الوجوه حتى صاحبة البنسيون « مدام بجيوت » عند ما ووجهت بباتون المقبوض عليه قررت انه ليس ماهوسيه أو — أي باتون الذي تعرفه هي أمافرنسوا المقبوض عليه والمظنون أنه شريك ماهوسيه الأصلي فقد رأى رجال البوليس ان لا يحيطوه بالهمة الكبرى الموجهة ضده كشريك حتى يلقوا القبض على الفاعل الأصلي وتقرر الافراج عن باتون

على أنه في نفس هذا الوقت نمي الى البوليس ان باتون صديق حميم لشخص يدعي جيار تنطبق عليه الاوصاف التي عند البوليس عن ماهوسيه بل علم البوليس ايضاً — من سجلات السجون — ان جيار وباتون كانا رفيقين في سجن بواسو

وأسمدت الصدفة كانلر بمقابلة باتون وهو خارج من باب السجن ، فسأله واستدرجه في الحديث حول جيار فعرف منه ان جيار وماهوسيه اسمان لشخص واحد على انه لما كان اسم ماهوسيه من الاسماء النادرة ، بينما اسم جيار من الاسماء الشائعة . فأن نظرة واحدة في سجلات البوليس المحتوية على اسماء المقيمين في البنسيونات كانت كافية لاقتناعه بأنه

سيلقى مشقة كثيرة في العثور على « جيار » — وهذا يفرض ان « جيار » هو الاسم الذى سيستدل منه على ماهوسيه مرتكب جريمة شارع مونترجيل . . . فقد عرفه للبوليس حتى تلك اللحظة بثلاثة اسماء فاماذا لا يكون الآن موجودا فى بنسيون آخر تحت اسم رابع ؟ ؟

وبعد ، فلعل هذا يكون كافياً لاثبات ان لاسينير كان مجرماً فطنا والحق كل الحق ان كانلر لم يضع يده على هذا المجرم الا بفطنة ادق من فطنته . . . ولكننا مجبرون مع ذلك على ان نعترف بأن الغريزة البشرية تتغلب على المجرمين — مهما أوتوا من فطنة فيحتفظون بأثر من آثار الجريمة دون ان يشعروا بخطأهم فى ذلك . . . شأن الانسان فى النسيان . . . ومع ذلك سرف نرى بمد قليل كم من العقبات ستعترض طريق كانلر فى معرفته للمجرم وبين القبض عليه !

ARCHIVE

<http://Archivista.Saklir.it.com>

ونعود فنذهب مع كانلر فى جولاته التى استغرقت يومين بحثاً عن جيار . . . واخيراً يعثر فى بنسيون فى شارع غابات لومباردوا على شخص بهذا الاسم وتلك الاوصاف ، فتخبره صاحبة البنسيون انه يحضر فى اوقات غير معلومة ، ويعرف منها كذلك ان غمش « جيار » لا يعدو ملابسه التى عليه ومثلها فى درج عندها وبضعة اوراق وكتب أغاني قديمة واعلانات وقصص وغير ذلك وهذه موضوعة فوق رف فى غرفته . . . وسرعان ما كان كانلر يقلب فى هذه الكتب والاوراق . . . ولم تمض عليه بضعة عشرة دقيقة حتى كان يقلب بين يديه خطاباً يتهم كاتبه على مدير البوليس . . . وخيل لكانلر ان بعض الحروف من « ماهوسيه » التى كانت مكتوبة على باب غرفة شارع مونترجيل مماثلة — بل هى بعينها — لنفس تلك الحروف فى خطاب المنشور امامه بخط جيار وتوقيعه . . . فاقنع كانلر فى هذه

اللاحظة بأنه قد اكتشف ما هوسيه الأصيل . . . ولكن اين هو ؟؟ لقد
شعر بالبوليس في أثره فاخفى !!

وفي هذا الوقت — ولعله من حسن الصدف التي ان أحسن انتهازها
رجال البوليس توصلوا الى الكشف عن الجرائم والمجرمين — أن تقدم احد
المجرمين محكوما عليه بسجن سنة وتطوع لأرشاد البوليس عن مكن جيار ،
أو مكانه ، في مدى أسبوع ، على شرط طبعاً ان يصحبه بوليس ملكي في
محبته وارشاده عنه . . . وقد اجيب هذا المجرم المحكوم عليه الى طلبه
ولكنه في نهاية الاسبوع لم يكن قد استطاع ان يعثر له على أثر . . . وفشل
هذا المسعى أيضاً

ومضت مدة والبوليس حائر . . . ثم تلقى خطاباً من « افريل » —
وهو المجرم المحكوم عليه الذي سبق له ان تطوع للارشاد عن جيار —
يقول فيه ان جيار (ما هوسيه) له عمّة تقيم في شارع « باردو بك » وانها
قد تستطيع ان ترشد البوليس عنه . . . فذهب كانلر وصاحبه هذه المرة
رئيسه المسيو الارد الى منزل مدام جيار . . . وسألا عنها في الحى فعرفا
انها أرملة تعيش من معاش زوجها المتوفى منذ زمن بعيد فضلاً عن ايرادات
أخرى مختلف كثير في قيمتها، ولم يطبلا كثيراً في الاستعلام عنها حتى صعدا
اليها وفتحوا الباب . . . فلم تجب لأول مرة . . . فعاد كانلر ينقره بصوت
أقوي . . . فسمعا وقع اقدام متثاقلة مترددة . . . ثم فتحت طاقة صغيرة
في الباب القوي وتوارت خلف ضلفته سيدة تسأل من الطارق ؟ فأجابها
كانلر « نريد ان نتحدث الى مدام جيار » قالت « هاأنا مدام جيار »
قال « نريد ان نسألك عن ابن أخيك جيار ؟ » قالت « أولاً وقباً، كل شيء
اخبركم ايها السادة ان ابن اخي لا يدعى جيار وان اسمه الحقيقي انما هو
لاسينير . . . وهو شرير للغاية . . . يتمنى لو اتيحت له الفرصة ليقتلني من
أجل بضعة القروش التي يظنها لدى . . . وهذا هو سر وجود الطاقة التي
أكلكم منها ، فقد انشأتها لأرى القادمين لزيارتي قبل ان افتح لهم الباب

ليدخلوا . . . وبالطبع اذا رأيت انه هو القادم فأني لا افتح له «
أذن كان رجلا البوليس — أو رجاله — في أثر حرباء بشرية . . . ان
لم يكن قادرا على تغيير جسمه فإنه من السهل عليه تغيير الاسم الذي يعرف
به لدى كل جماعة وفئة ! !

ولم تقف المفاجآت التي أخذت تتوالي على كانلر عند هذا الحد ، فإنه
بينما كان يبحث عن لاسينير في باريس ورد عليه نبأ من بوليس ليون انه قبض
عليه فيها اثناء محاولته صرف تحويل مزور باسم ليفي جاكوب

الى هنا وننتقل بالقاريء طفرة الى ان لاسينير حوكم وحكم عليه
بالأعدام . . . ذلك لاننا لم يكن غرضنا استعراض مهارة البوليس في
الكشف عن جريمة شارع مونترجيل . . . لان لاسينير عندما قبض عليه
ووجه بتلك التهمة اعترف بارتكابها في غير ما تردد ولا محاولة . . . وليس
هذا فحسب . . . بل أن « افريل » (المحكوم عليه الذي تطوع للارشاد عن
جيار) كان قد اعترف على جيار — لاسينير — بأنه هو قاتل الأرملة مدام
ساردو الذي عجز البوليس عن اكتشاف قاتلها منذ أكثر من سنة

وأليك ما تمخضت عنه اعترافات (جورج لاسينير)

كان هذا المجرم يضع الخطة لقتل ضحيته فينفذها ، لا دون ان يعبأ
بالمقاومة التي ينقاها ممن يقع عليه اختياره فحسب ، بل دون نظر الى المغمم
الذي يعود عليه من القتل وسفك الدم

وهو قد كان رجلا متعلما ، تذوق كثيراً من لذة الآداب والفنون ، وتتغلب
عليه نزعة شعرية خيالية الى حد ما . . . وله أسلوب في النقد لو أنه استخدم
على الوجه الصحيح لكان أثمر ثمرات طيبات في الكشف عن كثير من
أسباب النقائص التي تتخلل المجتمع الانساني . . . وما يذكر عنه في حياته
الأدبية انه كلف مرة باستنساخ صورة من قصة تمثيلية نظير أجر معين ،
فقبل ، ولكن لم تمض ثمانى وأربعين ساعة على استلامه للقصة حتى أعادها

الى اصحابها معلنا لهم في أباء انه قرأ القصة فوجد نفسه لا يقوي على تحمل متاعب نقل « قصة سخيصة ركيكة مثل هذه ، تتقزز نفسي من مجرد التفكير فيها !!! »

وقال عنه المسيو ألارد مدير البوليس « ليس هناك ادنى شك في ان جميع من اتصل بهم لاسينير خلال سجنه كانوا يشعرون نحوه بالاحترام — لا من أجل اعترافاته الخطيرة فحسب — بل لأنه كان في كل حركاته وسكناته وألفاظه يدل علي أنه رجل مثقف »

وكان اذ يلتقي اعترافاته لا يبدو عليه أي نخار بما فعل ، ولا أسف عليه . . . بل كان يتكلم عن الجرائم التي ارتكبها مثلما يتكلم التجار عن الصفقات التي يعقدونها بنجاح ، وذلك الى ان يتكلم عن حادثة المحصل في شارع مونترجيل فتجده يتكلم اليك كما يتكلم تاجر عن صفقة خسرها . . . فأذا سئل عن اسماء شركائه قال « أيها السادة ارجوان تعلموا أن فخرنا الوحيد نحن معاشر المجرمين — هو عدم البوح باسماء شركائنا الا اذا هم افشوا سرنا » فقليل له « ولكن افريل وفرنسوا قد ارشدا عنك واعترفا باشتراكهما معك » فأجاب « ماداما قد اعترفا علي نفسيهما فلا بأس من النظر في امرهما على ضوء اعترافهما ، وحقيقة اني لا أشعر بدافع قوى للانتقام منهما »

وكانت قد وقعت عدة جرائم في السنوات الاربع الماضية لم تتمكن السلطات من كشف غوامضها ، فأطمعتها صراحة لاسينير وما كان يبدو عليه من شغف بالجريمة في ان تحصل منه على معلومات بشأن تلك الجرائم ظنا منها انه لا بد ان تكون له يد في ارتكاب بعضها علي الاقل . . . فشرع البوليس يعامله برفق زائد . . . وبوما قال له كانلر « اني ما زلت اعتقد انك اخطأت في رسم خطتك في حادث شارع مونترجيل » فأجابه لاسينير « هذا صحيح ، ولكنني اؤكد لك انك لن تستطيع ان تحذر موضع الخطأ وألفيات ما عندك وقل لي أين تظني اخطأت ثم أخبرك أنا بحقيقة خطأي وحينئذ يتبين لك أي الرأيين أصح » قال كانلر :

— لو انك نجحت في قتل المحصل ، وفزت بالنقود التي كانت معه ،
لمبقيت جثته دليلاً على وقوع الجريمة ، والفرق الوحيد هو أننا كنا نعثر على
رجل قتيل بدلاً من رجل جريح ، وفي كلتا الحالتين فأنا أوصافك كانت
تعرف لنا من صاحب المنزل كما حدث ، ثم تسير ابحاثنا في نفس الطريق التي
نسارت فيها الي ان نكتشف أمرك

أجاب لا سينير « هذا خطأ محض !! أني عندما أفكر في ارتكاب
جريمة أقدر سلفاً جميع ما يتلوها من نتائج وما تترك وراءها من آثار فاضع
الخطأ الصحيحة لمحورها . . . ولعلك تذكر انه كان بغرفة شارع مونترجيل
مرتبتان محشوتان قشاً وسلتان ، فلو اني قتلت المحصل لكنت قطعت جثته
واستعنت بالقش لاختفائها داخل السلتين اللتين كنت استطيع نقلهما دون ان
استثير. شكوك أحد الى أية جهة تبعد عن باريس ببضعة أميال — ولي
منازل كثيرة في الضواحي — فاستخرج قطع الجثة من السلتين وأغاياها في
ماء لمسافة ٢٤ ساعة فتزول معالمها ولا تبدو منها رائحة تن ولا تبقى الا
العظام وهذه يسهل التخلص منها في موقدة الفحم حيث كانت الحادثة قد
ارتكبت في فصل الشتاء فلا يثير حمو نار الموقدة أدنى شبهة ولا التفات . .
والآن فلعلك تعترف اني في رسم تلك الخطأ قد اتخذت من الاحتياطات ما
كان كافياً لاقضاء جميع قوات المباحث في العالم عن اي اثر للجريمة . . . صحيح
ان اختفاء المحصل كان سيثير بحثاً . . . ولكني أوكد لك ان البوليس
عند ما كان يتعذر عليه العثور على الجثة او اي اثر للجريمة كان يظن نوا
بأن المحصل قد أغواه المال فاختلس المبالغ التي بعهدته وهرب

على أني وقد وعدتك بان اشرح لك موضع الخطأ او نقطة الضعف التي
أدت الى كشف أمري ، فها أنذا اكشف لك عنها . . . لقد أخطأت
بأتخاذي شريكاً في هذه الحادثة كما أخطأت قبلها في اتخاذي شريكاً في حادثة
مدام ساردو . . . ولولا هذين الشريكين لكنت الآن امرح في امريكا
ببشرة آلاف او احد عشر الف فرنك تقيني الحاجة مدة سنتين ، ولقد

أدت بك ظيبتك يامسيو كانلر الى وصفى بالذكاء، فلا يبعد انى كنت استعمل
 ذكائى فى التجارة أو فى الصحافة وكان محتملا ان أصل الى مرتبة عالية فى
 أحدها أو الأخرى . . . ومن جهة أخرى لو أنى دبرت تنفيذ هاتين
 الجريمتين لأقوم بهما وحدى فما كانت الضحيتان لتفلتا من يدي . . .
 وهذا من اكبر دواعى اسفى، لاسيما انى قبل هاتين الحادثتين كنت قد اتخذت
 شريكا فى حادثة سابقة لهما ففشلت . . . والحق ان عدم نجاح حادثة المحصل
 يرجع سببه الى جبن فرنسوا الذى فر هاربا بمجرد سماعه صياح جينيفيه ،
 بينما انا عندما كنت اشتغل وحدى كان النجاح دائما حليفى ، وهذا بالطبع
 فضلا عن أنه لم يكن مستطاعا ان يعرف احد من أمري شيئا لو كنت داومت
 على الاشتغال وحدى

فقاطعه كانلر « ومن يدريك ؟ بمحتمل ان لدى البوليس بعض المعلومات
 عنك دون ان يصل هذا الى علمك »

— أنا واثق تماما أن أحدا لا يعرف شيئا عن الحوادث التى قمت فيها
 بارتكاب بعض الجرائم بنفسى دون مساعدة شريك ، ولا بأس من أن أقص
 عليك بمضها ما دام لم يشترك معى احد فى تنفيذها — ولن تستطيعوا قطع
 رأسى مرتين . . . قد تعلم اننى انتمى الى ليون حيث كان والدى من مشاهير
 التجار ذوى الثراء، وقد جاءه الافلاس عن طريق كرمه وثقته بالناس اكثر من
 أى سبب آخر ، على أننا لم يصل بنا الفقر الى حد يدفعنى للسرقة والقتل كي
 احصل على النقود . كما أنى لم ارتكب أول جريمة نتيجة لتفكير وتدبير أو
 انتقام أو أى سبب من الاسباب المعروفة الشائعة كأن بهتاج شخص فيقتل
 كلا، ولم اشعر كذلك بعد ارتكاب الجريمة الأولى بما يسمونه وخز الضمير
 أو الأسف . . . بل انى فى الليلة الاولى التى سرقت فيها أول ضحاياى، ثم
 أغرقته، قد نمت نوما عميقا كأن لم يعترضنى ذلك الحادث مطلقا ولا أزال
 على عهدى بنفسى حتى الآن . . . لا يعينى من أمر غيري قلامة ظفر، ولا
 أعيره أدنى التفاتة

وقد وقعت تلك الحادثة هكذا : كنت عائدا عقب سهرة مجون الى منزلي في الصبيحة المبكرة قبيل بروز الغزالة في احد أيام الصيف البديعة ، وقد ودعني اصحابي عند أول كوبرى موراند . وما كدت انتصفه حتى شاهدت رجلا أدركت بنظرة سريعة أنه قضى هو الآخر سهرة في « انبساط » ما بعده انبساط ، وكان يترنح في مشيته ، ولحت على الضوء الضئيل المنبعث من مصباح الطريق سلسلة ذهبية تتماوج فوق صدريته ، وكانت ثيابه ثمينة حقاً فلم أردد لحظة وأدرت بصري في الطريق لأتأكد انه لم يكن ثمة أحد يرانا ثم انقضضت على عنقه بكانا يدي ثم طرحته أرضاً مغشياً عليه فسلبته كل ما كان معه وهو سلسلته وساعته الذهبيتين ومحفظته المحتوية على خمسة آلاف فرنك ، وكان باستطاعتي ان اتركه على تلك الحال التي كان فيها نصف ميت . . ولكني آثرت ان اتخلص منه مرة واحدة فحملته من وسطه رغم أنه لم يكن خفيفاً ورفعته فوق الحاجز ودفعته فسقط في ايم ، هو والحجر الصلد سواء . وبعد ذلك وحتى الآن لم اعرف من كان ذلك الشخص ولا ادري ان كان أحد قد عرف عن مصيره شيئاً وما ذلك الا لأنني قمت بالعمل بمفردي ولم اكن حينئذ لأعني حتى بمطالعة الصحف — كما أفعل الآن — لقراءة خبر اختفائه . . وكل ما في الأمر اني احتطت بعدم التصرف في السلسلة والساعة حتى حضرت الى باريس بعد مضي زمن طويل على وقوع الحادثة وفي يوم آخر قال لا سينير .

— هل تعلم كيف كنت احصل على قوتي عندما حضرت أولاً الى باريس ولست أعني ذلك الكفاف الضئيل الذي كنت احصل عليه من عمل النسخ ككاتب . . كلا . . انما اريدك ان تعلم أن رفاقي كانوا يحسبونني من صحاب الأيراد الوفير بالنسبة للمركز الاجتماعي الذي كنت فيه . . فذلك الأيراد كنت اتلقاه من طريق سرقة الملاءق والشوك الفضية . . ومع اني ما كنت اسرق أكثر من ملعقة وشوكة في الدفعة الواحدة فأني اقدر النكمة التي وصلت الى يدي في ثلاثة شهور بأثني عشر ألف زوج ملعقة وشوكة . .

حولا أغالى اذا قلت لك انى مخترع طريقة سرقة هذه الادوات بواسطة لصقها بالشمع تحت سقف المائدة ، حتى اذا فرغ النذل (الجرسون) من لم الادوات ولم يشعر بنقد ملعقة وشوكة قمت فغادرت المطعم فى هيئة ارسنقراطية لا يمكن أن تثير فى الشك بأى حال

قال كانلر « ولكنك ضبطت أخيرا متلبسا بالجريمة وقضيت مدة فى سجن بواسى فى أرضها

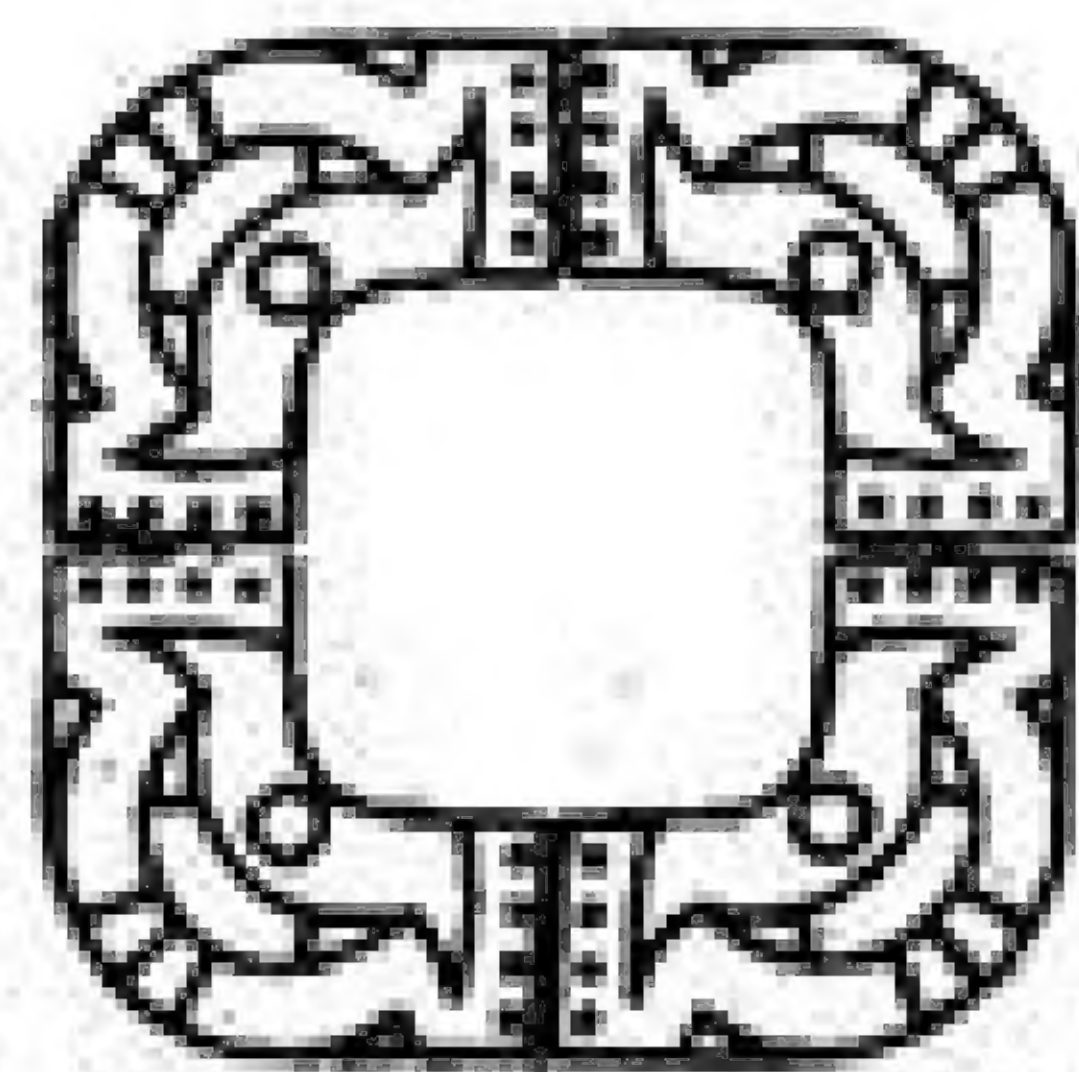
— هذا صحيح !! وانما أريد أن أبرهن لك على صدق نظيرتى فى الشريك .. فإنه لم ينكشف امرى فى تلك المسألة الا بسبب طمع الشريك الذى اتخذته فى يوم اسود مساعدا لى فمالبت أن انترب نجاح الخطة ودفعته نهمة الى سرقة ثلاث واربع ملاعق وشوك فى الدفعة الواحدة فالتفتت الينا الانظار ولما ضبطت الملاعق والشوك لاصقة فى سقف مائدتنا — ولاحظ هنا انا ما كنا نحمل من الشمع الا ما يكفى للصق دفعة واحدة حتى لا يبقى معنا أثر للجريمة — ولكنه (اى شريكى) جبن عندما جوبه بالهمة ، فلم اربدا من الاعتراف حتى اكفر عن خطأى فى اتخاذ شريك ويكون فى العقوبة التى تتوقع على زاجر لى عن اتخاذ شريك فى المستقبل . . ومع ذلك فهنا انت ترى يامسيو كانلر انى وقعت فى نفس الخطأ فلم تمتد الى يد البوليس فى عشرات الجرائم التى ارتكبتها وحدى ، ولكن امرى انكشف فى تلك الحادثة البسيطة ، حادثة قتل مدام ساردو

وأحسن رجال ادارة الأمن العام معاملته خلال الأيام الباقية على المعدامه لعلهم يفوزون منه باسم أحد ممن يكونون قد اشتركوا معه فى لغتي اعترف بها جميعها ، فكانت إجابته على كل محاولة فى هذا السبيل ابتسامة جذابة ، ويحجج مخاطبه بعينيين فاحصتين قائلا « اخشى لان أنا قلت ان احدا لم يشترك معي مطلقا ان اوصم بالكذب ، او قلت انى

قت بها جميعاً وحدي ان أغمط زملائي حقهم في الفضل الذي لهم في
معاونتهم إياي . . . وأري أنه ليس من حق أن اتعرض لهم بأفشاء أسرارهم
ما داموا هم قد عرفوا ان يحتفظوا بها لاسيما فيما يختص بي فلم يخونوني،
وعلى ذلك لا أستطيع ان اخونهم »

وقد أعدم لا سينير وشريكه افريل في يوم واحد . . . وكانت ادارة
الأمن العام قد شعرت بأن اعترافه التي نشرت في الصحف — مسجوبة
بآرائه الاجتماعية الأباحية — اخذت تؤثر في الجماهير ، فأصدرت بلاغا رسمياً
حاوات ان تثبت فيه انه مات جباناً ، واسمها الحظ بمكاتب صحيفة حضر
عقب اعدامه مباشرة فلقنه مدير البوليس ما كان اعد للبلاغ الرسمي وذهب
المكاتب فأوهم قراءه انه شهد لاسينير تبدو عليه آثار الارتياح قبل
اعدامه . . . ولكن كانلر قرر في صراحة ان ما جاء في البلاغ الرسمي غير
صحيح ، وان لاسينير قد استقبل الموت ليس في رباطة جأش فحسب . . .
« بل أنه لم يفرح لشيء في حياته مثل فرحه باستقباله »

أحمد مختار



فهرست العدد

ص	
٦٤١ -	الايولوجيا أو دفاع سقراط عن نفسه
٦٥٧ -	الرومانتيسم عبد الحميد سالم
٦٦٦ -	الوعود - قصيدة أبو شادي
٦٦٩ -	كيف كنت سخيلاً حسين محمود
٦٧٣ -	معنى التطور أبو العينين
٦٧٨ -	نضال الفلسفة في اغريقيا القديمة ع . ع
٦٨١ -	تحسين النسل - عن ليونارد داروين عمر غايت
٦٨٨ -	خطابة المستر بولدوين - في الجلد هول
٦٩١ -	صرعى الحرب العالمية - يومهم في بريطانيا العظمى
٦٩٧ -	تركيا تماشي مدنية القرن العشرين ط . ه . حنين
٧٠٣ -	شعر التجديد ومذاهب النقد على محمد البحر اوى
٧١٩ -	نبذ عن الزواج ح . م
٧٢٥ -	الرجل والمرأة - أسطورة حسن كامل الصيرفي
٧٢٧ -	شكوى مدرس
٧٣١ -	ابن الانسان عيسى بن مريم جورجى اسكندر
٧٣٨ -	تعليق للمصور على مقالة ابن الانسان
٧٤١ -	النقد والتأليف
٧٤١ -	تاريخ المؤامرات السياسية لمحمد عبد الله عنان
٧٤٢ -	من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام لبندلى جوزي
٧٤٤ -	تدرج المذاهب في التربية ونزعة سبنسر للسكرى
٧٤٨ -	المدرسة السفسطائية
٧٥١ -	محاربة البشاعة أديب

- ٧٥٣ - حتى على الاقدار - قصيدة عصماء
 ٧٥٥ - وولتر سكوت
 ٧٦٦ - روبوت - أو الانسان الآلى - قصيدة
 ٧٦٨ - أثر المناخ في مستقبل الامم
 ٧٧٤ - حزب الافندية
 ٧٧٨ - محاضرات في الجامعة المصرية
 ٧٨٣ - الفائدة والربا
 ٨٨٤ - أفظع جرائم القرن التاسع عشر - قصة كاملة

سرهاوع

.....

لابى شاذى

.....

أبو الوفا

أبو النجبا

عمر عنايت

أحمد مختار



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

